ناصر الدين النشاشيبي



اليمن
ذلك المعلوم

دار القدس

اليمن
ذلك المعلوم

ناصر الدين النشاشيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى البطل، الذي أحال أمانينا في الوحدة
الكبرى من مجرد أحلام ودعوات وأناشيد
وشعارات إلى واقع حلو ومجد كبير!
إلى الرئيس اليمني..
علي عبد الله صالح
أهدي هذا الكتاب.

ناصر الدين النشاشيبي
ن. ن

شكر.. وامتنان

من القلب، اتوجه بالشكر الجزيل الى كل من ساهم معي في انجاز هذا الكتاب من الاصدقاء اليمنيين الذين أحاطوني بالرعاية الصادقة ورأيت في وجوههم وخطواتهم الصورة المشرقة لليمن السعيد.

ويبقى الشكر الخاص للأيادي التي اشرفت على طبع هذا الكتاب واعداده وتبويبه بكل صبر ودراية، أعني الأستاذ عبد حسنا، والانسة عواطف بيدس، والاستاذ محمد عليان وغيرهم!

...... شكراً من الاعماق

ناصر الدين النشاشيبي

الفهرس

مُقَدِّمَة



لا أعرف بلداً عربياً، تاريخه العريق يبرز شوق انسانه القديم لحاضره المتطور، وحاضره النامي يجسد دخائر ماضيه الحضاري، كهذا (اليمن)!

ولا اعرف بلداً عربياً، لم يلقَ من هوى اخوته العرب، ومن دراستهم وزياراتهم ومؤلفاتهم إلا النزر اليسير،ما يستحقه من الجهد ومن الحب، كهذا (اليمن).

هذا بلد كل حجر فيه يروي التاريخ، وكل مدينة فيه تحكي الاساطير، وكل بيت فيه ينظم الشعر، وكل جبل من جباله او وادٍ من اوديته، او سهل من سهوله، يتيه فخراً بما يملكه من عظمة الماضي، واحلام الحاضر، وآمال المستقبل.

وقد جئت الى اليمن كاتباً صحفياً، وخرجت منه عاشقاً مولَّهاً! وانا اعشق الشعر والادب والطرب والجمال، وقد وجدتها كلها في بيوت صنعاء وعلى شواطئ عدن وعند جبال صعدة!

عندما زار الفيلسوف (أمين الريحاني) ديار اليمن خشي ان يموت، اما انا فبعد ان زرت اليمن خفت ان تفقدني بيت المقدس فأهجرها الى (حضرموت) او (تعز) أو (مأرب) كي اصبح في احداها شاعر ماء، او

مطرب صحراء، او فنان عمارة، او رجل سياسة، او عسكرياً في جيش اليمن الوطني!

وذلك هو الفارق بين اليمن بالأمس واليوم، كانت اليمن مكاناً للأوبئة والأمراض فأصبحت منتجعاً تهواه النفوس وتعشقه الأفئدة.

ولو زار (زكي مبارك)- اديب مصر الكبير- دنيا اليمن قبل ان يموت، لما كتب حرفاً واحداً عن (ليلى المريضة في العراق)!

ولو جاء (احمد شوقي) الى (صنعاء) لما تردد في أن يضيف الى ديوان شعره، قصيدة جديدة يغازل فيها (حلوة الوادي) حضرموت او (عروس البحر) عدن او (قلعة التاريخ) صنعاء، تشبهاً بـ(جارة الوادي) في (لبنان) و(صبا بردى) في (دمشق)!

وهكذا بقي هذا البلد (البعيد) مظلوماً، وبقي اهله العرب مقصرين في حقه، وربما هي العزلة التي فرضها الأئمة والمستعمرون على هذا البلد العزيز باعدت بينه وبين ابناء امته.

فالحق انني لست واثقاً مما اذا كان شوقي ومبارك سيتولهان باليمن مثلما تولهت، وسيعشقانها كما عشقت، لو انهما رأياها في ذلك الزمن الذي خاف عنده الريحاني من ان يدركه الموت في جبال هذا البلد قبل ان يدرك الحضارة الحديثة . اما انا فقد كان حظي اوفر ممن سبقني لانني اتيته بعد ان فك طوق عزلته وتخلص من الأوبئة والامراض والحياة البالية.

ولعلي اردت وهبالي الامان الجديد ان أسهم في تخفيض هذا الظلم العربي لهذا البلد العربي، فعمدت الى اعداد هذا الكتاب ..! واعترف صادقاً بأني قد احببت صنعاء.. تماماً كما أحبها قبلي (سام بن نوح) في التاريخ القديم! وانا احب الحصون القوية، واسم (صنعاء) مشتق من كلمة (تصنع) اي تحصن، وكم تمنيت لو كنت واحداً بين افراد وجوه العرب- ومنهم (قريش) الذين وفدوا الى صنعاء لتقديم التهنئة الى (سيف بن ذي يزن) بعد انتصاره على الحبشة! وكم تمنيت لو كنت احد الحضور في جلسات كبار الشعراء اليمنيين القدامى من امثال (امرئ القيس) و(عمر بن

معدى كرب)و (عبد الرزاق الصنعاني) او (وضاح الشهابي) او (علقمة ذي جدن) أو (نشوان الحميري)!.. وكم اشتهيت لو قدرت ان أؤدي الصلاة في (المسجد الكبير) في صنعاء الذي تم بناؤه بأمر الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم ونفذ الأمر الصحابي الكبير (معاذ بن جبل) وكم تمنيت لو كنت واحداً من الشهداء الذين دافعوا عن ثورة اليمن وقاتلوا لتثبيت وحدته، وكم حزنت لانني لم اكن شاهدا حاضراً يوم رفع علم الجمهورية اليمنية.

وهذا بلد اسلامي اصيل يضم اكثر من مائة مسجد داخل المدينة، واكثر من مائتي مسجد خارجها.

هذه عروس حلوة تعيش في احضان جبل (نقم)، ومازالت بعض احيائها القديمة قائمة حتى اليوم، ومازالت قصص اسواقها تظهر في المخطوطات القديمة، والكتب الجديدة! لقد ذكر الاستاذ المؤرخ (ولتر دوستان) انه كان في مدينة صنعاء- رغم صغرها- اكثر من ٤٩ سوقاً..!

وهكذا، هرع كبار رجال الفكر والادب والفن في العالم الى الحفاظ على هذا الكنز التراثي التأريخي وجاءت (اليونسكو)- المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم- كي تقرر عام ١٩٨٠ ضرورة صون صنعاء والحفاظ على طابعها التاريخي الفريد! وأن تلحق بصنعاء بعد عام تقريباً مدينة (شبام حضرموت) فتخصها بحملة دولية مماثلة ولا نبالغ اذا اعلنا هنا ان في اليمن اليوم اكثر من مدينة تاريخية أخرى تحتاج لاكثر من حملة وطنية ودولية.

وبعد.... إن هذا الكتاب هو عمل صحفي، وعمل تاريخي منسق الاجزاء متكامل البناء، تتناول فصوله التسلسل الحضاري لهذا القطر العربي العزيز كمدخل لفهم حاضره.

ولقد حاولت بذل جهدي لتأليفه تحت منظار وحدوي يشمل ارض اليمن الطبيعية عامة، ولا يقتصر على جزء منها كما صنعتها في الماضي انظمة حكم اجنبية واشكال سلطات متخلفة!!

والكتاب ليس تاريخاً فحسب، وانما هو بالإضافة الى ذلك يرسم الخطوط العامة لتطور اليمن السياسي الحديث وتسليط الاضواء على تاريخ مقاومة الشعب اليمني الباسلة ضد مستعمريه الاتراك والانجليز، وضد الطغيان الفردي للائمة والسلاطين، وهي الأمور التي لم تحظَ باهتمام الكثير من المؤرخين.

ومما حبب إليّ كتابة ونشر هذا الكتاب ايضاً هو ما اعتقدته ان ساحة المثقف العربي اليوم تجهل الكثير عن تاريخ هذا الشعب، ومصادره التاريخية حيث لا يجد ما يقتات به ويتزود منه بالمعلومات الضرورية عن هذا القطر.

لقد قامت في هذه المنطقة الدول والحضارات قبل ظهور الاسلام، وكانت عصور هذه الدول والامارات ذهبية، انتشرت فيها الخيرات ونبغ الكثير من اهلها في علوم الزراعة، وري الاراضي وهندسة العمارات والدور والقنوات وبناء السدود وصهاريج المياه ومختلف اشكال خزانات الماء وشق الطرق الى جانب ممارسة شؤون التجارة والتشريع والادارة العسكرية والمدنية والدينية.. وقد يتصور البعض ان الحديث عن تلك الفترات سيكون مملاً رتيباً، لكن هذا ا ن صدق على بلاد اخرى فهو ليس كذلك بالنسبة لليمن؛ فنحن نسافر اليها ونجدها ماثلة امامنا حيثما ولينا افكارنا أو اتجهنا على الارض بأنظارنا،لانها تمدنا بكل الاثباتات والشهرة.

وليس في وسعنا ان نتجاهل ما في الحديث من تشويق وعبر كثيرة من خلال المقارنة بين ذكريات الماضي والحاضر لان مجرد استرجاع حوادث الأمس كفيلة بأن تبين قيمة ما اتخذ في الحاضر وما فيه من حلاوة وطلاوة، كما أن فيه نوعاً من تبصير الأجيال الحالية بألاّ تقع في كبوات الماضي ومآسيه.

إنني لا اريد في هذه المقدمة تبين درجة الركود التي بلغتها الحياة قبل ان تنهض اليمن من كبوتها والى أي حد وصلت، ولست اعني بذلك ان

الناس فقدوا القدرة على التفكير والابداع، فإن للقوم صراخاً وغناء وانتاجاً وبناء ولكنه بقي مكتوماً لا يكاد يُرى ولا يؤثر. لقد فقدت فعاليته القدرة وتمكنت السلطة (الامامية) المشؤومة من إقفال منافذ الاصوات ومسارب النداء، فلا صحف ولا اذاعة ولا اندية ادبية ولا محاضر فكرية بل همهمات تفرضها الحياة وتستفيد منها السلطة! ان سياسة الصمت هذه سعت اليها المملكة المتوكلية اليمنية خلال اكثر من ٧٠ عاماً متآزرة مع سياسات القهر الاستعماري في جنوب اليمن، حيث كان الاتجاه الرسمي للدولة هو الصمت والانغلاق والانحدار الى العزلة.

فهل يمكن ان تحتسب هذه محاسن لتضاف الى سجل الحكم السالف الذي تسلط على شطري اليمن.

لقد ساد الصمت، وانعقد بكثافة هائلة وتثبت الانغلاق وتوطدت اسوار العزلة حتى بين ابناء اليمن انفسهم مدنهم ومناطقهم بل وقراهم، ولو استمر الأمر على ذلك الحال لانحط العلم وانحصر في بيوت معلومة لاغير! وانقرض الناس قليلاً قليلاً بفعل عوامل متعددة، لقد صمت كل شيء، لكن قسوة الصمت دفعت بالفكر الى ان ينشط للدفاع عن نفسه ومقاومة القهر والكبت ويثور ضد الاستبداد والاستعمار!!

لقد طلع الفجر بعد طول الظلام، وجاء الخلاص بعد القهر والظلم والجبروت، وقامت الثورات الكبرى لكي تنادي بالعلم الحق والمساواة.. ثم مع التطور والتنمية والصبر والعمل الدؤوب ومن عمق تجدد الثورة بعد تعرجات وصدمات مريرة، وتحديات خطيرة، جاء ميلاد اليمن الجديد بقيادة شاب ثائر اسمه: علي عبدالله صالح..!

وقال التاريخ بصدق:

- إن اليمن السعيد.. يستعيد مجده.

.... وسيبقى سعيداً بالتأكيد

هكذا كان قرار اهله! هكذا ينادي قادته وزعماؤه! هكذا سمعت من رئيسه علي عبدالله صالح وعدد من الوزراء والمسؤولين وهم يتغنون

أمامي بعظمة اليمن في الحاضر وينشدون زيادة ازدهاره في المستقبل، لذا فقد تركت اقوال هؤلاء الكبار كما سمعتها منهم وضمنتها صفحات هذا الكتاب قبل ان اكتب ماعندي.

هل اكتب عن الربع الخالي؟.

ان الربع الخالي او الدهناء هو اسم لصحراء مترامية الاطراف لاتزال الى يومنا هذا مجهولة الداخل، لايوجد في هذه الصحراء عيون ولا اودية ترويها ولا يهطل عليها من المطر إلاّ القليل، فإذا اعشبت أمّها رجال البدو لفترة قصيرة ثم يهجرونها بسبب الجفاف.

ويطلق عليها اسم الدهناء بسبب حمرة رمالها كما تسمى الربع الخالي لانها غير معمورة ومجهولة.

وقد حملتني طائرة الهليكوبتر فوق هذه الصحراء، ساعات خلتها دهراً، فقد استبد بي صمت الرمال واحسست بالقلق المخيف، او الخوف القَلِقْ، وتمنيت على قائد الهليكوبتر أن يعود بي الى صنعاء!

لكن الربع الخالي، لن يبقى خالياً! فغداً، تتفجر آبار البترول في قلب هذا الربع الرهيب لكي تملأ دنيا اليمن النامي الواحد والموحد خيراً وبركة!

غداً يهرع اهل اليمن الى اطراف الحدود، وجوانب (الربع) على امتداد المهرة ومأرب وحضرموت والجوف إلى اعماق (الربع) في اتجاه الشرق والشمال ومعهم الماء، والخبرة والأهل ويبنون المنازل وينشؤون الحدائق وتظهر في قلب هذه الصحراء مدن جديدة وحياة مزدهرة تتغذى بالحضارة والعلم.

غداً تتسع الرقعة الخضراء والمدن الجديدة في اليمن، وتضم رمالاً مازالت الى اليوم توحي بالفقر والجوع والرهبة وإغراء الاستكشاف ومغامرة الانطلاق!! وغداً تتحول الصحراء الى بساتين خضراء، ويحل المال والغذاء محل الفقر والحاجة!

● ● ●

ولكي نصل الى احداث اليمن المعاصرة يجب ان نسترجع- ولو باختصار- احوال الأمس القريب في بلاد اليمن.

نسأل مثلاً: مامعنى كلمة (الإمامة) وماهو مركزها في اليمن؟.

ونجيب: ان مركز الإمامة هو مركز ديني تحول الى منصب دنيوي محاط بالتملك والحكم المطلق، وقد تصارع ابناء الاسرة الواحدة في سبيل الحصول على هذا المركز.

لقد ذهبت الخلافة الرشيدة كما يعرفها الاسلام وحلت محلها إمامة منحرفة استغلها المستبدون لإشباع رغباتهم الفردية، فقد استغلوا بيت مال المسلمين ولم يرحموا المسكين. وفتكوا بالضعيف واستأسدوا عليه وأحلوا ماحرم الله وحرموا ما أحله وعاثوا في البلاد فساداً وتنكيلاً... الخ..

ترى ماهي قصة علاقة اليمن مع الانجليز؟.

لقد ابتدأ اهتمام الانجليز بالمنطقة منذ القرن السابع عشر أي منذ قيام شركة (الهند الشرقية) بأعمالها في الهند وفي مناطق البحر الأحمر، في عام ١٦٠٩م، لكن حملة (نابليون) على مصر في عام ١٧٩٨م عمقت هذا الاهتمام لأن نابليون كان يطمع بغزو الهند والاستيلاء على المراكز الاستراتيجية في منطقة البحر الأحمر والطريق الى شرق آسيا.

فبريطانيا حاولت ان تسيطر على البحار والممرات المائية حتى تتحكم بالتجارة الدولية واهتمت بالاستيلاء على ميناء عدن كمحطة لتموين السفن بالفحم.

ومن العوامل التي حركت المطامع البريطانية في اليمن مجيء جيوش (محمد علي باشا) للقضاء على الوهابيين في الجزيرة العربية.

وما زلنا نذكر اقوال (بالمرستون) وزير خارجية بريطانيا عندما قال: (إن بريطانيا العظمى لايمكنها ان تقف موقف اللامبالاة أمام أية محاولة من قبل محمد علي باشا لغزو او احتلال البلاد الواقعة في مدخل البحر الاحمر وما وراءه كما انها لاتريد ان ترى القوات المصرية مستمرة في احتلال اليمن).

وفي ١٩ يناير ١٨٣٩م احتلت بريطانيا ميناء عدن بعد ان لاقى جيشها مقاومة عنيفة من قبل اليمنيين رجّحت كفتها المعدات والاسلحة الحديثة التي كان يمتلكها جيشها، ومنذ ذلك التأريخ لم تهدأ المقاومة اليمنية ولم تتوقف الهبات والثورات المنادية بالتحرر والانعتاق.

لقد كانت السياسة البريطانية التقليدية حتى مجيء (السلطان عبد الحميد) هي مساندة رجل اوروبا المريض (تركيا) والوقوف بجانبها ضد المطامع الاوروبية وخاصة مطامع روسيا القيصرية وفرنسا. إلاّ أن الموقف تغير بعدئذ واصبحت المانيا هي القدوة والحليف الجديد للدولة العثمانية، فالجيوش اصبحت تدرب وتنظم حسب النظام الالماني وتعزز اهتمام تركيا بالبلاد العربية بمبادرة من المانيا.

ان ازدياد المواصلات التجارية عن طريق البحر الاحمر الى شرق آسيا واستراليا، وفتح قناة السويس عام ١٨٦٩م قد زادا من اهمية عدن الاستراتيجية والاقتصادية.

هذا بالاضافة الى احتلال مصر عام ١٨٨٢م من قبل الانجليز، في هذه الفترة وجد الانجليز انفسهم أمام وضع جديد في شمال وأواسط اليمن، فالاتراك العثمانيون عادوا ثانية لاحتلال اليمن، حيث كانوا في البداية ينظرون الى تحركات الاتراك بعين الرضا فوجود سلطة مركزية شمالهم ستكون افضل من الاوضاع السابقة المشتتة.

الا انهم سرعان ما احسوا بالخطأ واستماتت بريطانيا في دحر النفوذ العثماني، وبعد عام ١٨٧٨م لم تعد بريطانيا تتمتع باحترام سيادة الامبراطورية العثمانية مما ادى في عام ١٩٠٥ الى تخطيط الحدود بين المحميات البريطانية والمناطق التابعة للدولة العثمانية في جنوب الجزيرة العربية.

لقد استمرت المقاومة العنيفة ضد الاحتلال الانجليزي في الجنوب كما تواصلت المقاومة من الشمال ضد الاحتلال التركي، واصبحت اليمن تسمى بمقبرة الاناضول والاتراك.

ولم يكن مستبعدا ان تكون الثورة ضد الانجليز هي التي قصفت بالفقرة الرئيسية فى العمود الفقري للإمبراطورية التى لم تكن تغرب عن ارضها الشمس.

●●●

ولقد جرت أهم وأكبر محاولة لتغيير الحكم الفردي في اليمن عام ١٩٤٨م، اغتيل فيها الإمام يحيى الذي امتد حكمه حوالى ثلاثين سنة.

وكانت عناصر المعارضة تتألف من بعض العلماء والمفكرين والضباط العسكريين وعناصر اخرى تقليدية كلها تطمع في اصلاح الاوضاع!

وكان الامام يحيى قد حاول اثناء توليه الحكم ،القضاء على كبار علماء اليمن المتنورين وصادر ثرواتهم وممتلكاتهم.

إن الإمامة في اليمن كانت هي السبب في خلق وتعمق الطائفية في البلاد والتي استمرت طويلاً، بالاضافة الى ذلك، فإن النظام الضرائبي كان نظاماً قاسياً ارهق الفقراء والفلاحين ودفع الكثيرين منهم الى الهجرة للخارج.

وقد ادى هذا الى تنامي حركة المعارضة بين صفوف المواطنين في الداخل والخارج، كذلك محاولة الإمام حصر الحكم في البلاد بعائلته وتعيين ابنه سيف الاسلام احمد ولياً للعهد أثار ضده ايضاً عناصر كثيرة امثال آل الوزير وغيرهم.

تُرى لماذا اسوق كل هذه التفاصيل؟

نعم، انا اسوقها لكي أؤكد بأن هذا البلد الصابر لم يكفه ما اصابه- في تاريخه- على يد الغزاة والفاتحين والمستعمرين، حتى اصيب بحكم (الأئمة)من طراز السفاح الكبير الإمام (احمد يحيى حميد الدين) الذي اتسم عهده بالمزيد من الظلم والقهر، والعنصرية والفردية، وكل ذلك لم يمنعه- نتيجة غروره وحمقه - من أن يكتب الوصايا والنصائح ويوزعها على أمة العرب في الداخل وفي الخارج، وكلها صادرة عن (الديوان الامامي) في صورة (نصيحة غالية) يوجهها الى ابناء العرب وقادتهم في

كل مكان - عام ١٣٨١هـ في صورة قصائد شعرية هزيلة ساذجة اختار منها مايلي:

نصيحة تهدى الى كل العرب
ذوي البطولات العظام والحسب!
تدعوهم لألفة القلوب
ووحدة الصفوف في الخطوب
وان يكونوا كالبناء المرصوص
فيسلموا ندمة النكوص
مالي أراكم تملأون الارضا
قولاً يفيض حسداً وبغضا
ويصرخون من فم المذياع
بكل صوت ناشز الإيقاع
اقلقتموا مضاجع الآباء
ولم تصونوا ذمة الوفاء
فصرتم عاراً على الآباء
ولعنة في شفة السماء
فإن وعيتم يا ولاة الأمر
نصحي أمنتم غائلات الدهر
وعودة الماء الى مجراه
فينعم الشعب بما يهواه

وهذا هو بعض القيء الملكي (السامي) الذي ألقاه (إمام) تلك الايام، محاولا ان يخفي به عوراته، ويستر جرائمه، ويسدل ستار النصح والارشاد، على الذين يطالبون برأسه والخلاص منه.

واخيراً، بزغ الفجر، وقامت الثورة وبدأت مسيرة الوعي الديمقراطي الصحيح نحو الخير للجميع!

وقلت لنفسي:

- لابد من زيارة اليمن

فقد اثبتت آثار اليمن القديمة، من معابد وهياكل وقصور ان روح الايمان لم تفارق شعب اليمن مطلقاً..

كما اثبتت كتب التاريخ ان اهل اليمن استجابوا للدعوة الاسلامية ورأوا فيها انتصاراً للهدى والحق والخير..

كما اشتملت كتب التاريخ على العشرات من اسماء القادة الفاتحين من المسلمين الذين أنجبتهم اليمن جنباً الى جنب مع العشرات من العلماء والادباء والمؤرخين.

كما روى المؤرخون في العشرات من الكتب، المئات من القصص عن العلماء والمجتهدين في مختلف جوانب العلم والثقافة، الذين انجبتهم اليمن وخرجوا يملأون رحاب (الجزيرة) من فيض علمهم وادبهم!

ويؤكد التاريخ ان طابع حياة اليمن كان دوماً الصراع بين الحق والباطل، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الاخيار والاشرار، وأن الاستقرار او الهدوء او النوم الطويل لم يكن ابداً من مزايا اليمن او من صفاته في ذلك العهد المضطرب، فقد بقي اليمن يحارب الاجنبي لكي ينعم باستقلاله، ويطرد التركي تمهيداً لكي يطرد من بعده المستعمر البريطاني!

وعندما تسلط جبروت الامام الأخير (احمد) على اليمن، وشاخ الامام وتقلب فى فراش الافيون والموت الخفي وطال الظلام، ظن الناس أنه ومن بعده ولي عهده قادران على حكم اليمن الى يوم القيامة، وان اسوار القهر والجبروت لن تسقط ابداً من حياة العربية السعيدة، وان شعب اليمن سيبقى رهينة عند حاكم متسلط جاهل عنيد، لاهم له الا جمع المال ونشر الجهل وقطع الرؤوس حتى ولو كانت رؤوس إخوته والحكم بالحديد والنار! لكن الشعب اليمني كان له رأي آخر فانتقض وثار.

وجاءت ثورة سبتمبر/ أيلول عام ١٩٦٢م وكان الامام المتحجر قد سقط وغاب.. وجاء من بعده، دور ولي عهده لكي يسقط في نفس

الاسبوع ويغيب.

واستفاق العالم على صوت اليمن ينادي :

الله أكبر، لقد دقت ساعة الخلاص!

وادرك العالم ان إرادة شعب اليمن اقوى من إرادة الظلم والجبروت، وان لله جنوداً اذا أرادوا أراد.

وكنت من الذين صفقوا لثورة ١٩٦٢م وانا جندي في صفوف (جمال عبد الناصر).. وقد قابلت (السلال)، وقابلت (البيضاني)،و(جزيلان) وغيرهم، ورحت اقرأ كل ما يصل الى يدي من اليمن، وعن اليمن.

وطالت الأحاديث مع (انور السادات) عن اليمن، وكان زميلي في (دار الجمهورية)- القاهرة.

وكذلك مع (عبد الحكيم عامر)..

ومع سفير اليمن فيّ (جنيف) ومعتمدها لدى الجامعة العربية.

وعندما جاءت اللحظة المؤاتية طِرْتُ الى اليمن تسبقني اللهفة، والشوق، والمحبة.

وجاء الوقت للكتابة، حملت قلمي وبدأت السطر الأول في هذا الكتاب.

واعترف بأني احب البساطة، واحب الصراحة، واحب التواضع، واحب تناول الطعام على (شرشف) ابيض مفروش على الارض اليابسة الصحراوية بلا ملاعق ولاسكاكين!

واعترف بأني احب العراقة واحب الحضارة واحب التخصص في بناء المنزل، او تأليف النشيد او اداء الرقصة او اكل العسل أو أكل الحلبة التي تشفي المعدة والامعاء!

واعترف ايضاً بأني احب الحزن الخفيف، والحديث الخفيف والجمال الخفيف والطرب الخفيف.

وكل هذا متوفر في اليمن!

فكيف اذن، لا احبها ، ولا ازورها، ولا اكتب عنها!

لقد حملني الشوق قبل ان تحملني الطائرة.. ورأيت اليمن بأعصابي واحلامي، قبل ان أراها بعيني..

وها أنا اكتب اليكم من.. اليمن! وعنها!

لقد تعمدت ان أقابل اكبر عدد من رجالات اليمن وفي مقدمتهم الرئيس علي عبدالله صالح الذي صنع معجزة اليمن الحديث. كما عدت الى اكبر مجموعة من كتب المراجع العربية والاجنبية التي طرقت موضوع اليمن، واستعنت بها على استيعاب بقية الحقائق عن كل المواضيع المتعلقة باليمن السعيد.

وكان همي في كل ماكتبت، وفي كل خطوة قطعتها فوق أرض السعيدة، ان آخذ اليمن معي، الى اهلي وشعبي وامتي في القدس وبيروت وعمان ودمشق وبغداد والقاهرة وكل الدنيا واهديهم بعض ما رأيت وبعض ماعرفت.

ذلك ان اليمن، بكل مارأيت فيه قد شدني واستحوذ على قلبي ومشاعري وحاز محبتي ونال اعجابي وحنيني، واجبرني على ان أقطع معه وعداً وعهداً لا اخلفه، بأن ابقى معه على اتصال دائم.

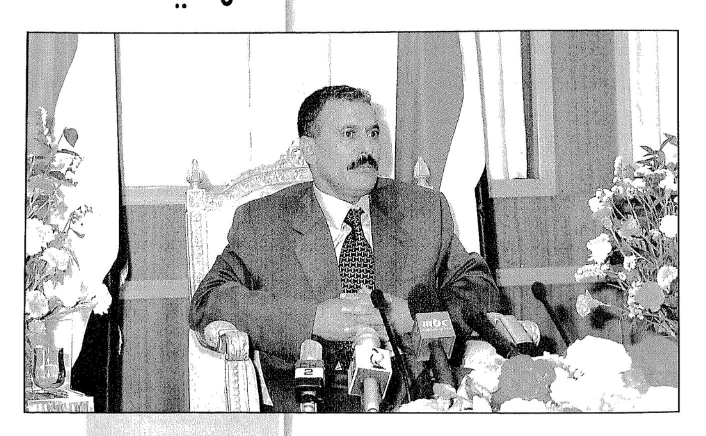
وقديماً كان اليمن هو ذلك المجهول عند بعض العرب.

واليوم، اصبح اليمن هو المعروف والمحبوب والمرتجى عند العرب.. عند كل العرب! والله معنا.

● ● ●

الفصل الأول

علي عبدالله صالح صانع الوحدة ومؤسس دولة اليمن الحديث



شبه شاعر يمني حكم اليمن بامتطاء الليث لصعوبته ومخاطره.. فطبيعة الارض الجبلية اليمنية وعرة وطبيعة المجتمع أشد وعورة بالرغم من السهولة والبساطة التي تنطبع في ذهن الزائر منذ اول وهلة تطأ فيها قدماه ارض اليمن.. فمن السهل جداً لأي انسان قادم أن يتعرف الى الناس ويخلق معهم لغة مشتركة عن أي موضوع يدور حوله الحوار فالبساطة من العادات التي تميز اليمنيين وهي مرادف للكرم الذي يقاس به كثيراً الانتماء لنسب عريق. لكن بمقابل تلك الصفات ثمة جوانب غموض شديدة في الشخصية اليمنية يمكن تسميتها بوعورة المجتمع اليمني الذي يبدو شديد الشبه بجبال المنطقة الوسطى من اليمن التي تسُر خضرتها الناظر ويصعب على غير الخبير تسلقها.

ان اي مواطن هنا لايقتنع برد المسؤول المباشر عند عرض قضيته وقد يصل الى اعلى مستوى في الدولة (رئيس الدولة) الذي لايتبرم من التوجيه كتابياً بمعالجة القضية واعادة المعالجة في حال الخطأ.

واذا كان حكم اليمن كامتطاء الليث في الظروف العادية فكيف يكون في الفترة الاشد تعقيداً وخطورة من تاريخ اليمن الحديث؟ كان النصف الثاني من عام ١٩٧٨م اكثرها حلكة وتعقيداً لقد فقد المواطن العادي الأمل

في أن تقوم قائمة لهذه الدولة التي يتراجع نفوذها الى حدود منشآتها في المدن الرئيسية وتتراجع هيبتها الى اسوار العاصمة، واتسع التندر بالحكومة بأن نفوذها لم يعد يتجاوز (باب شعوب) أحد الابواب الرئيسة القديمة لمدينة صنعاء وهو قريب جداً من القصر الجمهوري.

قبل سنة لقي الرئيس ابراهيم الحمدي حتفه في حادث غاشم ولم يكد يمضي العام حتى لقي خلفه المقدم احمد حسين الغشمي مصرعه في حادث (الحقيبة الدبلوماسية) القادمة من عدن وبعد يومين من حادث صنعاء قُتل في عدن الرئيس الجنوبي سالم ربيع علي.. وفي مناطق واسعة من جنوب الشمال يدور قتال عنيف بين الجيش الرسمي والفصائل الماركسية المسلحة وفي صنعاء نفسها يتهيأ قادة عسكريون للانقلاب على النظام وتحوك بعض الاحزاب السياسية الناشطة تحت الارض والممولة من الخارج مؤامرات للانقضاض على الحكم، ومن الطرف الآخر تتقدم القوات السعودية عدة كيلومترات داخل الارض اليمنية.

كان عام ١٩٧٨م عاماً عصيباً في اليمن، وباختصار فقد عصفت رياح الاضطراب السياسي وصراعات السلطة بقوة في بنى الحكم اليمنية في كل من صنعاء وعدن فالواقع الذي كانت تعيشه اليمن حينها معقد للغاية الى درجة جعلت الكثيرين من هواة السلطة ينفرون منها (ففي ذلك الوقت افزع منصب الرئاسة كل الشجعان، لأنه رادف القتل العنيف، فأصبح الطموح اليه فرار منه وعلى خطورة ذلك المكان قبل (علي عبدالله صالح) ترشيح مجلس الشعب له رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة وكان عمره يتخطى الثلاثين بقليل).

لقد تراجع السياسيون المجربون من الواجهة الى الصفوف الخلفية كلهم يريدون كبش فداء يغامر بنفسه أولاً ويتحمل مسؤولية الانتكاسة التاريخية في وقت توقع المراقبون الدوليون ان القادم الى الحكم لن يستمر في قيادة البلد أكثر من عام أو عامين، وربما شهور قليلة.

هل كان الفتى (علي) الذي اعياه التعب في عام ١٩٥٨م وهو يبحث

عمن يكفله للالتحاق بالجندية يعي انه في يوم ما سيتقدم الصفوف لتقديم نفسه فدية لبلاده..؟ (جاء علي عبدالله صالح كما يذكر المفكر اليمني عبدالله البردوني – من أنقى الشرائح الشعبية، ومن اكثرها انتاجاً فهو من طبقة الفلاحين الذين عجنت تربتهم أنامل الأشعة وقبلات المطر.. ودرج على الارض التي يرويها العرق الانساني وعبير السنابل وتتكئ عليها أهداب المجرات، فمن المعروف عن قبيلة (سنحان) قوة التفاني في الأرض وعشق الفلاحة يتساوى في هذا الرجل والمرأة لأن الارض ينبوع عطاء الرب الذي وضعها للأنام وزخرفها بالخضيرة والانداء).

(تلقى علي عبدالله صالح القراءة والكتابة بذكاء ابن الفلاح ثم التحق بالجندية في (بلوك سنحان) فتحول من موقع شعبي الى موقع أوفر شعبية وعندما حملت الثورة فجر اليمن الجمهوري كان الرئيس من جنودها الأوفياء على امتداد مسيرتها القتالية، برغم أن بعض أشباه الاقطاعيين من منطقته وسائر المناطق اليمنية تاجروا بالحرب بين المعسكرين، وجارى بعض جنود النظام تجار الحروب أما علي عبدالله صالح فإنه يؤكد في كل أحاديثه جنديته للثورة ولا يدعي ما لا يفعل ولا يحب ان يدعي له أحد، لانه خير من يعي ان نفاق المديح يعزل الممدوح عن الحقائق الموضوعية..).

(انتقل من الفلاحة الى الجندية فكان تناميه من الشعب إليه، وكان ترقيه بتدرج خبرته، فمن حركة يونيو ٧٤ الى ٧٨م مارس الاختبار المباشر في العسكرية والوطن..).

ثمة مقولة تنتشر في الاوساط العسكرية الدنيا نسبت الى اكثر من زعيم عالمي تقول ان الجندي الذي لايطمح ان يصير يوما وزيراً للدفاع او قائداً لجيوش بلاده ليس جديراً بالجندية.. وطموحات الفتى وهو يلتحق بالجندية بالطبع لم تكن بذلك البعد لسببين الاول ارتباطه بزملاء احلامهم محدودة بحدود البيئة المحلية حيث ينعدم التعليم النظامي الحديث والثاني بعد المناصب القيادية عن احلام ابناء الشعب وانحصارها كامتيازات لعدد من

الاسر المقربة من النظام الإمامي والتي تنتهي الى ذات النسب الهاشمي لذلك كان انتماؤه لحلقات الثوار في الجيش انتماء للمستقبل ليس فقط على الصعيد الشخصي لتحقيق طموحاته وانما لتغيير نمط الحكم الجائر على الشعب.

في الجندية تشكلت شخصية الشاب على نحو خاص حيث ظهر في الظروف الجديدة التي شهدت تحديثاً للمؤسسة العسكرية متميزاً عن اقرانه الضباط، جمع ميزتين قلما توافرتا مجتمعتين لأحد من زملائه الذين كانوا اما مغامرين الى درجة العبث بالنظام أو منضبطين الى حد الخوف من الأوامر فظهرت افضليته انضباطاً كعسكري من دون النظر الى الرتبة التي يحملها وافضلهم جرأة كسمة قيادية.. فيقول عنه رئيس يمني راحل انه (ضابط الضباط).

لقد وضع الضابط الشاب حياته فدية لاستمرارية حياة شعبه ولاحقاً يقول : (كنت اشعر بصعوبة المهمة واعرف ان فقداني لحياتي سيكون في اي لحظة لكن التضحية لانقاذ الوطن سهلة.. لقد اخترت كفني ولم أخشَ شيئاً عندما طلب مني تحمل المسؤولية وماكنت اخشاه ان ينتكس الوطن).

دفعت الضرورة بالرئيس علي عبدالله صالح للقبول باختيار الشخصيات الوطنية التي رأت فيه الشخص القادر على امساك البلاد دون التدهور.. والضرورات في حياة الشعوب هي التي أوجدت قادة من نوع فريد مضوا بشعوبهم من حالات الهزيمة والانحسار الى النصر والقوة.

وبين الصدفة والضرورة فرق كبير في حياة الاشخاص كأشخاص وتأثيرها على حياة الشعوب، فبالصدفة قد يحقق بعض الاشخاص قفزات صغيرة أو كبيرة لكنهم فيما بعد يصبحون عوائق امام شعوبهم لأن الذين تأخذهم الرياح الى اماكن اكبر من الحجم يكونون فيما بعد اضعف من اتخاذ القرارات الحاسمة وبالتالي فإن فرص البقاء تصير محدودة أما الجزء الأهم من القادة الذين يذكرهم التاريخ فهم اولئك الذين اوجدتهم الضرورة في الشدائد.

لقد كان من الممكن ان تتولى شخصية أخرى سياسية او عسكرية قيادة البلد لكن ليس على النحو الذي قادها به علي عبدالله صالح كان مستحيلاً. ولو تخيل مراقب ما سيناريوهاً مستقبلياً يصور اليمن القادمة لأمكن بأقل الكلمات واقصر التشبيهات القول إنها (بوليفيا قادمة) أو (بوليفيا عربية اخرى) بدلاً عن الجمهورية العربية السورية التي اشتهرت بالانقلابات وسميت (بوليفيا العرب). يذكر مؤلف (اليمن الجمهوري) ان مجرد الاقتدار على الاستمرار من منتصف ٧٨م حتى عام ٨٠م كان اهم الاحتياجات الامنية في ذلك الوقت ففي ظل الاوضاع غير المستقرة يمكن لبعض النزعات ان تنشأ ويصير اليمن المشطور اثنين اكثر من ذلك الرقم على غرار الدويلات المجاورة علي الخليج العربي خصوصاً ان استقرار الجمهورية العربية اليمنية امرٌ لم تكن ترغب فيه الدولتان الجارتان الواقعتان الى الشمال والى الجنوب.

ففي الجنوب كانت الدولة الماركسية تصدر القلاقل والاضطرابات وفي الشمال كانت المملكة العربية السعودية تريد اليمن محمية من محمياتها وتتعامل معها كما تتعامل الولايات المتحدة مع جمهورية الموز. وكان سلاح الماركسيين الشعارات البراقة والأيديولوجيا المنمقة. اما سلاح السعودية فهو المال في مواجهة دولة فقيرة ودون عقد مكتوب اتفق الشيوعيون وامراء النفط على إرهاق الجمهورية الضعيفة ولم يكن بمقدور أحد غير علي عبدالله صالح ان يخرج البلاد من فكي الكماشة وان يقودها الى بر الأمان ثم يتحول الى الهجوم السياسي السلمي لتحقيق الوحدة.

منذ اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية واليمنيون يبدون تخوفهم من ملاقاة نفس المصير اللبناني.. كما تجددت الهواجس، بداية التسعينات، مما اسمته الصحافة المحلية (الصوملة) اي ان تؤول بلادهم الى نفس مصير الصومال في الجوار الافريقي ومع ان الظرفين الزمانيين تشابها في احداثهما وتشابها الى حد ما مع احداث البلدين العربيين الآخرين إلاّ ان اليمن خرجت من المنعطفين.

كثير من التشابة بينه وبين الزعيم جمال عبدالناصر بدا لي وانا التقيه في صنعاء متسائلاً في ذاتي من هو علي عبدالله صالح.؟

وببساطة انه ابن بيئته المحلية خرج من شرائح القوة المنتجة التي تصنع رغد البلاد فالفلاحون هم الفئة الاوسع في اليمن وهم طاقة الانتاج والعطاء ومواطن البراءة والطيبة. وقد انتمى الى السلك العسكري كما فعل الزعيم جمال عبدالناصر الذي كان ايضاً ابن بيئته – لقد عاش جمال عبدالناصر مأساة حرب فلسطين كضابط ورأى بعينه معاناة الجنود وتألم من تصرفات القادة العسكريين الذين لم يكترثوا بحياة مرؤوسيهم، فقطع عهداً على نفسه انه لن يدخل اي حرب الا بعد استنفاذ كل امكانيات السلام.. وعلي عبدالله صالح محارب امضى الستينات مقاتلاً في جبال اليمن دفاعاً عن الثورة ومدافعاً عن صنعاء في حصار الايام السبعين الشهيرة، جرح مرات عدة ورأى ما احدثته قوى الثورة المضادة من دمار وكم خلفت من ضحايا فكان دائماً يقف ضد الحرب مع ان اولى ايام قيادته للبلد كانت تفرض عليه الحرب فرضاً فحاور المعارضين وكان اول رئيس يحاور المعارضة الماركسية التي اعتبرت اللقاءات غير المعلنة بمثابة اعتراف ضمني.. وقبل حرب ١٩٩٤م حاور وقدم تنازلات كثيرة للذين اعدوا ونفذوا فتنة الحرب والانفصال في اليمن من القادة الاشتراكيين وحلفائهم لكن الحرب للمرة الثانية فرضت على البلاد وهددت وحدتها.

ولم يكن علي عبدالله صالح وشعب اليمن أمام الإنفصاليين وحدهم في الداخل، ولكنه وجد نفسه قبالة تحالف كبير مدعوم من قوى خارجية في مقدمتها المملكة العربية السعودية التي انفقت مئات الملايين من الدولارات واشترت أحدث الأسلحة والمعدات لقوى الإنفصال. وكان هذا الحلف المالي – العسكري – الحزبي كفيلاً بإثارة الرعب والتردد والهزيمة لولا قوة الحق وجسارة القائد وإرادة الشعب.

عُرف عن علي عبدالله صالح بساطته واستماعه بانتباه لمحدثه، يستمع

اكثر مما يتكلم واذا تحدث فإنه يوجز بأقل قدر من الكلمات، انه يحدد هدفه قبل البدء في العمل وبوعي كامل تكون خطواته ولو عقد المراقب مقارنة بينه وبين اسلافه من الزعماء اليمنيين السابقين فسيجد تميزه في امتلاك عقلية عملية بعيدة عن الخيالات والهواجس..

اتى الى السلطة حاملاً مشاريع استراتيجية لم تكن من نتاج الظرف الزمني الذي وجد فيه وانما هي في جوهر اهداف الثورة اليمنية رفعها زعماء يمنيون سابقون كشعارات لكنهم ظلوا بعيدين عن الاهداف ولم يقتربوا منها إلا بالخطاب السياسي الجماهيري لكسب التعاطف والتأييد مما قيد سياساتهم بين نقطتين متقاربتين تراوحتا ذهاباً وإياباً، بين الهدف والشعار.. بينما كان بالإمكان في تلك الفترات وضع اهداف اقرب الى التنفيذ تصبح لاحقاً اسباب قوة للوصول الى الغايات. لكن العاطفة والميول السياسي جعلا السياسة اليمنية تدور حول حلقة مفرغة لم تخدم السياسة الخارجية او الداخلية ولم يهدف الزعماء من سياساتهم الداخلية تقوية مركز اليمن فقد كانت الحكومات المتعاقبة اما ناظرة الى البعيد دون ان ترى العوائق من حولها أو منغمسة في قضايا اليوم ولاترفع الرأس لترى ماذا ينبئ به الغد. وبسبب الجهل بحقائق المجتمع اليمني ومحاولات القفز الحالم فوق الواقع وقعت البلاد في مطبات مدمرة نتائجها على قوى الثورة وبانتكاس العديد من التجارب وحدثت تراجعات وانكسارات نفسية أضعفت تيار التحديث لصالح تنامي مكانة ودور القوة التقليدية التي عززت مواقعها تدريجياً.

إن أفظع الأخطاء السياسية هي تلك القرارات العجلى التي لم يحسب متخذوها للممكن والمستحيل في ظل أوضاع معقدة، ولعدم الحساب لمكان وضع القدم في الخطوة التالية ولذلك أعيدوا خلفاً لأنهم قفزوا فوق حقيقتين اساسيتين لهما الدور الفاعل في التأثير على حركة واتجاه الأحداث. فلم تنطبق الشائعة عن التسرع السياسي (وضع العربة قبل الحصان)، على واقع بمثل ماعبرت عن السياسة اليمنية السائرة وفق قوانين غريبة

ومنطق أغرب وضع الأولويات المرحلية في غير مكانها وتقدم الاستراتيجي على التكتيكي كما توضع العربة قبل الحصان، فبقدر ماكانت تلك السياسات انعكاساً للواقع المتخلف كانت ايضاً تجسيداً لقصور معرفي في القيادات الشابة عديمة الخبرة والشخصيات التقليدية الطاعنة في القدم، وجهل بحقائق التاريخ التي كانوا على صلة غير معرفية بها وبشروط الضرورة لحاجات البلد كأساسيات لبناء الدولة الحديثة.

على أن الحكم منذ مطلع الثمانينات اظهر قدرة على استيعاب الواقع والاستفادة من التاريخ وأماط اللثام عن ميزتين رئيسيتين في شخص القيادة الأولى دلالة على نبوغ مصدره، الذكاء الفطري، والثانية عمق معرفي للتاريخ مستخلصاً منه العبر والدروس، ومدركاً من خلاله حقائق وقوانين واعراف الحياة كنظم واسباب ادت الى الازدهار الحضاري القديم. عندما تراجع العمل بها حلت الدويلات محل الدولة المركزية والقبائل المتصارعة مكان المجتمع المتماسك.

اختزلت الحقيقة الأولى في الميثاق الوطني عبر التاريخ في أن (الشعب اليمني لم يصنع حضارته القديمة إلا في ظل الاستقرار والأمن والسلام ولم يتحقق له ذلك إلا في ظل وحدة الأرض والشعب والحكم ولم تتحقق له الوحدة إلا في ظل حكم يقوم على الشورى والمشاركة الشعبية).

لقد رتب الزعماء السابقون أوراقهم وفق الرغبات الذاتية حيناً أو الاملاءات الخارجية احايين كثيرة فعادت بكوارث وحروب الحقت اضراراً بالغايات فكانت الوحدة عند البعض الغاية الموصلة الى بقية الغايات وتلك الرغبة غير الواقعية حولت الوحدة نفسها الى مظلة لمؤامرات بعدها حروب.

كان على القادم الى الحكم نهاية الثمانينات أن يحمل ذنوب اسلافه ويحمل موروثاً ثقيلاً لافكاك له منه ولانهاية له بحدود التخلف الاقتصادي والتمزق السياسي والحروب الشطرية وانما يصل بؤس النظام الى ارتهان القرار للخارج القوي والغني الذي يؤثر عليه ويتخذه بوسيلتي

ضغط دائمتين تمسكان صنعاء من موضع الألم وتدفعان أي حكومة للتراجع والاعتذار عن أي قرارات داخلية بذنب عدم الحصول على الموافقة. وعادة ماكانت تتخذ اجراءات ضغط عنيفة بقطع استحقاقات الجهاز الحكومي المعتمد على دعم الرياض.. فالإرث الثقيل الموروث من الزعماء السابقين جعل دولة غير قادرة على كفاية نفسها فوجدت السعودية في ذلك فرصتها لشراء القرار اليمني بعد أن كانت قد ضمنت بعض الرموز القبلية في صفها تمارس بها الضغط، فأصبحت أي خطوة اقتصادية أو سياسية تخطوها اليمن تثير التحفظ خاصة أن اليمنيين انتقلوا مع الطفرة النفطية في الجوار الى نمط حياة جديدة غلب عليه الطابع الاستهلاكي والابتعاد عن الانتاج فكانت قوة العمل اليمنية في السعودية الوسيلة الثالثة للضغط.

فأي تحرك نحواجراءات استقلالية سيؤدي الى كارثة، ومن شأن التفكير بتحقيق قدر محدود من الاكتفاء الاقتصادي أن يُفسر استعداء ونزوعاً نحو الاستقلال الذي يصبح خطراً على المملكة المحكومة بأسطورة وصية حول وحدة اليمن وقوته اللتان من شأنهما اضعاف الجار.

منذ كرب آل وتر الملك اليمني الذي يذكره التاريخ كأول موحد لبلاده كان بمقدور أي قائد امتلاك القوة لتوحيد اليمن وتحقيق الازدهار الحضاري بمراعاة شرطي الأمن والاستقرار والمشاركة الشعبية. أما الآن فإن الوحدة لم تعد شأناً يمنياً محضاً وانما قضية في الصراع الدولي وقضية في الترتيب الاقليمي بالإضافة الى ان مقومات القوة ليست في أيدي اليمنيين الذين انطلقت سياستهم في الستينات من واقع خلف الصفر اقتصادياً وتحت مستوى خط الفقر وأدنى من مستوى النمو الطبيعي وبعيداً جداً عن العصر الحديث.

كان علي عبدالله صالح يمضي مثقلاً بالهموم والأحمال على درب كحد السيف مسافة طويلة وسط محيط يتنازعه يميناً وشمالاً فإن مال يميناً سقط وان اهتزت سياسته شمالاً وقع في نار أخرى. ومثل هذا الطريق الذي يختاره لم يكن سهلاً في ظل اوضاع سياسية غير مستقرة وظروف اقتصادية شديدة في التخلف وتدخلات خارجية مؤثرة في صنع القرار اليمني وتحديد توجهاته.

ولم تكن المهمة احادية تخص مجالاً بعينه فلو كانت اقتصادية محضة مثلاً لكان من السهل تجنيد الطاقات والامكانيات لإحداث نهضة. لكنها مهمة شاملة.

لقد كانت احتمالات الحرب بين الشمال والجنوب مازالت قائمة خصوصاً ان القادة الاشتراكيين في الجنوب يشعرون بالقوة أمام الشمال المفكك الذي انهكته الصراعات والتفتتات الحزبية والتدخلات الخارجية، ومثل تلك الفرصة لن تتعوض خصوصاً وان المنطقة الحدودية التي تسمى بالمنطقة الوسطى لم تزل بعض مناطقها بأيدي العناصر المخربة المدعومة من النظام الشيوعي في عدن التي تنطلق من اراضيه وتصب اهدافها واهداف القيادة الماركسية هناك في اقلاق صنعاء وتصدير المتاعب اليها خوفاً من ان تستقر وتتمكن من تشديد الضغط على عدن لإسقاط النظام الشيوعي وإقامة الوحدة.

على ان علي عبدالله صالح لم يكن سهلاً وان كانت الجمهورية العربية اليمنية تبدو فريسة سهلة في ذلك الوقت، لقد ابدى الرجل الذي قدم الى السلطة من المؤسسة العسكرية قدراً كبيراً من المرونة في التعامل مع المستجدات جعلت قادة الحزب الاشتراكي يعترفون بمرونته التي اضاعت الفرصة السانحة لوصول الجنوب الى الشمال او بعضه بعد أن كانت بعض الحسابات تذهب الى حد التأكيد بأن العقيد الجديد لاتتجاوز معارفه السياسية إلاَّ قليلاً من معارف اسلافه الذين هزمتهم الصراعات فأقصوا من السلطة أو لقوا مصرعهم وهم في سدتها فهو كما اعتقده قادة الجنوب سيهيء للقضاء على نفسه بفورة غليان شعبي يتشارك فيه عدد من

القرارات والاجراءات غير الصائبة التى تزيد الوضع تفاقماً مع تأجيج الدعاية والدعم الماركسيين.

لقد تجنب علي عبدالله صالح نطحة قوية مؤكدة من النظام في عدن فيما واصل على مستوى الداخل تنفيذ سياسة أمنية حازمة قضت على مواقع الإقلاق الأمني أولاً لتحقيق الاستقرار لدولته.

ومع أن الانتصار على الفصائل الماركسية عسكرياً بعد سلسلة من الهجمات الناجحة صار اكيداً على الخارطة المعلقة بمكتب القائد العام للقوات المسلحة وان انحسار المد الشيوعي، سيكلف بضع سنين لإعادة ترتيب صفوفها إلا ان ذلك لم يكن يعني نهاية حروب الداخل وانما نهاية جولة واحدة قد تأتي رياح الصراع في هذا الركن المضطرب من الجزيرة العربية بجولات اخرى وبأطراف جديدة للصراع تتفاعل تحت السكينة ثم ماتلبث ان تثور.

كان يكفي قائداً عسكرياً هذا النصر ليعيشه بضع سنين زهواً وظلاً وفراشاً يعصره ويرفع انخابه كلما دعت الحاجة.. لكن الثغرة التي تتسرب منها عواصف الاضطراب ستظل باقية على جدار هش تنتشي خلفه القيادة بانتصارات آنية تحجب الرؤية عن مايحمله الغد.

ان ميزة الرئيس اليمني تكمن في انه تغلب على انتظار الفعل للتعامل برد الفعل وانتقل الى موقع مهم في سياسته وهو اخذ زمام المبادرة ليس فقط السياسية ولا العسكرية التي قال عنه معارضوه انه بادر الى الحوار مثلما أخذ زمام المبادرة العسكرية وإنما ايضاً الى مبادرات تحديث النظام السياسي والنهوض بالمشاركة الشعبية الى مستوى لم يتحقق من قبل. وكان ذلك بداية لعمليات قادمة لم يدرك احد الاهداف البعيدة لخطوات الرئيس حينها.

كذلك فإنه أولى اهتماماً مركزاً بإنعاش البلاد اقتصادياً بتحديث وتطوير البنية الأساسية واستخراج النفط وإنشاء السدود وقنوات الري وتحديث التعليم والخدمات الصحية والطرق والموانئ ومحطات الكهرباء والاتصالات وغيرها من الخدمات التي نقلت الإنسان اليمني الى القرن

العشرين.. وبذلك توفرت مناخات الاستثمار امام رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية وارتفعت دخول الأفراد والشرائح الاجتماعية.

وأمسى مؤكداً ان المعادلة انقلبت على عقبيها وتحولت الجمهورية العربية اليمنية من موقع الدفاع الى الهجوم.

لقد امتلكت زمام امرها وكرست استقلالها وتحررها من الهيمنة السعودية ومن الضغط الشيوعي وأصبحت قادرة على قيادة الهجوم السلمي ضد نظام عدن الذي أخذ يعلن صراحة رفضه للوحدة الفورية، بعد أن كان يرفع شعارها زيفاً وخداعاً لخلق جبهة معادية لصنعاء يحتمي خلفها للدفاع عن نفسه من هدف الوحدة الحقيقي.

وجد المواطنون في الجنوب وضحايا التصفيات السياسية في الحزب الاشتراكي أن شعارات العدالة والتقدم والوحدة التي تتردد في مذياعهم تمارس بالفعل في صنعاء، وأن الديمقراطية والتسامح والسلم الاجتماعي وحرية الرأي والتعبير مكفولة في اطار النظام السياسي الذي أرساه هذا القائد، والذي تخفي بزته العسكرية شخصية ديمقراطية من الطراز النادر.

وكان هذا كله داعياً لإثارة حفيظة أمراء المملكة العربية السعودية، فلم يجدوا وسيلة غير مد يد العون للنظام الماركسي المهترئ.

ومن اجل ان يعيقوا عملية الوحدة، وفي مواجهة الهجوم السياسي والإعلامي للرئيس علي عبدالله صالح نحو هذا الهدف ضخت الرياض المساعدات المالية النقدية والعينية لحكام الجنوب وانطلقت أساطيل السيارات والناقلات من الرياض الى عدن، وأصبح خصوم الأمس اصدقاء اليوم.

لكن الرئيس علي عبدالله صالح نقل موضوع الوحدة من حوار الصالونات والقنوات الدبلوماسية الى الشارع اليمني. وخرج يحث الجماهير ويؤكد لها أن الوقت حان لإنجاز الهدف العظيم.

وقد كانت زيارته لعدن في ٢٨ نوفمبر ١٩٨٩م نموذجاً للفعل السياسي

الذي يستند الى الجماهير، فقد هيأ لها بحملة دعائية واسعة حركت جماهير الشطر الشمالي، ولم ينطلق نحو عدن إلاَّ على اصوات الجموع المدوية التي خرجت تطالب بالوحدة.

ويوم وصل الى عاصمة الجنوب كانت الجماهير هناك قد خرجت عن بكرة ابيها، بحيث لم تضع خياراً امام قادة الحزب الاشتراكي غير القبول بالوحدة أو السقوط تحت اقدام الجماهير.

وهكذا وقعت اتفاقية ٣٠ نوفمبر ٨٩م تحت ضغط شعبي جارف عاد بعدها الرئيس الى صنعاء ليواصل التهيئة السياسية التي اختصرت زمن تنفيذ الاتفاقية من سنة الى ستة أشهر.

واعلنت وحدة اليمن، وبدأت مسيرة جديدة لهذا البلد العربي العزيز مازالت اصداء هديرها تسمع الى اليوم.

نهاية التسعينات واليمن تتهيأ للانطلاق الى القرن القادم تبدو احداث وسياسة نحو عشرين عاماً مضت وقد تناسقت وسارت بانتظام ويتراءى للباحث والمراقب المحايد ان التشكيل الرديء للاشياء على خارطة عبثت بها الفوضى زال تدريجياً مع بداية الثمانينات بين العام الأول والثالث، اللذان كانا في ترتيبهما على حد تعبير المفكر اليمني عبدالله البردوني امتداداً للجمهورية الثالثة.

على أن ذلك التصنيف المبكر اصبح متأخراً كون سمات فترة الرئيس علي عبدالله صالح لم تكن تشكلت بوضوح في السنين الأولى وانما بدت بعض ملامحها التي تبدأ بصفحة جديدة مميزة في حياة اليمن جمعت بين اصالة الشعب وحضارة العصر الذي تعيشه البلد.

إن البلد الذي عاش اطول الفترات من الاضطرابات السياسية، والانقسامات يعوزه الهدوء والمراجعة لإرهاصات الماضي، وفي جدول المهام كل شيء يحتل أولوية. لكن الواقع السياسي المحلي والاقليمي والدولي أيضاً يضع أمام السياسي الطموح عوائق كثيرة تداخلت فيها المصالح والايديولوجيات والصراعات والرغبات، وقبل حساب الظروف

الموضوعية من الجهل الشديد بسياسي الاقدام على مغامرة دون حساب نوعية القاعدة التي يرتكز عليها وليس أمام القيادة الجديدة من متاح في أي اتجاه سوى تجريب القدرة الذاتية في موازنة الاشياء وتقدير الممكن ووقته بينما الطبيعة العجلى لليمني من اكثر الاسباب وابرزها للإرهاصات.

في هذا البلد يشعر الانسان ان كل شيء وضع على عجل وان حياة المواطن قلقة الى حد كبير وبدون اسباب يريد كل شيء في وقت واحد وكأن الحياة تخلو من أيام أخر وفيما عدا مجالس (القات) التي يلوك فيها الرجال اغصانه في المقيل ساعات فإن كل شيء في حياة اليمنيين يبدو عجلاً..

ان طبيعة اليمن قلقة وباطنها كان مخزناً للبراكين التي ثارت في الأزمان الماضية فحولت التربة الى تربة بركانية.

أما الطبيعة الشخصية للرئيس اليمني فإنه لايبدو منها قلقاً الا حركة العينين اثناء الازمات بينما سياسته اعتمدت مبدأ آخر وجديداً تمثل في (الخطوة، خطوة) مع شمولية الخطوة الواحدة لمختلف المجالات، فالاشياء وفق رؤية الرئيس صالح غير منفصمة تتحرك في الزمن الواحد بسرعات مختلفة بنظام ما ينسق حركتها.. بينما تعني الخطوة الواحدة مسافة مهمة في مسير الميل والألف ميل الأمر الذي يعني ان الخطوة الواحدة قد تكون مقدمة لقفزة سريعة اشبه بالطفرة كما تحكي ثمانينات اليمن.

فقد كانت مشاريع كثيرة أشبه بأحلام غير ممكنة التحقيق يحلم بها الناس مع المعرفة بعدم امكانية تحقيقها ومن كثر وعود الزعامات بالتحقيق صارت تبتعد اكثر واكثر في التقدير الشعبي فالبلاد كانت موحدة تاريخياً وانشطرت، والحضارة قامت في هذا الجزء من العالم، لكن البلاد تسير في مؤخرة الدول محاولة اللحاق بركب العصر، فالتاريخ باقٍ في الكتب تشير اليه الاعمدة المتبقية من عرش الملكة بلقيس في صحراء قافرة بالقرب من مكان السد الذي تفرقت بانهياره (ايادي سبأ).

على أن إعادة بناء السد التاريخي الذي يفاخر به أبناء سبأ بقدر ما هو انجاز في الحاضر فإنه بالنسبة لفترة حكم الرئيس علي عبدالله صالح يحمل معاني كثيرة.

فهل هو الرجل الذي تشير اليه الحكايات الشعبية بـ(علي) الذي سيوحد البلاد ويحكمها من اقصاها الى ادناها ويشهد حكمه احداثاً وتحولات جذرية..؟

تلك الحكايات والروايات شيء، والواقع شيء. فعلي عبدالله صالح ليس شخصية اسطورية تأتي من مكان غامض على حصان ابيض بل جاء من البيئة المحلية ومن معاناة أبناء شعبه واعادة بنائه للسد كما هو منشأة اقتصادية لها اثر معنوي كبير فهو ايضاً اشارة واحدة الى كل مايعتمل في البلاد.

إن اخضرار الارض حول عرش بلقيس يعني ان ايادي سبأ التي تفرقت سيعود اجتماعها من جديد بإعادة توحيد البلاد، وان الارض اليمنية التي اجدبت عاد عطاؤها وبذلك عاد الى البلاد قرارها المفقود، وخصوصاً بعد استخراج النفط.

ان المشاكل التي واجهت اليمن عبارة عن منظومة متكاملة متصلة بالاهداف العامة التي اتت بها الثورة وعجزت السلطات الثورية عن تحقيقها، وكل محاولة لتحقيق غاية ما منفردة دون تحريك المنظومة كاملة آلت الى الاخفاق والتراجع الى أبعد من المكان الذي تحركت منه مضيفة آثاراً جديدة نفسية ومعنوية تعزز سيكولوجيا الاخفاق ورؤية العالم مستحيلاً، بينما مثل أي نجاح في الاهداف القريبة خطوة نحو تحقيق الغايات الأبعد، وعندما حدد الرئيس صالح اهدافاً قريبة واهدافاً بعيدة، خطوات تكتيكية، ومسافات استراتيجية، انتظمت اليمن في مسير متناسق وبدأت العوامل الداخلية والخارجية المعيقة تتحلل من تشابكها المعقد.

وهذه الأهداف كانت سابقاً بمثابة احلام يستحضرها الخطاب السياسي لدغدغة عقول العامة، فتحقيق قدر من الكفاية الاقتصادية مع منتصف الثمانينات لايصنف كإنجاز اقتصادي محض وانما في اتساقه في الإطار الأوسع. بمعنى أن الدولة تتخلص من نقطة الضعف التي ابقتها ردحاً من الزمن مثقلة بقوى الضغط الداخلية والخارجية، لأن القوى القبلية التقليدية تنحسر سلطاتها عندما تمتد سلطة الدولة، أما القوى الخارجية فتفقد تأثيرها عندما يصبح البلد قوياً والعكس.

والاعتماد على النفس جعل من الحركة السياسية الخارجية أمراً سهلاً ومفهوماً ومقبولاً وفعالاً على الصعيد الاقليمي الذي حرصت القيادة اليمنية أن يكون على اساس متكافىء وهكذا بعد أن أمنت صنعاء نسبياً من مخاطر عدن وحققت نمواً اقتصادياً زاد من ايراداتها باستخراج بعض الثروات، اتجهت صوب الجار الآخر الذي يريد ادارة كل صغيرة وكبيرة من شؤونها فهي لاتنشد اليه إلاّ من قيودها وهو لايمسكها إلا من اليد التي توجعها. فلم تكن اليمن تتحرك خارجياً إلا من خلال الرياض ولاتقرر بعض القرارات الداخلية إلا بموافقتها وذلك الوضع المحرج أوجد شرخاً بين القيادة والشعب خصوصاً أن المملكة وضعت أمام وحدة البلاد خطاً مكهرباً يعني الاقتراب منه الموت لأي زعيم يفكر في ذلك فلم يحدث أن رئيساً من صنعاء زار عدن قبل علي عبدالله صالح الذي كسر نظام الحظر الخارجي مع أنه لم يحفظ للقادة الجنوبيين وداً كبيراً لمساندتهم ودعمهم للفصائل الماركسية المسلحة.

أدرك علي عبدالله صالح أن تحرير القرار اليمني من القيود امر غير ممكن على المدى القريب لكن مقابل ذلك عليه تجنب أمرين أولهما المغامرة والتحدي غير المحسوب والثاني الإذعان.. وهذه السياسة المرنة حققت له اهدافه اللاحقة فاحتفظ بعلاقات مميزة مع جيرانه وفي نفس الوقت حقق بعض مقومات القوة لشعبه وأولها القوة الاقتصادية، وما أن انقضى النصف الأول من الثمانينات حتى كانت البلاد تتعامل مع الجميع ندياً،

ومنها اخذ زمام المبادرة السياسية بل والهجوم السياسي في قضية الوحدة بعد ان كانت صنعاء تقف موقفاً دفاعياً احياناً امام شعارات القيادة الجنوبية الهجومية، بسبب ارتهان القرار السياسي للجار الشمالي وتأثير بعض القوى المحلية.

والواقع ان الفصائل الماركسية في شمال اليمن لم تكن رأس حربة لنظام عدن في هجوم جدي يستهدف انجاز الوحدة، لكنه استخدمها قاعدة لتأمين نفسه من هجوم محتمل تقوم به صنعاء.

ولهذا أنيطت بتلك الفصائل مهمة التخريب العسكري والسياسي والاقتصادي لإبقاء الشمال ضعيفاً باستمرار. وقد تسبب هذا الدور في اضفاء طابع التوتر على العلاقة بين الشطرين، وأدى الى نشوب حربين بينهما في ١٩٧٢م و١٩٧٩م. ورغم أن كل حرب كانت تنتهي بتوقيع اتفاقية لإعادة تحقيق الوحدة، إلاَّ أن الوجه الانفصالي لنظام عدن كان يبرز خلال إجراءات التنفيذ، فقد كانت المماطلة والتسويف والإعاقة تظهر عند ممارسة لجان الوحدة لأعمالها.

لكن فوق هذا الدور المنوط بالفصائل الماركسية في الجنوب كان نظام عدن يقدم لها الدعم في اطار مساندته للتيارات الشيوعية في محيطه الإقليمي ضمن شعار فضفاض يتحدث عن الأممية البروليتارية ودورها في انجاز الثورة الاشتراكية العالمية.

لقد كان ولاء حكام عدن للمنطلقات الماركسية وللايديولوجية السوفيتية اقوى من شعورهم بإلحاح قضية الوحدة اليمنية. وقد استهلكتهم هذه (اليوتوبيا) الثورية! وباعدت بينهم وبين انتهاج سياسة واقعية كانت كفيلة بتحقيق التقارب مع النظام في صنعاء لإنجاز خطوات جادة على طريق الوحدة.

وقد شعرت بعض قيادات العمل الماركسي في الشمال انها كانت ضحية (خديعة ثورية) من الرفاق الحاكمين في الجنوب عندما لاحظت جدية الرئيس علي عبدالله صالح حيال موضوع الوحدة مقابل استثمار شعارها

بصورة انتهازية من قبل القيادات المتنفذة في حكومة عدن. وكان هذا، اضافة لعوامل أخرى كثيرة، سبباً في القائها السلاح والانخراط في صفوف المؤتمر الشعبي العام الذي تأسس في اغسطس ١٩٨٢م كحصيلة لحوار وطني واسع تم بمبادرة من الرئيس علي عبدالله صالح.

كان الحوار الوطني ومن بعده قيام المؤتمر الشعبي وصياغة ميثاق العمل الوطني هو بداية هجوم ديمقراطي معاكس في مواجهة الهجوم التخريبي المسلح من حكام عدن. ومنذ ١٩٧٨م، وبصورة اقوى من مطلع الثمانينات اكتشف الكثير من المعارضين المنخرطين في احزاب سياسية ان مساحة التسامح والحرية التي وفرها حكم الرئيس صالح أوسع من اقبية الدكتاتوريات المهيمنة على احزابهم.

كما ان تبني الرئيس علي عبدالله صالح سياسة مستقلة وحازمة ازاء التطفل السعودي في شؤون اليمن غيّر من مواقف بعض المعارضين من النظام ، فالكثير منهم انخرطوا في العمل الحزبي بدافع الاحساس بالمهانة الوطنية المتولدة عند انصياع الرؤساء السابقين للإرادة السعودية طلباً للسلامة و حفاظاً على كرسي الحكم.

كان الانطلاق من الضعف يعني ضعفاً بالنسبة للزعيم الجديد فرغم أنه يقول (وضعت لنفسي هدفاً اذا امتد بي العمر حتى يسود الأمن والاستقرار في هذا الشطر فسيكون الهدف التالي هو الوحدة) إلا ان إعادة توحيد اليمن التي تبدو في صدارة قائمة المهام فإنها على الواقع تبقى الأخيرة فلكي يصل الى هذا الهدف لابد من توافر عوامل ذاتية وموضوعية، وكلها لم تكن مهيأة فتقدمت عليها أهداف آنية اقرب سيما وأن تحقيق هذه الغاية بالقوة أمر غير ممكن لأي من النظامين في صنعاء وعدن وربما أدت محاولات من هذا النوع الى الاضرار بالوحدة الوطنية للشعب اليمني.

المهمة التالية للرئيس علي عبدالله صالح بعد تحقيق الأمن هي تعزيز الأمن بسد الثغرة التي تتسرب منها تيارات الصراع فالمشاركة الشعبية

ظلت الأمر البعيد عن اهتمامات الساسة السابقين.. ربما كانت الاحداث السياسية والعسكرية سبباً وربما كان ارتهان القرار لمراكز الضغط عائقاً، غير أن المؤكد أن أولئك القادة غلب على ادارتهم للبلاد اسلوب المتابعة السريعة لماهو آني أو الانشغال بمتاهات ومتاعب أخرى فالبعض كان ثورياً نرجسياً والآخر كان محافظاً ولذلك ظل الفراغ السياسي مصدراً لمتاعب الدولة.. وحتى بعض التجارب القليلة التي قامت نهاية الستينات كالاتحاد الشعبي ظلت محدودة التأثير والجاذبية لأسباب ذاتية مرتبطة بذات الكيانات التنظيمية.

ان الديمقراطية قيمة تنطوي على مخاوف وخشية من شيء ما مجهول وبالنسبة للرئيس اليمني فإن اختيار الديمقراطية بعد عدة مؤامرات حزبية عليه ومحاولة انقلاب فاشلة كانت من الدقة والتنظيم الى درجة كادت تطيح بالحكم. ان هذا الاختيار لم يكن يخلو من مخاطرة.. وقد ظل يكرر في وقت لاحق:

(ليس اسوأ من الديمقراطية إلا عدم وجود الديمقراطية).

والحقيقة ان اليمن لم تكن مؤهلة منذ البداية لخوض تجربة تعددية يبدي مثقفوها قبل غيرهم التخوف الشديد من أن تفضي الى نفس المصير اللبناني، ويذهب الكثير منهم الى ان الديمقراطية اسلوب حكم لن يصلها اليمن إلا بعد مراحل من التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تصل بالانسان الى مستوى اعلى من الاحساس بالمسؤولية تجاه الوطن أولاً لا تجاه العصبية القبلية والمناطقية والحزبية.

وقد اخذت القيادات اليمنية على عاتقها تعميم نبذ الحزبية والانتماء الحزبي في الوعي الشعبي لمواجهة تنامي التيارات الحزبية في البلاد فيؤكد القاضي عبدالرحمن الارياني الذي حكم من عام ٦٧ - ١٩٧٤م ان الحزبية تبدأ بالتأثر وتنتهي بالعمالة فتصير المقولة سنداً شرعياً لمواجهة أي تيار يطالب بالتغيير ويصبح الانتماء الحزبي جريمة تصل عقوبتها الى الإعدام في اقبية السجون.

على أن علي عبدالله صالح أدرك أن ضمان الأمن والاستقرار في اليمن بالقوة وحدها يؤدي الى مضاعفات، ثم ان بلاده تربة خصبة للكثير من التيارات الفكرية التي تمارس النشاط تحت الارض وتنمو احياناً بسرعة شديدة، وكذلك لان اليمن تقع وسط محيط اقليمي يتجاذبه ليكون تابعاً.. أما الجانب الآخر من الحقيقة وهو الاكثر مرارة ففي اوضاع اليمن شديدة التخلف قد تؤدي مناخات الحرية في ظل ضعف النظام السياسي الى الفوضى وبروز نزعات يمكنها ان تقود الى متاهات تمزق جديدة وصراعات يغذيها الإرث الإمامي.

ان عملية تحديث النظام السياسي بقدر ماهي مخيفة للقوى التقليدية في المجتمع فإنها جديدة على المنطقة. وانتهاج شكل مغاير لما هو قائم في المحيط الاقليمي (مجلس التعاون الخليجي) امر له انعكاساته على اليمن التي ينظر اليها الجوار بخشية ليس فقط من قوة تملك احتمالاتها على المدى القريب ولكن خوفاً من أن تنداح تأثيرات تفاعلاتها في صفحة شبه الجزيرة العربية، فقد شبه سياسي سعودي راحل شبه الجزيرة العربية بالخيمة التي ان اشتعلت النار في احد أركانها انتشر اللهب الى جميع الأركان، والنار اشتعلت في الركن الجنوبي -كما ترى السياسة السعودية- ولابد من اخماد الثورة في اليمن بدعم مادي ومعنوي لقوى الثورة المضادةثم اخماد اي تطورات. وقد فشلت السعودية في الإجهاز على ثورة اليمن فانتقلت الى التآمر والتخريب من الداخل.

اذاً فالمحيط الاقليمي اكثر صعوبة من ان يتقبل المتغيرات، وهو الأكثر حساسية من اي حدث يجري في اليمن والتحالف مع القوى التقليدية والدعم السخي من المملكة العربية السعودية لرموز القوى التقليدية يعد بالنسبة لها جزءاً من سياسة ثابتة تنتهجها تجاه هذا البلد.

لقد اختار الرئيس طريقاً وسطاً، فمنح هامشاً ديمقراطياً بترشيد حيث شكلت لجنة عمل وطني اشتركت فيها مختلف القوى والفئات الاجتماعية والشخصيات الوطنيةيمثلون عنها انفقوا امداً ليس بالقصير في اعداد

مشروع الميثاق الوطني.

(ولم يقتصر تصوري للميثاق المنشود إذ ذاك على أن يكون دليلاً فكرياً فحسب وانما ليكون كذلك بمثابة عقد اجتماعي بين مختلف القوى والفئات الاجتماعية وقوى وشرائح الشعب لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي تعزيزاً للوحدة الوطنية حتى تتضافر الطاقات والجهود من اجل بناء اليمن الجديد يمن الوحدة والمستقبل الزاهر).

ومن الواضح ان ايجاد اطار سياسي وطني تجتمع تحت مظلته كل القوى الوطنية، مثل احد الهموم الرئيسية للرئيس علي عبدالله صالح الذي شكل لجنة حوار وطنية للبحث في ايجاد شكل تنظيمي واسع للالتقاء بمختلف الاتجاهات السياسية.. فالتقت تحت مظلة المؤتمر الشعبي العام التيارات المختلفة من الإسلاميين الى الماركسيين واصبح تنظيماً وسطاً غطى مساحة واسعة من يسار اليمين الى يمين اليسار.

يقول في تقديمه لبرنامج المؤتمر الشعبي (الميثاق الوطني) :

(منذ أن القت الأقدار على كاهلي حمل امانة قيادة الأمة وجدت نفسي مشغولاً بجملة من الهموم التي كان في مقدمتها خطورة ترك الساحة خالية من فكر وطني.. وفي فراغ سياسي، نظراً لأن ذلك الفراغ كان يشكل ثغرة لانأمن معها من تسرب افكار الآ خرين برمتها على مافي ذلك من مخاطر.. ولكم كان يحز في نفسي رؤية مجاميع من أبناء اليمن تمزقهم الخلافات الطاحنة جراء الانحياز لهذا الفكر الدخيل او ذاك، بل لكم كان يشق علي اكثر ان ينتهي التأثر الفكري ببعضهم الى حد أفضى الى التبعية لجهات دولية والتخلي عن ولائهم الوطني لليمن أرضاً وشعباً).

ولكون المؤتمر الشعبي العام تجمعاً واسعاً فقد انبثقت عنه العديد من الأحزاب عند تحديث النظام السياسي مع الوحدة وانتهاج التعددية السياسية والحزبية، فتشكل أولاً الحزب السياسي الاسلامي (حزب التجمع اليمني للاصلاح).. ثم القوميون ناصريين على اختلاف مذاهبهم وبعثيين

ثم عاد اليساريون الاشتراكيون الى الحزب الاشتراكي اليمني، ولذلك قيل في عام ١٩٩٢م وماتلاه ان المؤتمر الشعبي العام هو (حزب اللاحزب).

لقد نشأت التعددية الفكرية في اطار هذا التجمع الوطني الذي اجتمعت تحت مظلته مختلف القوى السياسية مشكلة نموذجاً للواحد المتعدد في الفكر المتوحد في الاطار التنظيمي، وهو نموذج مصغر للتعددية التي تصبح فيما بعد مبدأ للنظام السياسي في اليمن إذ أن المجتمع اليمني ينتقل تدريجياً نحو التحديث السياسي، ففي عام ١٩٨٨م تجرى اول انتخابات عامة تخيف الشخصيات التقليدية التي تتهيب من هذا الانفتاح وتخشى على مكانتها القبلية فيحجم العديد من المشائخ امثال عبدالله الأحمر والشائف وغيرهما من ترشيح انفسهم للبرلمان اليمني لكنهم وهم محجمون عن المغامرة بهيبتهم لم ينسحبوا كلية من الميدان بل دفعوا بأبنائهم للترشيح.

وقد اتت نتائج الانتخابات بعدد من ممثلي التيارات السياسية، الإسلاميون سيطروا على دوائر العاصمة، والماركسيون المستقلون حصلوا على دوائر والناصريون ايضاً.

وقد كان المؤتمر الشعبي مبادراً الى ربط قيام وحدة البلاد في عام ١٩٩٠م بالتزام الديمقراطية والتعددية السياسية نظاماً ونهجاً، وفي واقع التعددية غطى مساحة واسعة بين اليمين الاسلامي واليسار الماركسي.

ومع ان قيادة الحزب الاشتراكي تستهلك شعار الديمقراطية وتدعي اختيارها هذا النهج إلاَّ أن الحقائق كلها تكذب المزاعم القائلة بأن الحزب ربط قضية توحيد اليمن بخيار الديمقراطية القائمة على التعددية السياسية والحزبية . فالحزب حكم جنوب اليمن بقوة الحديد والنار، ونكل بكل المخالفين له في الرأي وفتح ابواب السجون والمعتقلات وأقام المشانق والمقاصل لخصومه وللمستنيرين من اعضائه.

ولعله في بعض اللحظات رفع شعار التعددية الحزبية عندما استنفذ كل أوراقه التي حاول بها رد الهجوم السياسي القادم من الشمال والذاهب الى الوحدة وكان الظن الغالب لدى قادته انهم بذلك يهتدون الى شرط

تعجيزي سيجعل قيادة صنعاء تتلكأ وتتراجع عن قضية الوحدة لكن الشعار صادف هوى لدى الرئيس الذي كان يفكر بخطوة اضافية لتعميق الوحدة فأسقط في يد الحزب ولم يجد مناصاً من القبول بالوحدة والديمقراطية معاً.

ولم يمض وقت طويل حتى انكشف الموقف الحقيقي للحزب من موضوع الديمقراطية وتأكد النفي لمزاعمه فيما بدا من تراجعاته عما كان قد ادعى انها اهداف مصيرية بالنسبة له، اهمها تراجع قياداته عن الوحدة والضيق من الديمقراطية وحرية الرأي وحق الاختيار للمواطنين وعدم التسليم برأي واختيار الأغلبية وذلك ما أكده الأمين العام للحزب الاشتراكي علي البيض بقوله (ان الاغلبية ليست الاغلبية العددية) فالحزب كان اكثر ضيقاً بالرأي الآخر حتى لو جاء من شركائه في النضال حاملي الأفكار الماركسية، لقد ضاقت الديمقراطية في اطاره التنظيمي فأفضت الى الصراعات الدامية قبل توحيد اليمن وانعدمت بعد الوحدة فقادته الى مغامرة الانفصال.

كان الاشتراكيون اثناء شراكتهم في الحكم مع المؤتمر اكثر شبهاً بالإسلاميين الذين سيرثونهم فيما بعد (حزب التجمع اليمني للاصلاح). كلا الفريقين اللذان يمثلان اليمين واليسار يريدان الديمقراطية اذا ما صبت في مصالحهما وعندما لا تكون السلطة في أيديهما لا يقبلان نتائجها ولا يريدانها لغيرهم.

كان خيار الديمقراطية بالنسبة للرئيس صالح يمثل طريق الأمان لدولته.. ووسيلة التطور التي يرى ان بلاده لايمكن ان تنهض بدونها فهو يؤمن ان اليمن لا يبنيها فريق واحد من ابنائها ولكنها تبنى بمشاركة كل الفرقاء والتيارات مهما اختلفت اجتهاداتهم ومشاربهم الفكرية وهو لا يضع خطوطاً حمراء الا حينما يصل الأمر الى حد الارتهان للخارج والخيانة للقضايا الوطنية.

لاريب في ان طريقة وصوله الى الحكم تركت اثرها في اسلوب ادارته للحكم وتبنيه الخيار الديمقراطي ذلك انه اول حاكم لليمن لم يصل الى الحكم بحق الإرث لسلطة كهنوتية ولاجاءه عن طريق الانقلاب العسكري. وانما اختير للرئاسة بالانتخاب الديمقراطي.

لكن الأكثر تأثيراً هو طبيعة الرجل الميالة للحوار والتسامح والعزوف عن الانفراد بالرأي او القرار، ولذلك فهو يحرص على اشراك الآخرين حتى في الشؤون التي يمنحه الدستور كامل الصلاحية في اتخاذ القرارات بشأنها.

بعد حرب صيف ١٩٩٤م التي كادت تودي بوحدة اليمن، اعتقد الكثير من القادة السياسيين والحزبيين ان نتائج الحرب ستعود بالبلاد الى الخلف، فإن عادت قوات الشطرين السابقين الى مواقع الحدود السابقة فإن ذلك يعني عودة كل حكم الى سابق عهده وان انتهت بخروج انفصاليي الجنوب فإن المنتصر سيبدأ حملة انتقام واسعة ضد معارضيه السياسيين وضد الاحزاب ولن يبقى الا حزب السلطة..

كانت النتيجة الأولى تعني سقوط الوحدة اما النتيجة الثانية فمعناها انتكاس الديمقراطية الناشئة.

لقد كان شخص علي عبدالله صالح هدفاً للصحافة اليسارية واغلبية الصحف الحزبية التي استطاع الاشتراكيون شراءها وادارتها لصالح توجهات الحزب الاشتراكي وساعد الحزب على ذلك امتلاء خزينته التي غذاها من فساد مسئوليه وعبثهم بالمال العام ومن الدعم الهائل الذي حصل عليه من بعض الأشقاء وخصوصاً في السعودية التي حاولت شراء الانفصال بأي ثمن.

أما الدعاية فسيطر في حقلها تماماً جهاز الدعاية التابع للاشتراكي بقدرة فائقة، فأدت الصحافة والتنظيم الواسع وجهازالاستخبارات وظائف مكملة لبعضها، فيما كانت قدرة المؤتمر الشعبي العام تتمثل بالمقدرة السياسية لقيادته فشاعت المقولة الشهيرة التي تقول ان الاشتراكي قواعد بلا قيادات والمؤتمر قيادات تفتقد للقواعد التنظيمية.

وفي هذا التباين كان أداء قواعد الاشتراكي افضل من مثيله وكان تكتيك القيادة المؤتمرية اوسع وعلى هذا الأساس كانت نتيجة انتخابات ابريل ١٩٩٣م التي حددت حجم الأحزاب على الخارطة السياسية.

تبدو سياسة الرئيس علي عبدالله صالح مطلع التسعينات بأنها لم تكن خطوة بعد خطوة بطيئة وانما خطوة متأنية لإحداث طفرة فقد وصل الى مجمل اهدافه في عقد واحد من الزمن فحقق وحدة اليمن ونقل النظام السياسي الى التعددية وتحرر من قيود الخارج في اتخاذ القرار.

فالخطوة الأولى في سياسته ترشده لحساب كل الظروف المحيطة والانطلاق فيما بعد بسرعة فائقة. ومن تأسيس المؤتمر الشعبي العام تظهر الحكمة فيما بعد عندما تنتقل اليمن الى النظام التعددي، ليس لأنه اصبح التنظيم ذا الرقم الأول في خارطة التعددية، اليمنية ولا لأنه الحزب الذي ظل وفياً لقضية الوحدة اليمنية عندما عاد الاشتراكيون الى الخلف ليعلنوا الانفصال وانما لأن التعددية بدأت فعلاً في هذا الاطار التنظيمي قبل ان تنتقل الى الاطار العام، وان تعدد الاتجاهات السياسية والآراء وحوار القوى الوطنية المختلفة بدأ فعلاً في صفوف المؤتمر الشعبي العام.

فالغرض من تأسيس المؤتمر ذو شقين: الأول آني، وهو سد الفراغ السياسي والثاني استراتيجي وهو تهيئة المجتمع وقواه السياسية لتقبل الآخر والحوار معه وبالتالي قبول الخطوات اللاحقة في عملية تحديث النظام السياسي اليمني الذي يقوم منذ مطلع التسعينيات على اساس التعددية الحزبية والسياسية.

عاد علي عبدالله صالح الى رئاسته الثانية على اكتاف المظاهرات الجماهيرية التي اصرت على استمراره.. فالرئيس كان قنوعاً، قبل ان يكلفه مجلس الشعب تولي مهام رئاسة الدولة، بما قام به من ادوار أثناء خدمته العسكرية إلا أن الإلحاح وضعه كعسكري في موقف صعب بين التضحية اوالشعور بالهزيمة في حالة الرفض، وبعد أن امضى خمس سنوات اعاد خلالها الأمن والاستقرار للبلاد وفتح صدره للحوار الشعبي

الديمقراطي واصدر (الميثاق الوطني) وشكل المؤتمر الشعبي العام، رأى ان مهمته قد انتهت وآن للشعب ان يختار من يرى فيه الكفاءة لمواصلة القيادة إلا أن الجماهير التي لم تكن تعرف عام ٧٨م عن رئيسها الجديد اكثر من أنه الرجل الذي اختار لنفسه موتاً معلناً رأت فيه عام ١٩٨٣م القائد القادر على المضي بالبلاد مسافات ابعد ولذلك استمرت المظاهرات والمسيرات الشعبية حتى القبول بالعودة الى رئاسة البلاد..

وفي ٢٢ مايو من عام ١٩٩٠م تهتف الجماهير في عدن بحياة اليمن وبحياة الرئيس الذي جاء الى هنا ليعلن زوال الدولتين الشطريتين السابقتين وميلاد دولة الوحدة (الجمهورية اليمنية) فالوحدة بالنسبة للرئيس ظلت الهدف الأسمى حتى تهيأت الظروف لإنجازها. ففي بداية حكمه اتخذ سياسة وقائية مقابل شعارات الجنوب الماركسي ووقع اتفاقيات عدة واستمرت لجان الوحدة في اداء أعمالها الروتينية، ومنذ منتصف الثمانينات بدأ يشن الهجوم السلمي مطالباً بوحدة فورية وإذا كان من ذريعة لدى قيادة الحزب الاشتراكي تختبئ خلفها . فلماذا لا يحرق كل الذرائع ويقبل مطالبهم بالتقاسم السياسي والوظيفي ويطلق ايديهم في ادارة الاقتصاد والسيطرة على الثروة فالوحدة تستحق التضحية وفداؤها بالمال والمناصب أهون من الرجال والدماء والمأتم. لقد وضع القيادة الجنوبية امام الأمر الواقع وقدم لها على طبق من ذهب فرصة لإنقاذ نفسها من السقوط كما تسقط ديناصورات اوروبا الشرقية واسوارها..

كانت صراعات عدن قدقدمت لصنعاء فرصة التدخل اثر انفجار احداث ١٣ يناير ١٩٨٦م واعتقد الكثيرون ان علي عبدالله صالح لن يفوت فرصة انقسام الاشتراكيين وحربهم ضد بعضهم دون ان يقوم بعمل عسكري تصل فيه قواته الى عدن إلا أنه كان يرفض اسلوب فرض الوحدة بالقوة فدعا الفرق المتصارعة الى التوقف عن العنف والتوجه الى طاولة الحوار.

لقد كانت الثمانينات فترة متميزة في حياة اليمن ويمكن تسميتها بالعقد

الذهبي الذي دخلته وهي تئن من جراح الحروب والتمزق واختتمته وهي تطل على مشارف العصر بوجه واحد لا أثر للتجزئة عليه وبنظام جديد الديمقراطية والحرية والتعددية اهم سماته لأن السياسة في تلك السنوات العشر اتسمت بالواقعية والاستفادةمن تجارب وارهاصات الماضي. ويمكن ايجاز الخطوط العريضة لهذه الفترة في ثلاثة اتجاهات مترابطة فيما بينها :

١ - تحرير صناعة القرار السياسي.

٢ - عدم استعداء فئات أو شرائح من المجتمع وجذب الرموز الاجتماعية بدلاً من تركها تتجه نحو الخارج مع اعطاء الجميع فرصاً متساوية للمشاركة الشعبية وتوسيعها.

٣ - تحقيق نهضة اقتصادية بالتركيز على الزراعة والثروة النفطية والبنية الأساسية مع تجنب السياسات التجريبية الفوقية لصناعة تطور شكلي -احراق المراحل- وسير التطور الاقتصادي والاجتماعي بصورة طبيعية.

إن المقولة الشائعة في اليمن من ان علي عبدالله صالح نجح حيث اخفق الآخرون يشير بها أبناء شعبه الى ما تحقق خلال أقل من عقدين من الزمن وذلك يعود الى وجود شخصية في الحكم من طراز القادة التاريخيين كسيف بن ذي يزن وكرب آل وتر وذمار علي كما في تاريخ الشعوب زعماء رفعوا شأن بلدانهم الى مصاف عالية. ومثل هذه الشخصيات على ما عُرف عنها من قسوة عند قياس الغايات بمقدار التضحيات الجسيمة للشعوب نادرة في التاريخ. على أن (صالح) اختص بنزعه انسانية فريدة كونه أتى من الطبقة الشعبية الواسعة التي تدفع ثمن انتصارات الزعماء وفاتورة اخطائهم، لذلك كان اكثر قرباً الى هموم ونفسية ابناء شعبه منه الى السلطة فاعتبرت سياسته الوسطية وصمة ومأخذا يأخذه عليه معارضوه السياسيون ومعظمهم من اطراف اليمين او اطراف اليسار، وهما التياران المغامران اللذان لايحسبان للواقع حسابات منطقية.. فقيل

انه يمسك العصا من وسطها وذلك التشبيه بقدر مايريد منه المعارضون الاشارة الى عدم الحسم بقسوة إلا أنه بالنسبة لواقع قبلي غير مستقر ونفسية اجتماعية غامضة ميزة لأنه يعني تجنيب البلاد ويلات الصراعات العنيفة والدامية التي كانت روائحها البارودية تأتي من الجنوب حيث سياسة القبضة الحديدية، ولم يكن الرئيس ليستمر أو ينجح لو اقام نظاماً قمعياً قائماً على تخويف مواطنيه وارهابهم.

إن غلبة الانسان على السياسي وتغليب الحلول السلمية على الحسم العسكري يعود الى شكل وصول السلطة الأمر الذي يعتقده علماء النفس على علاقة وثيقة بقرارات الشخص وعلاقته بكرسي الحكم فالقادم اليها بالقوة يكون أسيراً لأوهام القوة منقاداً لشعور تملك الحكم الذي لافكاك له من كرسيه إلا اقتلاعاً بنفس الكيفية التي اقام حكمه عليها. أما القادم عبر الانتخابات فإنه يدرك ان وجوده واجب ينتهي بانتهاء الخدمة.. واختلاف علي صالح عن معظم قادة دول العالم الثالث تكمن في تلك الكيفية من جهة وفي الخصائل التي تميز شخصيته من جهة ثانية.

فتحت التسعينات صفحتها على اليمن،بحدثين، صوبا انظار العالم الى هذا الركن المنسي من الكرة الارضية لرؤية مايعتمل فيه، فقد اعلن اليمنيون بلدهم دولة واحدة على انقاض الدولتين المتناحرتين المتصارعتين، واقترن ميلاد الجمهورية الجديدة بتأسيس نظام سياسي جديد يواكب متغيرات العالم رؤية ونهجاً فكانت الديمقراطية القائمة على التعدد الحزبي والسياسي والنقابي وحرية الرأي والفكر وحقوق الانسان، مذهب النظام الجديد. وكانعكاس لمتغيرات الداخل انطلقت السياسة الخارجية من اسس موازية تعكس رجاحة الداخل بتفكير سياسي جديد لبناء علاقات متزنة ومتوازنة مع الجوار اساسها التكافؤ وتبادل المنافع ووضع الملفات المجمدة لقضايا الخلافات القديمة حول الحدود على مائدة المفاوضات وفق مبدأ (لاضرر ولاضرار).

بيد أن نصوع الصفحة يمنياً قابله انهيار عربي للتضامن واسوداد في

صفحة الوطن العربي بعد اقل من اربعة اشهر من اعلان (الجمهورية اليمنية) باجتياج الجيش العراقي للكويت في ٢ اغسطس ١٩٩٠م، الأمر الذي سيعني بالنسبة للدولة الوليدة ان تحمل عقوبة موقفها المعتدل بصبر من أزمة وحرب الخليج الثانية وفق تصنيف الخليج لدول الحل العربي بالضد والأكثر ضداً فأتت العقوبات الأولية بشكل اقتصادي لمواطني البلد الذين تظاهروا ضد دخول الجيوش الأجنبية ارض العرب ورفعوا شعارات الحل العربي، فطردت المملكة العربية السعودية وبعض من دول الخليج نحو مليون ومائتي الف يمني ممن يعملون في دول مجلس التعاون الخليجي.

لقد اتت النتائج المدمرة على الاقتصاد اليمني من آثار أزمة الخليج في صالح القيادات الاشتراكية التي دخلت الوحدة وهي تحن للماضي فجرى تحميل الرئيس علي عبدالله صالح كل ذلك، بل حملت الوحدة مسئولية الدمار الاقتصادي الذي تضافرت فيه ازمة الخليج وعبث الاشتراكيين انفسهم.

فالحزب الاشتراكي اليمني لم يكن في الوضع الطبيعي الذي يتيح له اتخاذ قرار نابع عن قناعة بخصوص الوحدة دون تأثير الظروف الداخلية والخارجية، الذاتية والموضوعية. فقد احتاج بعد يناير ١٩٨٦م الى وقت طويل لتعويض خسائره القيادية سواءً التي انتهت أو التي ولت منهزمة، كما احتاج الى وقت اطول لاستعادة توازنه ومعنوياته الهابطة فحين فقد الصف الأول من القيادات ذات الخبرة الطويلة والمكانة والثقل تقدمت قيادة الصف الخلفي أماماً بتشكيلة توازنية املتها الضرورة هي في حقيقة الأمر اشبه بجناحي طائر يفصلهما عازل وقائي لكي لايثور صراع المناطق من جديد.

واتت المستجدات الدولية في المعسكر الاشتراكي في غير صالح التنظيم المهزوز حين هزت رياح البروسترويكا الجورباتشوفية قلاع ديناصورات اوروبا الشرقية، وبدأت المنظومة كاملة بالتفكك. وعلى ضوء التفكير السياسي الجورباتشوفي الجديد تخلى الكريملين عن التزاماته تجاه

عدد من الدول مثل كوبا واثيوبيا واليمن الجنوبي وابلغت عدن رسمياً بنية موسكو حرمانها نحو مليار دولار كانت تقدمها لها سنوياً على شكل مساعدات.

على أن الاجنحة التي ظهرت بعد يناير لم تستغرق وقتاً طويلا حتى بدأت تحتك ببعضها.. وتحول الوسط من وظيفته كعازل الى جزء وطرف في الصراع الجديد الذي يتوقع له وفق الحسابات الشعبية ان يثور بعد اربع سنوات من الأحداث السابقة كما جرت العادة في عدن، فأتى الهجوم السلمي للرئيس علي عبدالله صالح بشأن الوحدة في وقت كانت قيادات الجنوب احوج ماتكون لمنقذ يكفيها شر ظروفها وشرور نفسها.

كانت شعبية الرئيس علي عبدالله صالح تزداد يوماً بعد يوم في الشطر الجنوبي الذي كان مهيئاً شعبياً للثورة على قيادته الاشتراكية، فعند زياراته لعدن يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٨٩م اصطف المواطنون على جانبي الطريق منذ أول كيلو متر تبدأ منه أراضي الشطر الجنوبي حتى آخر متر من مكان الوصول. تهتف وتنادي بالوحدة، وفي هذا الوضع كان الرئيس علي عبدالله صالح هو المنقذ وكانت الوحدة هي سفينة النجاة.

لم يمضِ اكثر من عام إلا وكان الحزب الاشتراكي يصدر مشاكله التنظيمية كأزمات سياسية للوطن باختلال معادلة الاجنحة السابقة مع بقاء التناقض وبروز معادلة جديدة لصالح طرف جديد هو مجموعة الشماليين الذين كانوا في عدن غير مؤثرين في اتخاذ القرار.. وأدى التمدد التنظيمي على مساحة أوسع لأن يصبحوا مؤثرين قاعدياً لكنهم ظلوا بعيدين عن مواقع القرار ولايفصلهم عنه إلا انعقاد المؤتمر العام الرابع للحزب الذي تأجل من نهاية الثمانينات ولم ينعقد لهذا السبب.

بعد انتخابات ابريل ١٩٩٣م التي احتل الاشتراكي فيها المركز الثالث قال البيض ان الأغلبية ليست في الاغلبية العددية.. كانت عقدة الأغلبية

ظهـرت داخل التنظيم منذ السنة الأولى عندمـا رأى البـيض ورفـاقـه الاشتراكيون ان نسبة التمثيل الى المؤتمر ستكون كل ٦ شماليين مقابل جنوبي واحد، الأمر الذي اثار حفيظته وهدد مركزه.. صحيح ان الستة الأصوات غير مضمونة لصالح التيار الجديد لكن الواحد الآخر ظهر اكثر تشتتاً، وبذلك نشأت عقدة الأغلبية منذ السنة الأولى وصدرها الحزب بشكل ازمات سياسية للبلاد بممارسة الأمين العام لأساليب سياسية مبتدعة تمثلت بطريقة (الاعتكاف السياسي) والاحجام عن ممارسة المسؤوليات.

كان الاشتراكي منذ يناير ٨٦م فاقداً للإرادة السياسية يستجيب شراعه لحركة الرياح ثم يعود للإبحار من جديد ضد التيار منقاداً وراء قيادة انفعالية لاتعرف ماذا تريد لا على المدى القريب ولا البعيد فقادته اما بروح مستجيبة مستسلمة منقادة لأي شيء أو بروح متمردة ومغامرة لاتقدر الواقع، أي أن الحركة كانت ذات شقين في الأولى استجابة وفي الثانية تمرد بشكل رد فعل منفعل ضد الحركة الأولى.

وإزاء تعنت الاشتراكي بافتعال الأزمات ووضع شروط تعجيزية للعودة الى الانفصال كانت حكمة الرئيس علي عبدالله صالح وعقلانيته السياسية وميله للحلول الهادئة تمتص الأزمات وتبعد البلد عن مخاطر انفجار حرب يسعى الانفصاليون الذين اداروا السياسة بالأزمات الى اشعالها، فركز على تحييد القوات المسلحة والأمن عن الصراع وتجنيب البلاد كارثة حرب محققة قبل انتخابات ٩٣م وإن كانت احتمالاتها قد بقيت بعدها.

اعلن قبل انتخابات ابريل ١٩٩٣م استعداده والمؤتمر الشعبي العام للخروج الى المعارضة فيما لو أرادت الجماهير ذلك، ولم تعط مرشحي المؤتمر ثقتها، وعندما حصل حزبه على الأغلبية فاجأ الجميع بأن يكون أول رئيس لدولة نامية يطالب بإصلاح دستوري يحدد رئاسة الدولة بفترتين فقط، وفيما اعتقد معارضوه ان تحقيق المؤتمر للأغلبية سيعني

اجهاضاً للديمقراطية بدون وجود توازن، وسع من دائرة المشاركة في حكومة الائتلاف التي يعطيه الدستور حق تشكيلها منفرداً كحزب أغلبية في البرلمان وشكل الحكومة مع تياري اليمين واليسار واعطاهما اغلبية الحقائب الوزارية.

الفصل الثاني

هكذا تكلم الرئيس



سأحدثكم عن لقائي -كصحفي وكاتب عربي- مع الرئيس اليمني علي عبدالله صالح.

لقد كان حديثي معه من القلب الى القلب وفيه وجدت صورة القائد والفارس العربي الذي يملك عمق الفكر وجسارة القرار وقلب الأب الحنون الذي يعشق بلاده ويحب شعبه ويسهر على مصالحه.

لقد لمست كل البساطة، وكل الثقة بالنفس في كلامه! وما اوسع الشقة بينه وبين التكلف الذي اشتهر به أكثر من مسؤول عربي واكثر من حاكم! وفي أجوبته العفوية على اسئلتي ما يثبت صدق هذه الاجوبة التي يطلقها على سجيته بلا انفعال ولا جهد ولا عناء او تكلف. وفي قوة اعصابه ما يمكنه من ان لا يترك مجالاً لربط ما يرد على لسانه مع القسمات المرتسمة على وجهه!

انه يتحدث عن المعارك وعن الوحدة والأزمات والخصوم، تماماً، كما يتحدث عن طقس صنعاء الجميل في شهور الخريف او مطلع الشتاء.

وقد رأيته يحرص على أناقة ملبسه، تماماً كما يحرص على أناقة كلماته. فلا تجريح ولا تشنج ولا تهديدات، وانما كلام موزون وعبارات

هادئة ومعاني مهذبة كأن صاحبها من خريجي اكسفورد البريطانية او هارفرد الامريكية..! وهو دائماً مايعرب عن اعتزازه بأنه تخرج في مدرسة الشعب.

وفي اليمن ١٢ حزباً سياسياً بعضهم يعارض الرئيس ويتهم الحكومة ويخاطب مشاعر الشارع ويدعو للعنف.! وحين يصيب احد معارضيه مكروه فان الرئيس هو الذي يقف الى جانبه ويعينه على التغلب على مصائب الدهر. وقد تابعت مافعله مع اشد معارضيه فهذا عمر الجاوي زعيم حزب التجمع يداهمه المرض الخبيث فيأمر علي عبدالله صالح بعلاجه على نفقة الدولة وينقل الرجل الى لندن وهناك يزوره الرئيس في مرقده بالمستشفى ويتابع حالته يوماً بعد آخر ، لكن الداء الخبيث كان قد استشرى في الجسد المريض. وحين يتعذر انقاذه ويقضي نحبه ينعيه الرئيس بكلمات صادقة حزينة ويتولى امر اسرته وأولاده.

وهذا احمد علي السلامي عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الذي ناصب الرئيس العداء وحارب ضد الوحدة يصاب بجلطة اقعدته في سرير المرض ويتنكر له اصحابه حتى امين عام حزبه لا يتفضل عليه بالزيارة ، لكن الرئيس علي عبدالله صالح لايكف عن الاتصال للاطمئنان على صحته ويأمر له بطائرة خاصة تنقله الى دولة شقيقة للعلاج.. ثم يتصل بمسؤولي تلك الدولة ويطلب منهم باسم اليمن ان يحيطوا المريض بالرعاية الصحية اللازمة، ولا يستقر له بال حتى يطمئن الى ا ن خصمه السياسي قد تجاوز مرحلة الخطر ودخل مرحلة الشفاء.

انه يعامل الجميع كأب.. ومثل الأب ينظر الى اخطاء معارضيه فيعفو ويصفح ويرجو لهم السلامة والهداية.

وفي اليمن ١٦ مليون مواطن من العاصمة والمدن يحملون السلاح ويزينون صدورهم بالخناجر، والسكاكين! ورغم ذلك، تنظر الى وجه علي عبدالله صالح فتراه في صفاء النور، وفي وهج الشباب، وفي وداعة

الاطفال، انك تستطيع ان تثيره وتحرك مشاعره وتستثير ذكرياته، لكنك لاتستطيع ان تحرجه بسؤال او ملاحظة، ولايمكنك ان تزعم بأنك الصحفي الذي لم يستطع رئيس اليمن ان يجد الجواب الشافي على سؤاله الذكي.

وكانت سلسلة مقابلاتي مع رئيس اليمن الموحد في الشتاء الماضي، أي قبل اجراء الانتخابات البرلمانية الاخيرة التي فاز فيها رجال (المؤتمر) بمائة وسبعة وثمانين مقعداً من اصل (٣٠١) مقعد، وحصل فيها حزب الاصلاح على ٥٤ مقعداً وتوزعت المقاعد الباقية بين المستقلين والناصريين والبعثيين.. وجاءت النتائج الاخيرة لهذه الانتخابات لكي تثبت من جديد رسوخ قوة علي عبدالله صالح في كافة انحاء اليمن، ومضاعفة قوة (حزب المؤتمر) في صفوف الشعب، مع التأييد الواسع والصريح لقيام وحدة اليمن، منذ مايو عام ١٩٩٠م. لكن المعارضة حصلت على اصوات مؤيديها ولم تأت النتيجة بنسبة ٩٩,٩٩٪ كما هو حال بعض الدول العربية.

وقد اعجبني في علي عبدالله صالح، مدى رقته وتألقه وأدبه عندما كان يحدثني عن المعارضة اليمنية وعن رجالها.. لم اسمع منه كلمة (هذا خائن) او هذا (مجرم) او هذا (عميل)!! مطلقاً! إنه يؤكد أن للديمقراطية وجهين: احدهما الحكم والحكومة، وثانيهما المعارضة والمعارضون. انه يتلمس الاعذار للذين يعارضونه! إنه لايتهم وانما ينصح. لا يقاضي وإنما يشرح. إن الحكومة عنده ليست بديلاً عن المحاكم وعن القضاء!. والقانون عنده مقدس ولا مجال للوسطاء او المحاسيب!.. إن قلب (الأب) الكبير قد اتسع للجميع وفتح ابواب اليمن للجميع، لقد اعلن العفو العام عدة مرات، الاولى في بداية الثمانينات للذين شاركوا الدولة بدعم من النظام الماركسي، وفي الثانية للذين شاركوا في الانقلاب ضده مع بداية حكمه عام ١٩٧٨م، وفي الثالثة للمغرر بهم في الحرب التي شنها الانفصاليون ضد وحدة اليمن.. اما عند قيام الوحدة اليمنية فإن أخطاء الاشتراكيين كان يمكن أن تسبب في الكثير من قضايا الثأر لكن الرئيس دعا الى التسامح عندما تبنى شعار

(الوحدة تجب ما قبلها).

فالمرء يشعر بالارتياح لهذا الرجل الذي ابتدأ حكمه بالتسامح رغم ما كانت تعانيه اليمن من مؤامرات، فقد كان أول رئيس يبتدأ حكمه بالافراج عمن في السجون ودعوتهم الى العمل فوق الارض اليمنية لأن البلاد بحاجة الى كل من يعمل، ولم يبد أي تخوف من الرؤساء السابقين الذين عاشوا في المنافي، بل دعاهم للعودة الى الوطن وممارسة كافة حقوقهم.

فعاد الرئيس السلال قائد ثورة اليمن للعيش في صنعاء وتعددت زيارات الرئيس الارياني لبلاده. والان لا سجناء سياسيين في اليمن ولا منفيين، فيما عدا (١٦) مواطناً يمنياً الذين تآمروا على وحدة اليمن وحاربوها وارادوا فرض الانفصال ومازالوا حتى اليوم في الخارج، يتآمرون.. ويقبضون.. ويخربون.. ويعارضون!!

إن الرئيس يقبل بالمعارضة الشريفة التي تناهض سياساته من الداخل ويثني على رجالها ويقدر خلافهم معه لكنه يسخر من الحفنة القليلة الذين يمدون ايديهم للدول الخارجية ويقتاتون من الخيانة ويعيشون في مستنقع النفط ولا همّ لهم الا الدولار والريال ولو مزقوا وطنهم إرباً إرباً.

وأستطيع أن أضيف أن رئيس اليمن الفخور بوطنه وبالأمجاد الوحدوية التي حققها، وبظهور البترول في البلاد على عهده ونتيجة جهده ومتابعته، اقول إن رئيس اليمن يبقى بعيداً عن الشعور بالحسد او الغيرة تجاه الإخوة والجيران في شبه الجزيرة، او على شواطئ الخليج، او غيرها! انا اعلم ان اليمن -مثلاً- يتمنى ان ينضم الى مجلس التعاون الخليجي بسبب وضعه الجغرافي في جنوب شبه الجزيرة، وارتباط المصالح مع دول المنطقة، ولكن رئيس اليمن ومن ورائه قادة اليمن الآخرون لن يذرفوا الدموع ولن يرتدوا ثوب الحداد اذا اعترضت السعودية او الكويت او الامارات على انضمام اليمن لمجلس التعاون! لا الحاح ولا ضغط ولا مضايقة! ولا توسل ولا استجداء! هذا هو الموقف

الذي يميز علي عبدالله صالح عن غيره من القادة والملوك والحكام. انه الاعتزاز بالتواضع، انه الفخر بما هو موجود مع الاطمئنان والتفاؤل بما هو آت، انه الرضا بالحاضر تمهيداً لاستقبال المزيد من الغد القريب..! انها قصة مثيرة يرويها وطن عربي بلسان قائده تقول: اليوم الغاز.. والبترول.. والثروة.. والاستثمارات والسياحة والثروة السمكية.. وغداً ميناء عدن والمزيد من آبار النفط، ومن الغاز، ومن الدخل المرجو في المنطقة الحرة، في الجنوب، ومن الشركات المستثمرة.. ومن المال الذي يبحث عن فرصة في هذا البلد البكر والغني بالخيرات.

وانا اعترف صادقاً ان في سؤال الرئيس اليمني لي عن اخبار بلدي- القدس- وعن قوله لي بأن القدس يجب ان تعود عربية.. كما كانت قبل حرب ١٩٦٧م وانها ستعود.. اقول: انني اعترف ان هذا الكلام اثلج صدري وسرني واسعدني، كما اسعدتني ملاحظاته الجانبية أمامي- خلال دردشة خاصة- بأن لا سلام في المنطقة الا بعودة الحق العربي كاملاً الى أهله.

ان رئيس اليمن يحب القدس، مثلي! ورئيس اليمن يطالب بالحق الفلسطيني- تماماً- كما اطالب به! ورئيس اليمن يدرك تماماً أبعاد السياسة المتطرفة الخطرة التي ينتهجها اليمين الاسرائيلي ويحذر منها! تماماً، كما يفهمها أي فلسطيني في يافا او حيفا او الناصرة او رام الله ويحذر منها!

لقد سمعت من رئيس اليمن، مايستحق نشره في اكثر من كتاب فقد كانت الاحاديث على مدى اربعة لقاءات متتالية، تزخر بالمعلومات والاسرار التي يتمناها كل كاتب، وكل مؤلف، وكل معلق، وكل صحفي.

ولكني اكتفي الآن، بالحديث التالي، على أمل ان يكون له اكثر من بقية في الغد القريب! سألت رئيس جمهورية اليمن الاخ علي عبدالله صالح:

- هل كانت الوحدة اليمنية في تفكيرك تمثل خياراً استراتيجياً؟.

واجاب الرئيس: الوحدة هي هدف استراتيجي وطموح شخصي لي

ولكل يمني في الوطن اليمني، ولحسن الحظ فإن العامل الدولي كان مساعداً لتحقيق هذه الطموح وهذا الهدف وخاصة بعد إنهيار المنظومة الاشتراكية التي كانت في الماضي تمثل جزءاً من العوامل التي كنا نخاف منها نظراً للقبضة الحديدية للنظام الماركسي الذي كان يهيمن على ما كان يسمى بجنوب الوطن.

- قلت: إن لكل انسان طباعه وميوله، فهل الطابع السياسي عندكم يغلب الطابع العسكري ام العكس؟.

واجابني الرئيس : بعد ١٨ سنة في الرئاسة فإن الطابع السياسي هو الذي يتغلب على الطابع العسكري، ولكن ليس هناك عيب في الطابع العسكري بل هو ميزة، وأحد العوامل المساعدة للجانب السياسي، اليس كذلك؟.

- سألته: هل كان لحادث معين عسكري او سياسي في حياتك الأثر المحرك في تحديد خطوات مستقبلك على المستويات العسكرية والسياسية؟.

واجاب الرئيس : مامن هدف رسمناه او طموح ناضلنا من أجله إلا وتحقق بحمد الله، ومن اعظم الاهداف التي ناضلنا من اجلها اعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني.. واصعب الظروف التي واجهتها في حياتي هي محنة الأزمة والحرب ومحاولة الانفصال التي حدثت في عام ١٩٩٤م والتي مثلت بالنسبة لي ولكل يمني هماً كبيراً لأن الانسان كان ينظر للأرواح التي تزهق بألم ومرارة! لكن التضحية من اجل الوحدة تهون وتستحق الكثير في سبيل الحفاظ على هذا الانجاز العظيم.

- سألته: وفي حياة اليمن العامة سياسية وبرلمانية، هل تشفق فخامتك على

الحزبية من القبلية ام تشفق على القبلية من الحزبية؟.

واجاب الرئيس : ان الهدف من الحزبية هو التخلص من القبلية والتعصب القبلي وبناء مجتمع ديمقراطي يتسع للخلاف وتعدد الآراء والتعايش السلمي بين جميع ابناء الوطن دون تطرف او تعصب او ميل للعنف وإقصاء الآخر ومصادرة حقه في التعبير عن نفسه، ولكن خلال هذه الفترة الزمنية التي رأيناها وخاصة الحزبية التي كانت سائدة فيما كان يسمى بجنوب الوطن قبل قيام الوحدة، اظهرت انها حزبية اشد تطرفاً من القبلية واكبر دليل ما حدث في احداث ١٣ يناير عام ١٩٨٦م المؤسفة في جنوب الوطن عندما حدث الانقسام الحزبي فعاد كل واحد الى قبيلته والى منطقته للتمترس بها، وكانت التصفيات الجسدية بالبطاقة الشخصية على اساس الانتماء القبلي والمناطقي، ولكننا نتطلع الى أن تطور الحزبية نفسها بحيث تتخلص من التمترس المناطقي والقبلي وان تكون حزبية حضارية مدنية، والتنافس يكون من خلال البرامج والإنجازات، وهذه لن تتأتى الا في ظل تطور ثقافي وفكري وسياسي لهذه الاحزاب حتى تصل الى هذا المستوى. نحن نراهن على الزمن وعلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلى التنمية السياسية نفسها التي هي كفيلة بخلق بيئة مناسبة لأحزاب تتصارع بالبرامج وليس بالبنادق

- قلت : وهل تتمنى لولدك ان يصبح زعيم حزب سياسي أم قائد جيش.. مثلاً؟.

واجابني الرئيس: اولادي كثيرون واتمنى ان يكونوا مواطنين صالحين

في المجتمع، وكل انسان له طموحاته ولا استطيع ان افرض على أي من اولادي طموحاً (معيناً) او انتماء (معينا) حزبياً كان او سياسياً او عسكرياً، ولكن هذه خيارات يختارها الانسان لنفسه لأنها من حقوقه التي لاسلطان لأحد عليها إلاّ الاستعداد الفطري والرغبة الذاتية.

- قلت : عندما سألت رئيس مجلس النواب الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر، عن اخطر مشاكل اليمن اجاب انها المشكلة الاقتصادية، وعندما سألته ان كان احتلال القرى والمدن اليمنية وبالتحديد على حدود اليمن من بعض الدول (المجاورة) وحرمان اليمن من استغلال كل شبر من ارضه يمكن ان يكون السبب الكبير في هذه الازمة، اجابني الشيخ بالنفي، واضاف ان السبب فقط هو حرب الخليج، فماذا تقول فخامتك؟

قال الرئيس : إن المشكلة الاقتصادية هي وليدة تراكمات للمشاكل والتحديات التي واجهتها اليمن في الماضي وآخرها فترة الأزمة والحرب.. اما بالنسبة للعلاقات مع دول الجوار فإن هناك حواراً بيننا وبين الاشقاء في السعودية حول تسوية او حل مشكلة الحدود، وعلى وجه الخصوص حل ماتبقى من الحدود والتي لم تُرسم حتى اليوم ولم تشملها معاهدة الطائف عام ١٩٣٤م، والحوار مستمر على اعلى المستويات، ونحن نطالب بأراضي في اعتقادنا أنها يمنية ولكن (الاخوان) في المملكة يضعون ايديهم عليها، ونحن نطالب بها في إطار الحق القانوني والتأريخي، وقد قلنا للأشقاء في السعودية اننا تجنبنا التشدد إزاء الحق التاريخي وقبلنا بما جاء في اتفاقية الطائف كمنظومة

متكاملة حرصاً على علاقة الجوار والأخوة العربية والإسلامية.. واستمراراً لهذه الروح علينا ان نتجنب سوياً سياسة الأمر الواقع ونعمل بالحلول السياسية المنصفة للبلدين.

- سألته: وما هو رد المملكة العربية السعودية في هذا الشأن؟.

واجاب الرئيس: لازال الحوار مستمراً بيننا وبين الاشقاء في السعودية.

- قلت: وزيارة الامير سلطان الأخيرة لليمن هل حققت شيئاً؟.

واجاب الرئيس : هي جزء من الانفراج السياسي بين البلدين.

- قلت: وماهو التأثير السلبي لمجيء مليون لاجئ يمني من بعض الدول (المجاورة) الخليجية على اقتصاد البلاد؟.

قال الرئيس : ان عودة المغتربين اليمنيين كانت بلا شك ذات تأثير سلبي على الاقتصاد الوطني، ولكن اليمنيين في حقيقة الأمر عظماء..! لقد عاد حوالى مليون ومائتا الف عامل يمني كان يمكن ان يمثلوا عبئاً على الوطن وان تسبب عودتهم مشكلة كبرى لنا، ولكن عاد مليون ومائتا الف عامل يمني وكل فرد منهم عامل محترف سواءً كانوا نجارين او سباكين او ميكانيكيين.. او غير ذلك، فعملوا على خلق نهضة عمرانية في الوطن وساهموا بعملية التنمية، وبدلاً من ان يكونوا عبئا على التنمية اصبحوا سنداً لها..

- قلت: ماهو موقفكم سيادة الرئيس، من التطورات الأخيرة في العراق وتفجرات المشكلة الكردية؟.

وقال الرئيس : ان حقيقة ماحدث في شمال العراق من تطورات وإثارة للمشكلة الكردية يأتي في اطار حلقة التآمر على الشعب العراقي وعلى الأمة العربية، وتدخلاً

سافراً في الشؤون الداخلية للعراق، ولأن الاكراد لايتواجدون فقط في العراق ولكنهم موجودون في تركيا وايران وسورية، يحق لنا ان نسأل لماذا هذه الانتقائية لمسألة الاكراد في العراق دون غيره؟ ولماذا لاتكون المسألة حلاً لمشكلة الاكراد في كل مكان؟! إن هذه قنبلة موقوتة في المنطقة تحركها القوى الدولية وقت ماتريد. فاليوم حركت في العراق وغداً سوف تحركها في تركيا وايران، وهذه مشكلة قائمة في المنطقة على المجتمع الدولي ان يضع حلاً نهائياً وعادلاً لها.

– وانتقلت الى موضوع التحكيم الدولي حول جزيرة حنيش اليمنية التي احتلتها ارتيريا في ديسمبر ٩٥م وقلت : هل تعتقد ياسيادة الرئيس أن التحكيم الدولي قادر على إعادة حقوق اليمن في الجزر، واستعادة السيادة عليها؟

وأجاب الرئيس : لقد قبلنا بالحل السلمي من خلال التحكيم، ونحن بما نملك من أدلة ووثائق قانونية وتاريخية نثق اننا سنستعيد الجزيرة لانها جزيرة يمنية.

– ثم عدت مرة أخرى الى أحوال الداخل وسألته: وهل كانت الحرب مع (الجنوب) ضرورية لحسم الموقف؟.

وأجابني الرئيس: اريد اولاً ان اصحح صيغة السؤال، انا اقول لم تكن الحرب مع الجنوب، وإنما الحرب كانت مع الانفصاليين! الحرب ليست بين الشمال والجنوب ولكن كانت الحرب بين وحدويين وانفصاليين، والوحدويون هم من الشمال والجنوب على حد سواء، والانفصاليون هم كذلك من الشمال والجنوب ! فالانفصاليون لم يكونوا محصورين في العناصر

الجنوبية والوحدويون كذلك، لقد كان في مصلحة القوى الانفصالية أينما كانت في الشمال والجنوب أن تكون هناك دولتان، لكي يلعبوا على الحبلين، واذا لم يعجبهم الشمال ذهبوا الى الجنوب والعكس، وينبغي أن يصحح هذا الفهم عند كل مواطن عربي وكل سياسي.. ان الحرب لم تكن شمالية- جنوبية، ولكنها بين وحدويين وانفصاليين، تماماً وبكل وضوح. اما ان كانت ضرورية ام لا فقد فرضت علينا ولم يكن امامنا بدٌ من أن ندافع عن الوحدة.

- قلت: تبقى شخصية (بسمارك) الالماني منارة لأي عمل وحدوي، ترى هل كانت شخصية بسمارك الالماني ماثلة أمامكم وانتم تخوضون هذه الحرب الوحدوية؟.

واجاب الرئيس : لكل انسان شخصيته، ولكل شعب خصوصيته، ومحاكاة الآخرين شيء غير طيب، فالإنسان يجب ان لايتقمص شخصية الآخرين مهما كان.

- وقلت: ولكن بسمارك رأى ان ليس هناك حل لقضية (الوحدة) بين الدول إلا بالقوة؟.

واجاب الرئيس : نحن عندما دافعنا عن الوحدة وخضنا الحرب من اجلها كنا مضطرين ان نخوض الحرب التي فرضها الانفصاليون على الوطن، ولم نكن قد وضعنا في حسابنا بسمارك او غيره..! إن الوحدة أمر حتمي، وهي اغلى من الاشخاص..! واهم من التشبه بأي شخصية تاريخية ولو كانت بحجم بسمارك!.

- سألته: وهل كان الاستعمار البريطاني اكثر ضرراً على الجنوب من الشيوعية ام ان الهيمنة الشيوعية والتخريب الشيوعي قد قضى على المصالح هناك؟.

واجـابني الـرئيس: كلهم دون اسـتـثناء ارتكبـوا جـرائم في حق الوطن؟
الاسـتعمـار البريطـاني كانت جريمتـه تمزيق الجنوب وتغذية التعصب القبلي والقروي والتعصب الزائد!. فـخلف تركـة ثقـيلة سيـئـة جـداً، و الاشـتـراكـيـون الماركـسـيـون اكـملوا المشـوار، وكلـهم الحق ضـرراً بالوطن، ولا تستطيع القول إن الاستعمار افضل من الشيوعيين او ان الشيوعيين افضل من الاستعمار، وان كنا لاننكر أن (الجبهة القومية) كان لها الفضل في إنهاء المشيخات والسلطنات وتوحيد الجنوب في دولة واحدة، لكنها لم تستطع ان تقضي على ماكان في الاعماق من التعصب المناطقي او القروي خاصة عندما التزم بعض قيادييها بالنظرية الماركسية وبدأوا حمامات الدم وعادوا الى الموروث القبلي واستعانوا به وأثاروا الأحقاد الكامنة والثأرات القديمة!. صحيح أن الحكم الشمولي استطاع في اطار ماكان يسمى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ان يوحد الجنوب بالقوة، ولكن من دون ان يوجد البديل الثقافي والانساني والتنموي الأفضل..!

- قلت: وماهي الخطوات التي حققت لفخامتك أمنية الوحدة وكيف اصبحت بطل هذه الوحدة؟.

قـــال : وكأنه يستعيد ذكريات عزيزة على نفسه-: الوحدة كانت تمثل لكل اليمن حلماً وهدفاً استراتيجياً ناضل من اجله الشعب وقدم تضحيات غالية وجسيمة.. والحمد لله تحققت هذه الوحدة في ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م بفضل الارادة والتصميم والالتفاف الشعبي حولها، وهي اهم انجاز وطني تاريخي تحقق في

اليمن.. يأتي بعد ذلك الخيار الديمقراطي والتعددية الحزبية وحرية الصحافة، وهذه تعتبر من الانجازات التي تحققت متلازمة مع الوحدة.

- قلت: ولكن ماهي الخطوات التي قطعتها فاستطعت ان تصل الى هدفك الكبير بغض النظر عن المعركة العسكرية؟ هل هذا جهد خاص ام أن هناك دوراً للاعلام، او الاقتصاد او القيادة السياسية للحزب؟ ترى كيف حققت هذه المعجزة؟.

وأجابني الرئيس: كما اوضحت لك ان الفضل يعود لله وللشعب، والوحدة هي ثمرة نضال طويل وقد تطلب تحقيق هذا الأمر الكثير من العمل والتضحية والعطاء حتى تجسدت الوحدة واصبحت واقعاً! والشيء الذي اعتز به شخصياً هو تنامي الوعي السياسي في البلاد والنهج الديمقراطي التعددي الذي هو الحزبية السياسية والتي نعتبرها عاملاًمن عوامل صيانة وحماية الوحدة، وهذه من الانجازات الكبيرة التي تحققت.. أما على صعيد التنمية فإن اهم انجاز هو استخراج النفط والغاز، وهذا كان هدفاً استراتيجياً لنا.. والمرء يشعر بارتياح انه استطاع أن يحقق شيئاً من لاشيء ولاشك ان الإنجازات الاقتصادية والسياسية التي تحققت في الشمال جعلته نموذجاً طيباً شدت اليه انظار الشعب في الجنوب، وانطفأ بريق الشعارات التي كان يرفعها الحكم السابق في الجنوب لتضليل الجماهير وادرك الشعب ان الشعارات لا يمكن ان تكون بديلاً للوحدة فهب من كل أرجاء الوطن ومارس ضغطاً قويا للتعجيل بإتمام الوحدة وقد جاء الوضع الدولي مكملاً كما أشرت من قبل، وتحقق الهدف العظيم بفضل الله..

اليوم هناك نهضة تعليمية وثقافية في البلاد، ونحن نعتبر ان تطوير الانسان وتعليمه من اهم المكاسب، من أجل أن يكون لدينا جيل متعلم بدلاً من ان يكون عندناجيل يشكل عبئاً على عملية التنمية..

- قلت: وما هو اكبر حليف لكم وانتم تشقون طريقكم نحو هدف الوحدة؟ هل هي إرادتك وإيمانك، وحبك لوطنك وخبرتك العسكرية والسياسية؟ ماهو اكبر عامل ادى الى نجاحك في قضية الوحدة؟

وأجابني الرئيس اليمني علي عبدالله صالح: أنا اقول لك أن الوحدة هدف وطني واستراتيجي وأمل تاريخي لكل يمني! انها هدف لكل ابناء الشعب اليمني ولم ينطفئ هذا الأمل في النفوس برغم كل التحديات والمؤامرات! ولقد شعرت ان عملنا النضالي يحتم علينا السعي من أجل تحقيق الوحدة ، وتم النزول الميداني الى أوساط المثقفين والى أوساط جماهير الشعب والجيش والأمن من أجل العمل لتحقيق هذا الهدف وبالفعل تحققت الوحدة واصبحت حقيقة، والحمد لله.

- قلت: وهل هناك اخطار تحدق بالوحدة؟.

وضغط الرئيس على اعصاب وجهه وقال: أكيد يوجد هناك اعداء للوحدة ولكن الوحدة راسخة رسوخ الجبال ومعمدة بدماء الشهداء الابرار، ولاخوف عليها.

- قلت: ومن هم اعداء الوحدة؟.

وقال الرئيس : ونبرة الغضب تبدو فوق كلماته-: هناك قوى منتفعة مثل القوى الانفصالية التي لازالت تناصب الوحدة العداء، وهذه العناصر فارة خارج الوطن.. ومثل هذه العناصر عميلة وتبحث عن الارتزاق عند الذين

يملكون المال! هل تفهمني؟

- سألته: وكم عدد هذه العناصر تقريباً ومن يؤيدها؟.

واجاب الرئيس: هناك قائمة الـ(١٦) المطلوبين من قبل الإدعاء العام، وهم الذين اعلنوا الحرب والانفصال وهم مطلوبون للقضاء، ويبحثون في كل مكان في العالم عمن يسندهم مادياً واعلامياً من اجل ان يسببوا متاعب للوحدة، ولكنهم لن يؤثروا على هذا المكسب الذي هو مكسب الشعب كله، إن إرادة الشعب من ارادة الله!

- سألته: وهل هناك دولة عربية او اجنبية بالذات.. تؤيدهم؟.

وقال الرئيس بعد صمت قصير: لا نستطيع ان نتهم احداً..؟

- سألته: ترى هل ادرك شعب اليمن الآن مدى الضرر والأضرار التي لحقت به من جراء الحكام الانفصاليين وتصرفاتهم وسياستهم؟.

واجاب الرئيس : إن كل مواطن يمني شريف يدرك ذلك ويدرك مالحق بالاقتصاد الوطني نتيجة تلك المؤامرات ونتيجة السلوكيات الضارة بتلك العناصر الانفصالية.

- قلت: وهل سايرك شعور وانت في غمرة الحرب انك ممكن ان تخسر هذه الحرب؟.

وقال الرئيس بعزم واضح: ابداً لم يساورني ادنى شك في انتصار الوحدة وبقائها لأنها مطلب جماهيري ولأنها قضية حق وعدل ومبدأ، وكنت موطناً نفسي على حرب طويلة استنزافية ربما لـ(٦) او (٧) سنوات حتى يتحقق لنا النصر!

- قلت: ولماذا يستمر بعض الناس في التآمر على اليمن؟.

واجاب الرئيس: إن لليمن الواحد الموحد موقعاً استراتيجياً جيداً ولها تاريخها وعمقها البشري ولديها نهج ديمقراطي، وهذا

مايجعل البعض -للأسف- يحاول ان يوجد حالة عدم استقرار في اليمن مستغلاً العناصر الضعيفة والفقر والجهل! لكن نحن لايقلقنا ذلك ابداً ولايؤثر علينا، ونحن نؤكد ان استقرار اليمن هو استقرار لكل دول المنطقة ، نعم.. لكل الدول المجاورة دون استثناء ونحن واثقون من يقظة شعبنا ومن سلامة توجهاتنا وحرصنا على السلام والاستقرار في المنطقة.

- قلت: وهل قصة الحدود الشمالية او الشرقية انتهت ام أنها مازالت تغلي؟- فالبعض فسر زيارة الامير السعودي سلطان من أجل اماتة هذا الموضوع ولكن لايموت حق وراءه مطالب بشرط ان يكون صاحب الحق وراء حقه، وانه مهما طال الزمن لابد ان يعود هذا الحق- هل هذا ينطبق على الموقف اليمني، انه مهما طال الزمن سيعود الحق الى اصحابه؟

واجاب الرئيس: نحن الآن في وقت افضل من الماضي.. والحوار القائم بيننا وبين الاشقاء مازال قائماً، والتفاهم موجود ونعتقد اننا سنصل الى حل.. بإذن الله لان الاستقرار والسلام يخدمان الجميع

- قلت: وفي أي اطار يجري التفاوض مع الرياض؟

واجاب الرئيس : نحن نعتبر قضية الحدود مع المملكة العربية السعودية قضية وطنية يتم التفاوض عليهابشكل وطني من قبل القيادة اليمنية كلها دون استثناء، وفي اطار تحقيق المصلحة الوطنية العليا دون أي نقصان..!

- سألته: وما هو موقفكم ياسيدي، من المعارضة اليمنية؟

وأجابني الرئيس: ان المعارضة اليمنية في الداخل لا غبار عليها ونحن

نرحب بها وندعمها ونشجعها لأنها الوجه الآخر للنظام، ونحن نعزز من دورها ونشجعها على ان تكون معارضة وطنية سليمة وهي الوجه الآخر للديمقراطية والنظام بدون أي شك!

- سألته: وفي السياسة العربية هل استطاعت مؤتمرات القمة العربية ان تجد حلولاً مناسبة للقضايا العربية المتلاحقة؟ أنا اسألك عن قضايا عربية خارج حدود بلدك؟

وأجابني الرئيس: في حدها الادني ربما نعم..! ماذا تقول انت؟

- سألته: وهل بقاء الجامعة العربية على حالها افضل من انتقالها الى رحمة الله؟

وأجاب الرئيس: الجامعة العربية هي بيت العرب والجامعة كمؤسسة عربية ينبغي الحفاظ عليها وتنميتها وتحسين ادائها وتطويرها وتشجيعها من اجل أداء دورها القومي. اليس كذلك؟

- سألته: وما هى اكبر عيوب الجامعة العربية في نظرك؟

وأجاب الرئيس: ليس العيب في الجامعة العربية كمؤسسة إنما العيب في الدول العربية الأعضاء فيها..! اقصد العيب فينا نحن العرب لاننا نستطيع ان نطور هذه المؤسسة إذا أردنا.

- سألته: وكيف تفسرون الموقف الايراني تجاه القضايا العربية؟

وأجابني الرئيس: والله نحن نأمل دوماً من ايران كدولة مسلمة وشقيقة ان تكون لها علاقات متميزة مع اشقائها في الوطن العربي لانه من مصلحة الجميع ان يكون هناك علاقات جيدة مع ايران وليس من مصلحة احد الشقاق ولا من مصلحة ايران الخلاف مع اي قطر عربي سواء مع الامارات أومع السعودية او مع

العراق! نأمل ان تكون هناك علاقات اخوة اسلامية قوية بكل ما تعنيه الكلمة.

– سألته، وانا انقل الحديث الى بلدي فلسطين: وكيف تقيمون مسيرة السلام بين العرب واسرائيل؟

وأجابني الرئيس: إن مسيرة السلام بين العرب واسرائيل اصبحت الآن حديث الساعة عندنا، وفي العالم، ونحن في اليمن مع السلام العادل والشامل والكامل بدون انتقاص ومع مبدأ الارض مقابل السلام ، ولكن لا يمكن ان تسلم الارض وبعدها يأتي الاستسلام. لا يمكن ان نقبل (بالاستسلام) مهما كان. وانا في اعتقادي ان خطوة الحكم الذاتي في جزء من الاراضي المحتلة مهما كانت عليه من ملاحظات و مآخذ هو مكسب طيب ويتطلب الأمر نضالاً مستمراً لاستعادة كل الحقوق المشروعة. وعلى اية حال فإن الوجود الفلسطيني على الارض العربية في غزة او الخليل او اريحا او غيرها افضل من البقاء في تونس وبقية الاقطار العربية مع التشرد وانتظار المجهول!

– سألته: وهل لكم رأي خاص في اتفاقية اوسلو؟

واجاب الرئيس: نحن نرى أن ايقاف التطبيع مع اسرائيل مطلوب من اجل إسناد او مساندة المفاوض العربي أمام اسرائيل، فإيقاف التطبيع من بعض الدول العربية سوف يساند بقوة المفاوض الفلسطيني ونستطيع ان نحصل على كل ماجاء في اتفاقية (اوسلو) وما أقره المجتمع الدولي من حقوق لنا خصوصاً قرارا مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ٣٣٨.

– قلت: معنى ذلك أنك تناشد الدول العرية إيقاف التطبيع مع إسرائيل.

اليس كذلك؟.

اجاب الرئيس : نعم.. وجزء من الضغط على اسرائيل لتنفيذ الاتفاقيات التي أبرمت معها، هو ايقاف التطبيع معها.

- سألته: واليهود في اليمن كيف تتعاملون معهم؟

وأجاب الرئيس: اليهود في اليمن عددهم محدود وبسيط جداً ولكنهم يمارسون كل حقوقهم السياسية مثلهم مثل اي مواطن يمني دون اي تفريق او تمييز.. كما ان حقوقهم المدنية والشخصية والدينية مصانة ومكفولة لانهم يمنيون ينطبق عليهم ماينطبق على المسلمين سواءً بسواء.

- قلت: وقبل عام ١٩٤٧م كيف كانت حالتهم عندكم؟

واجاب الرئيس : قبل عام ١٩٤٧م كانوا يمارسون جميع حقوقهم المدنية والدينية والسياسية والمتبقون منهم يمارسون كل حقوقهم بصورة طبيعية

- سألته: وهل كان يوجد عندهم املاك تذكر بحيث أن المفاوض الاسرائيلي يقول لنا اليوم انهم تركوا وراءهم ممتلكات تقدر بالملايين؟

واجاب الرئيس: لقد باعوا كل ممتلكاتهم بكامل حريتهم ومعظمهم كانوا حرفيين وكانوا مهنيين وتجاراً.. وقد باعوها واستلموا ثمنها كاملاً دون ضغط او اكراه.

- قلت وما تعليقكم على ما يجري حالياً في جنوب السودان؟

واجابني الرئيس: ما يجري في جنوب السودان نحن غير مرتاحين له، وهو في نطاق التآمر على وحدة السودان وتآمر على الوطن العربي ولو كان هناك تضامن عربي ولو في حده الادنى لما وصلت الأمور الى ماوصلت اليه في

جنوب السودان.

– قلت : ومن هو المسؤول عن ضياع التضامن العربي، ياسيدي الرئيس؟

واجابني الرئيس : نحن جميعاً مسؤولون! كل القادة العرب وكل عربي هو مسؤول عما لحق بالتضامن العربي من انتكاسة. كلنا في مركب واحد. وكلنا في المسؤولية سواء!

– سألته: ترى هل استطاع مجلس التعاون الخليجي تحقيق بعض اهدافه السياسية والاقتصادية بين اعضائه؟.

اجاب الرئيس : والله هذه من خصوصيات الدول الاعضاء في مجلس التعاون الخليجي ولا أريد ان احشر نفسي في تفاصيلها!

– سألت رئيس اليمن: وماهو رأي الرئيس اليمني في إعادة انتخاب (بيل كلينتون) لرئاسة امريكا؟..

واجاب الرئيس: نحن لا نفرق في تعاملنا السياسي مع الولايات المتحدة سواءً فاز الجمهوريون او الديمقراطيون ولكن نعتقد أن إعادة انتخاب (بيل كلينتون) وعودته الى البيت الابيض سيكون مثمراً لأنه سيتحرر من بعض الضغوط التي قد تفرض عليه من قبل بعض جماعات الضغط وخاصة اللوبي الصهيوني.. ويستطيع ان يدخل التأريخ من أوسع ابوابه ويكون زعيماً عظيماً للعالم بوصفه زعيماً (لدولة) كبرى راعية للنظام الدولي الجديد.

– سألته: وانت، كرئيس دولة اليمن ماذا تطلب منه؟.

واجابني الرئيس علي عبدالله صالح: أتمنى أن يدخل التأريخ في رعايته لمسيرة السلام بجدية وصدق وان ينصف الشعب العربي الفلسطيني والشعب اليهودي معاً، بما يضمن

انهاء الاحتلال، وإقامة الدولة الفلسطينية ويثبت أمن إسرائيل! وبدون قيام الدولة الفلسطينية لن يكون هناك أمن لإسرائيل، ويعتقد خطأً من يقول أن الوضع الموجود يثبت أمن اسرائيل! ان أمن اسرائيل هو فقط في قيام الدولة الفلسطينية المعترف بها وكلينتون قادر الآن ان يلعب دوراً فاعلاً من أجل السلام في المنطقة.

- سألته: وهل قلت هذا الكلام لـ(ابو عمار)؟.

وأجاب الرئيس: التواصل مستمر بيننا وبين عرفات، ولكنني لم اتحدث معه في الوقت الحاضر.

- سألته: ومع الملك حسين هل يوجد هناك اتصالات جارية؟.

واجاب الرئيس: الاتصالات بيني وبين الملك حسين جارية وطبيعية ولكننا لم نتحدث في الآونة الأخيرة بسبب الانهماك في قضايانا.

- وسألته عن النظام الدولي الجديد! قلت له: ما هو رأيكم في الهيمنة الامريكية الشرسة على قضايا الشرق الاوسط؟.

واجاب الرئيس: حقيقة هذا الانفراد بعد نهاية الحرب الباردة وإيجاد نظام دولي ذي قطب واحد، فيه خلل كبير، وكان المفروض ان يكون ميزة للعالم وبركة للناس اذ باستطاعة الامريكان مع عدم وجود أي قطب دولي ينافسهم في الوقت الحاضر أن يقوموا بدور عادل وان يكسبوا ود الجميع في مختلف انحاء المعمورة.

- قلت: وكيف تفسرون البلبلة التي تحيط بالموقف التركي المتضارب تجاه العرب؟.

قال الرئيس : نحن متفائلون. وحكومة (نجم الدين اربكان)- كان هذا قبل التعديل الوزاري الأخير في تركيا- الذي يعتبر ذكياً وشجاعاً رغم الهجمات الموجهة اليه، وقد اثبت قدرة ومقدرة سياسية بارعة وكان له مواقف شجاعة نعتز بها، ونتمنى دوماً أن تعزز تركيا علاقاتها مع اشقائها وجيرانها العرب، ولكن خصوم اربكان يقفون له بالمرصاد ولن يتركوه طويلاً في كرسي الرئاسة!*

- قلت: ان الضربات الموجهة الى التيار الإسلامي في السودان وفي مصر وفلسطين والاردن، ترى هل يوجد عند فخامتك أي رأي حولها؟.

قال الرئيس : نحن ضد الحرب على الاسلام، وضد ان يوظف الاجانب ديننا الحنيف لحسابهم! لأنهم للأسف وظفوا الحركات الإسلامية في افغانستان كما يريدون وعندما استغنوا عنهم قالوا: هؤلاء متطرفون! لقد دعموا الحركات الاسلامية لمواجهة التطرف الشيوعي، ولمّا انتهى خطر الشيوعية قالوا عن هؤلاء بأنهم متطرفون! فنحن ضد التطرف باسم الاسلام، لان التطرف يظلم الاسلام كثيراً كما يحدث الان للأسف في افغانستان، وفي غيرها!

- قلت: ترى هل استطاعت الأمم المتحدة أن تحقق اهدافها التي بنينا عليها الآمال عندما تأسست؟

قال الرئيس : الأمم المتحدة مؤسسة ذات اهمية عظيمة وكبيرة ولكن طالما بقيت هذه المؤسسة خاضعة لحق النقض او (الفيتو) فلن تتمكن من أن تقوم بأي دور دولي هام وعادل..

- قلت: إن الاوضاع الاقتصادية في العالم متردية فما اسباب ذلك حسب تقديركم؟.

واجاب الرئيس: هناك خلل قائم في الجانب الاقتصادي! لاتوجد عدالة اقتصادية في العالم وعندما توجد عدالة بين الدول الغنية والدول الفقيرة،ومراعاة من الدول الصناعية الأكثر انتاجاً للدول الأقل نمواً ، سيوجد عالم متكامل، وسلام عادل، ودائم واقتصاد عالمي جيد، في كل دول العالم! فالحروب والفوضى التي تحدث في غالبيتها هي نتيجة وجود خلل في الجانب الاقتصادي والمفروض أن يكون هناك توازن وعدالة في هذا المجال..

- سألته : وانا امشي به صوب الجانب الشخصي من حياته: وما هو الكتاب الذي مازلتم تذكرونه بعد أن قرأتموه؟.

فقال الرئيس : انا الآن اقرأ في الموسوعة العربية التي تبنى طباعتها الأمير سلطان واقرأها هذه الايام باهتمام كبير واقرأ كل ماهو جديد في السياسة وفي مختلف المجالات الثقافية والأدبية والسياسية.

- قلت: ومن هو الرجل التأريخي الذي ترك اثره في شخصيتكم؟.

قال الرئيس : عبد الناصر كزعيم وكلنا متأثرون به...

- سألته: وماهي هوايتكم الشخصية؟

قال الرئيس : حسب (الطقس) السياسي، فاذا كان (الطقس)جميلاً فكل شيء يكون جميلاً، واذا كان الطقس السياسي سيئاً فكل شيء سيء.

- قلت: وماهي نصيحتكم للجيل العربي الصاعد، ياسيدي؟

قال الرئيس : نصيحتي للجيل العربي أن يأخذ كل شيء بعمق وجدية

في ثقافته وتفكيره وأن لايأخذ القشور، وان يهتم بالكيف لابالكم.!

– ثم سألته: وهل الإعلام ضرورة ام ديكوراً في قاموسكم الرسمي الخاص؟.

واجاب الرئيس: الإعلام ضرورة وله الأولوية وهو اهم قناة توصلنا بالعالم ودوره يبقى دوماً مهما، فالإعلام يبقى من الأولويات ومن الأشياء الهامة في عالم اليوم.

– قلت بصراحة: ولماذا اليمن مقصر في هذا الميدان الاعلامي؟.

قال الرئيس : والله نحن مقصرون في الجانب الإعلامي لأن عندنا اولويات وخاصة في مجال الخدمات والتنمية! والإعلام هو مال وانفاق ويحتاج الى إنفاق كبير جداً، ونحن نعترف بالتقصير في المجال الإعلامي.!

– قلت: وماهي اهتماماتكم الآن في اليمن الحديث؟.

قال الرئيس : الجانب الاقتصادي هو همنا الحالي وذلك من اجل زيادة الدخل ورفع الصادرات والناتج المحلي، وتنمية الصناعة والزراعة واستكمال الخدمات العامة في داخل البلاد وهذه جميعها هموم رئيسة بعد همين واجهناهما :تثبيت الجمهورية ثم الوحدة الكبرى.

– قلت: وماذا عن الانتخابات القادمة؟ وهل هناك خوف من إجرائها؟ ولماذا هذا التركيز في الخوف من أن (لا) تجري في موعدها؟.

واجاب الرئيس: الانتخابات هي محور الاهتمام الآن لدى الجميع، وهي ضرورية لانها قلب النهج الديمقراطي في بلادنا في الاطار الديمقراطي التنافسي، وقد تظهر بعض الاتهامات المتبادلة والحديث عن خروقات من

× وقد صدقت نبوءة الرئيس علي عبد الله صالح وأقصى أريكان من رئاسة الحكومة.

قبل اللجنة العليا للانتخابات، وأن هناك عدم تطبيق للقانون وذلك أمر طبيعي في اطار الديمقراطية.. ونحن نحرص أن تجري الانتخابات في موعدها المحدد وستجري في موعدها المحدد وستكون ناجحة وحرة ونزيهة بإذن الله.*

- قلت للرئيس: وهل سيكون فيها حرية؟ اعني: هل ستكون انتخابات حرة؟.

واجاب الرئيس: نعم حرية كاملة وهناك اكثر من ١١ حزباً ستخوض الانتخابات.

- وسكت الرئيس علي عبد الله صالح..

وكنا نجلس في غرفة جانبية تطل على بستان القصر الذي يقيم فيه، وامامنا كثير من الزوار الذين ينتظرون الدخول، وقلت للرئيس أسأله:

- ترى هل كانت اسئلتي متعبة؟ لم اقصد ان اتعبك ياسيدي الرئيس!

واجابني الرئيس اليمني مع ابتسامة جديدة :

انا ارحب بكل مساهمة اخدم بها بلدي، وانا اعتقد ان اسئلتك اعطتني الفرصة لكي اخدم الحقيقة في هذا الوطن، ومن هنا كانت سعادتي، واتمنى ان اراك قريباً، وسلامي للأهل كلهم في الاردن وفي القدس الغالية.

وانتهى حديث رئيس جمهورية اليمن..

وبعــد..

إن علي عبدالله صالح هو رجل الديمقراطية والتعددية... والوحدة الكبرى..

لقد سمعته شخصياً يوم ١٩٩٦/١١/٦م يقول لرئيس واعضاء لجنة الاحزاب والتنظيمات السياسية في صنعاء: (إن الديمقراطية هي الخيار

الوطني للبناء الذي لا تراجع عنه، وينبغي أن تحشد جميع الجهود، احزاباً وافراداً من أجل رعاية الديمقراطية وترسيخ جذورها وتطوير آفاقها وتجنيبها أية سلبيات او تجاوزات غير قانونية، وبما يكفل التنافس الشريف بين الجيمع من خلال البرامج وخدمة الشعب، ومن خلال تكريس مبدأ التداول السلمي للسلطة).

وشكراً باسم الحرية وباسم الديمقراطية وباسم كل طالب وحدة، يافخامة الرئيس.

●●●

الفصل الثالث



اليمن..

بلا

سياسة!

تبقى اليمن أروع متحف سياحي على مدى فصول السنة! ولو كنت وزيراً للسياحة او خبيراً في عالم السفر والطيران لجعلت من بلاد اليمن اكثر البلاد اجتذاباً للسياح واعظم البلاد اجتذاباً للمال.

ففي اليمن يلتقي التاريخ مع الثقافة والآثار والحضارات القديمة! وفي اليمن تتوفر المناظر الطبيعية التي تتشكل من الجبال والسهول، والوديان، والحقول، والجزر البحرية، والشواطئ الواسعة، مع المناخ الذي يتنوع باختلاف فصول السنة، فلاشتاء ولاصيف، ولاحر ولا برد، بل فصول متتابعة، ذات مناخ متنوع، يتفق مع رغبة السائح في شتاءٍ دافئ وصيف غير قائض يرضي الألماني والبريطاني والفرنسي والياباني بلا حدود ولا انقطاع!

لقد اضافت المكتشفات الأثرية الحديثة ميزة جديدة لحضارة اليمن، يحتمل أن تؤدي الدراسة المتعمقة والبحث في المواقع الى احداث تحول في الطروحات التي كانت سائدة عن الحضارات واتصالها. خصوصاً مع اكتشاف المقابر الصغيرة في المحويت وصنعاء، التي دحضت اعتقاد المؤرخين بانفراد الفراعنة وسبقهم في التحنيط، فقد كشفت المقابر الصخرية المكتشفة في اليمن ان اليمنيين القدماء اعتقدوا بالبعث والنشور منذ اقدم

الازمان ومارسوا التحنيط على نطاق واسع لم يقتصر على النخبة بدلالة كثافة المقابر المكتشفة حتى الان.. الامر الذي يشير الى اتصال ما للحضارتين اليمنية والفرعونية قبل الحديث عن اسبقية علم التحنيط.

ولم يقتصر التشابه بين الحضارتين في التحنيط بل أن مكتشفات السنتين الأخيرتين في جبل العود بمحافظة إب أضافت من الجديد ما يبرر اعادة طرح التساؤلات حول حقائق كان اعتقاد المؤرخين بثبوتيتها لا يقبل الشك حول علاقة الحضارات ومنشأها وغيرها من الاسئلة.. فثمة تمثال صغير يشبه تمثال ابوالهول ومجموعة اخرى متشابهة مع الموروث المعروف عالمياً من التراث الاغريقي من حيث التشكيل والملابس والاوضاع التي تتخذها.. ومازال التنقيب والبحث والدراسة في الطور الاول.

إن هذه الاكتشافات مع الاثار التي مازالت مخزونة في بطون الجبال هي الثراء التاريخي الذي يشكل مصدراً للجذب السياحي الى ارض تجمع كل الفصول بتضاريسها ومناخاتها المتنوعة من مستوى سطح البحر الى ارتفاع ٢٨٥٠ قدم عنه تتنوع فيه كل منطقة وتحمل خصائصها الفلكلورية.

فكل شيء هنا، يحمل اثارة ما وكل جبل له حكاية شعبية او اسطورية وفي احيان عدة تتطابق الحكايات التي تبدو اسطورية مع ما يخرج من اثار في المنطقة.. وبالنسبة للأوروبي فإن اليمن هي الارض البكر التي لم تعبث بها يد الانسان والساحل النقي الذي لم تلوثه الصناعات.. على أن البلاد التي كانت تغلق الابواب السبعة لعاصمتها كل يوم بعد غروب شمسه حتى صباح اليوم التالي تنفتح اليوم على صناعة جديدة ليس لليمنيين بها خبرة سابقة بسبب العزلة، حيث كان دخول الاجنبي الى عاصمة البلاد يتطلب موافقة خطية من الإمام حسب ما يورده مؤلف كتاب اليمن من الباب الخلفي.

إن عدم الخبرة تفسر سعي اليمنيين للإستفادة من الشركات السياحية

العالمية بدعوتها الى الشراكة الاقتصادية، ولو أجاد اليمنيون الترويج لميزات بلادهم لجعلوا من السياحة مصدراً للدخل لا يقل عن النفط وانما يفوقه لما لأرضهم من جاذبية سياحية.

لقد احتفل برأس السنة الميلادية ١٩٩٨م نحو ٣٥٠٠ سائح اوروبي في صحراء شبوة وحضرموت قدموا الى اليمن للاحتفال على طريق تجارة اللبان والبخور القديمة التي اشتهرت بها اليمن ومضواعلى رواحل يتلمسون الطريق التاريخي الاسطوري الذي ربط اليمن تجارياً وحضارياً بالعالم.

قيل لي ان عدد السياح الاجانب الذين زاروا اليمن في العامين الماضيين، لا يقل عن ستين او سبعين الف سائح. ولو تضافرت وسائل الإعلام والدعاية، مع توفير الخدمات المطلوبة لاستقبال السياح، لجاء الى اليمن مليون سائح في العام الواحد!

ان صنعاء القديمة بأسوارها التاريخية بما تحتويه من آثار معمارية، كمدينة تاريخية حية مازالت اسواقها التي هي أشبه بمتاحف تاريخية، وعمرانها الذي حافظت عليه لهي ثروة اليمن السياحية غير القابلة للنضوب او بكلمات الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر بعد زيارته لها : انها ثروة اليمن التي تفوق النفط لو استثمرت سياحياً كذلك ومنطقة (المحويت) ومدن مناخة، وحجة، وصعدة، ومأرب والجوف وشبام وغيرها تستحق ان يحج اليها الملايين! ولذا، فقد تنبهت بعض الشركات الأوروبية الى هذا الأمر، ودقت على باب الحكومة اليمنية لكي تعرض عليها المشاريع والقروض، وتشارك معها في تأسيس الهيئات العامة، والمجالس المتخصصة في ادارة الفنادق والمعارض بغية تحويل اليمن الى اروع بلد سياحي في الشرق الأوسط!

ولست مبالغاً اذا قلت أن كل مواطن في الشارع اليمني هو شاعر، او صحفي، او مطرب! او اديب، او عاشق!.. إن اليمن هي ملعب الفنون والطرب والشعر في دنيا الجزيرة العربية! ان معظم المطربين المعروفين الذين اختطفتهم اذاعات السعودية او دول الخليج العربي، تعود أصولهم

الى ارض اليمن. فالمطرب عبد المجيد عبدالله -وهو بمثابة عبد الحليم حافظ او فريد الأطرش عند المستمعين في الجزيرة العربية- وهو من اصل يمني، وكذلك المطرب(السعودي) محمد عبده الذي ولد في الحديدة باليمن وينتسب الى منطقة (المراوعة) ويعتبره اهل اليمن واحداً منهم. كما ان اكثر الاغاني الخليجية وان لم يغنها مطربون من اصول يمنية هي اغنيات يمنية أعيد توزيع الحانها وغناها مطربون خليجيون.

لقد انتشرت في السنوات الاخيرة.. موضة.. السطو على التراث الغنائي اليمني من فنانين خليجيين جدد وقدامى ونسبها اليهم من دون الاشارة الى المصدر، فالكثير من الكلمات والالحان المغناة باصوات خليجية وعربية تعود الى التراث الصنعاني او اللحجي او الحضرمي، يستمع اليها اليمنيون بالاصوات الجديدة، وتلقى رواجاً لدى الشباب، لكنهم يبدون امتعاضاً واضحاً من عدم اشارة الفنانين الى مصادر الكلمات وأصل الالحان ويعتبرونها (سرقة فنية شبيهة بادعاء بعض الفنانين اليهود من اصول يمنية بان الاغاني التراثية المغناة بأصواتهم هي من تراث يهود اليمن).. ومن الناحية الفنية فقد حافظ يهود اليمن على الطابع الايقاعي الموسيقي رغم ركاكة نطق العربية افضل مما تعامل معه بعض الفنانين العرب الذين قضوا على بعض المفردات التي تشير الى بيئة الاغنية وغيروا في اللحن.

لقد مشيت في شوارع اليمن استمع الى أدب عبدالله البردوني الاديب الكلاسيكي، والى الاديب الشاعر المجدد عبدالعزيز المقالح، ومع كل خطوة او جلسة او رحلة او زيارة الى أية مدينة من مدن اليمن، كانت اصوات المطربين محمد مرشد ناجي، واحمد السنيدار، ومحمد الحارثي، تُرفهني وتُريح مسمعي، وتطربني.

إن المستقبل الزاهر في عالم التلحين والطرب، مازال يفتح ابوابه للحنين شبان من امثال احمد فتحي.. ومازال صالح الدحان هو عملاق الصحافة في عالم اليمن، وما زال الشارع اليمني يردد اشعار الشاعرين

الراحلين في السياسة والأدب والثورة وهما: محمد محمود الزبيري ومحمد سعيد جرادة.. اما في الشعر الغنائي فقد برزت اسماء. علي بن علي صبرة، وحسين المحضار، وعبدالله عبد الوهاب نعمان، الشهير بالفضول وهو صاحب كلمات النشيد الوطني اليمني.

وتضطلع المرأة في اليمن بدورها المميز في الحياة الأدبية والسياسية انها حفيدة المرأة اليمنية التأريخية التي اطلت على العالم لكي تمشي به صوب المجد، والشورى، والنجاح.

إن دستور اليمن قد منح المرأة ، كما اعطتها سائر القوانين اليمنية، كل الحقوق التي تتمناها أية امرأة في الدنيا. ان اليمن هي بلاد بلقيس، واروى، وفي انتخابات عام ١٩٩٣م، سجلت اكثر من نصف مليون امرأة،. اسماءهن في سجل الانتخابات، وكانوا يتوقعون ان يصل عدد النساء اللواتي سجلن اسماءهن في معركة انتخابات عام ١٩٩٧م الى اكثر من سبعمائة الف صوت.

لقد اقترح الوزير الاديب والمثقف معالي الدكتور عبدالكريم الارياني تخصيص عدة مقاعد محصورة للمرأة في مجلس النواب الجديد لعام ١٩٩٧م ، لتكون متناسبة مع الاقبال الكبير للمرأة للمشاركة في الحياة السياسية وكثافة الخطاب السياسي الحزبي حول تشجيع المرأة، وقد تبنى المؤتمر الشعبي العام مبادرة الدعوة الى تخصيص دوائر نسائية تلتزم الاحزاب بعدم تقديم مرشحين من الرجال فيها، بحيث تمثل هذه الدوائر نسبة مئوية معينة من الدوائر الانتخابية، الاّ أن حُمى التنافس على الفوز قد اعاقت الوصول الى اتفاق محدد مما دفع المؤتمر الشعبي العام الى ترشيح المرأة في قائمته.. ورغم وصول اثنين الى برلمان ٩٧م في قائمة المؤتمر، الاّ أن ذلك مازال قليلاً حسب قول امة العليم السوسوة وكيلة وزارة الاعلام التي قالت: أن المؤتمر سيرفع نسبة المرشحات في الانتخابات القادمة ليتناسب مع كثافة وجود المرأة في صفوف التنظيم واتساع مشاركة المرأة في الحياة السياسية والثقافية والانتاجية بشكل عام في اليمن.

إن هناك اكثر من ثلاثين الف (عضوة) في المؤتمر الشعبي العام وقد نص الميثاق الوطني على أهمية دور المرأة في حياة اليمن . ومعترف لها بكافة الحقوق السياسية والمدنية.

والمطلوب الان هو رفع وصاية الرجل اليمني عن المرأة اليمنية.

والمطلوب - ايضاً - ان تولي الأحزاب اليمنية الفرص اللازمة لإعدادها وتثقيفها وتدريبها على مسؤوليات الحياة الهامة. وليس هذا الأمر بالمستحيل.

وهذا الشعب الذي يثور ويحارب ويغني وينظم الشعر ويهوى منظر القمر، هو نفسه الشعب الذي جاء من وسطه الملاكم اليمني العربي العالمي نسيم حميد كشميم بطل الملاكمة في وزن الريشة.

ومن كلمات النشيد الوطني للجمهورية اليمنية، يستطيع المرء ان يغوص الى أعماق المفهوم الثوري لدى احرار اليمن، وقادته، تجاه الوحدة وتجاه الثورة وتجاه الشهداء اليمنيين الابرار.

يقول النشيد وهو من نظم الشاعر عبدالله عبد الوهاب نعمان، وتلحين الاستاذ الملحن الكبير ايوب طارش:

رددي ايتها الدنيا نشيدي   رددي واعيدي واعيدي

واذكري في فرحتي كل شهيد   وامنحيه حللاً من ضوء عيدي

● ● ●

يابلادي نحن ابناء واحفاد رجالك

سوف نحمي كل ما بين يدينا من جلالك

وسيبقى خالد الضوء على كل المسالك

كل صخر في جبالك كل ذرات رمالك

كل انداء ظلالك ملكنا انها ملك أمانينا الكبيرة

حقنا.. جاء من امجاد ماضيك المثيرة

● ● ●

رددي ايتها الدنيـــــا نشيدي ردديه واعيدي واعــــــيدي
واذكري في فرحتي كل شهيد وامنحيه حللاً من ضوء عيدي

●●●

وحدتي.. وحدتي.. يانشيداً رائعاً يملأ نفسي
انت عهد عالق في كل ذمه
رايتي.. رايتي.. يانسيجاً حِكتُه من كل شمس
اخلدي خافقة في كل قمة
أمتي.. أمتي.. امنحيني البأس يامصدر بأسي
واذخريني لك يا أكرم أمــة

●●●

عشت ايماني وحبي سرمديا ومسيري فوق دربي عربيــــــاً
وسيبقى نبض قلبي يمنــــــيا لن ترى الدنيا على ارضي وصيا

●●●

رددي ايتها الدنيـــــا نشيدي ردديه واعيدي واعــــــيدي
واذكري في فرحتي كل شهيد وامنحيه حللاً من ضوء عيدي

●●●

ان غمرة السلام والحرب والمسؤوليات الكبار التي ترتبت على توحيد اليمن والانتصار في الحرب، مع ترتيب البيت الداخلي، لم تصرف الرئيس علي عبدالله صالح عن الالتفات الى وسائل الإعلام اليمني، والصحافة اليمنية بأسرها للعمل على تطويرها وخاصة بعد ما شعر رئيس اليمن بأن الاشتراكيين الانفصاليين الشيوعيين قد (تعمدوا) اجهاض عمل وزارات الإعلام والثقافة سوء قصد وتصميم وتآمر!

لقد ذهب رئيس اليمن يزور وزارة الاعلام في العاصمة لكي يتم تطوير الصوت الإعلامي اليمني عبر الاذاعة والتلفزيون والصحافة، وقال لكبار موظفيها وهو يصافحهم :(لولا اخلاصكم وجدية عملكم لكان البث الاذاعي والتلفزيوني قد توقف وانقطع صوت اليمن عن العالم...

وانا اعرف الكثيرين من العاملين منكم الذين اثبتوا قدراتهم واخلاصهم في التعامل مع هذه الاجهزة القديمة التي شاخت وكبرت ولم تشهد أي تحديث أو عناية او تطوير..)!!

ثم تطرق الى الصحافة ورسالتها وقال:

- (ان رسالة الصحافة هي نشر الثقافة والعلم والمعرفة وتعميق الوعي الوطني وتعريف المجتمع بكل ما يجب ان يعرفه بعيداً عن الشتائم والإساءة الى الاخرين!.. ان الدولة مهتمة بتطوير هذا الجهاز الاعلامي بصورة فعالة من اجل ايصال صوت اليمن على المستوى الوطني والمستوى العالمي.. ولنا تجربة ايام الحرب الاخيرة.. اذ بالرغم من توفر الكفاءات والقدرات الاعلامية الجيدة في البلاد، الا ان الصوت الاعلامي اليمني على مستوى الخارج، كان ضعيفاً، بينما حملات التضليل ضدنا كانت واسعة وشرسة من جانب الاعلام المعادي. إننا عازمون على توفير جميع الامكانيات والتجهيزات اللازمة لتطوير الاذاعة في محطتي (الحسوة) بعدن ومدينة (الشّحر) بحضرموت وتوفير المال اللازم مع كل ما يلزمنا لكي يصل صوت اليمن جلياً واضحاً الى كل اطراف اليمن، وخاصة في المناطق الشرقية والشمالية).

وبعـــد..

وانه لما يدعو الى الاعجاب ان تظهر اكثر من احدى عشرة صحيفة اهلية يمنية جديدة خلال ستة اشهر فقط بعد توحيد البلاد..

وتزدان بعض هذه الصحف بشعار الجمهورية وخاتمها وفيه يظهر النسر اليمني وهو يبسط جناحيه على العلم الوطني ويستند على طاولة مكتوب عليها الجمهورية اليمنية، كما نقشوا على بطن النسر رسماً يمثل سد مأرب وشجرة البن.

● ● ●

انني ادعو الى اقامة مهرجان ادبي وغنائي وفني كبير يكون اسمه مهرجان بلقيس، وتنظم فيه ومن اجله الأغاني الخاصة والملاحم الشعرية

والقصائد، وتروى فيه فصول من تاريخ هذه الملكة العظيمة وكيف جاءت الى بيت المقدس منذ آلاف السنين لكي تزور النبي سليمان وتعتنق الإسلام على يديه كما تقول القصص والأساطير.

ان قصة العشق التي ربطت بلقيس مع سليمان تستحق الخلود.! هذه المرأة كانت ملكة دولة سبأ، وطريق اللبان التجاري الذي يمتد من ميناء (قنا) على البحر العربي في شبوة الى غزة على شواطىء فلسطين، كما يروي الدكتور يوسف محمد عبدالله مستنداً الى كتاب (التيجان في ملكوك حمير).. وقد شهدت مأرب حضارة يمنية مذهلة أيام سبأ وحمير والدويلات اليمنية القديمة.. وايام بلقيس ملكة سبأ.

انها المرأة التي قال عنها والدها قبل وفاته:

(فلا والذي احلف به ما رأيت مثل بلقيس رأياً وعلماً وحلماً وجمالا).!

وهي المرأة التي ورد ذكرها على لسان هدهد سبأ وهو يصفها لسليمان (... ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في حسنهاوفضلها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي اعطته في بلدها!).

ومازالت هذه القصة تبحث عن كاتب مسرحي او روائي او سينمائي يقدمها للعالم.

وما زال اهل القدس يتطلعون صوب مأرب ويتداولون اسم بلقيس، وينتظرون موعد مهرجان فني ادبي عالمي يزيد من الارتباط بين اليمن من جهة والقدس وغزة من جهة أخرى...!

وعلى صعيد الفنون الشعبية، لاسيما فنون الرقص الشعبي، فإننا نجد أن هذا اللون من الفن، يحظى باهتمام وحرص وزارة الثقافة للحفاظ على سمات التنوع التي يتميز بها، فهناك رقصات المناطق الجنوبية، وهناك رقصات المناطق الشمالية، وهناك رقصات السهول اليمنية وكل لون من الوان الرقص الشعبي اليمني يختلف عن اللون الاخر من حيث الايقاع ومدى سرعة الخطوات اوبطئها.

وسألتهم عن اسماء الرقص الشعبي التي يحفظها الناس في اليمن وهل هي من نوع رقص الهوانم كما عرفناه في مصر على انغام الموسيقار سامي الشوا أم هو هز البطن على طريقة كاريوكا، ام هو الدبكة اللبنانية، ام هي فرقة السماح السورية، فأجابوا بأن هناك رقصات تعبيرية يمنية تحتوي على اداء بعض الحركات التمثيلية واسمها(رقصة النسور)، كما ان هناك رقصة (الدعسة) ورقصة (الموج) وغيرها.

ان الرقص اليمني على اختلاف ايقاعاته، والحركات التي يؤديها الراقصون ببطئها او سرعتها، وتباينها من منطقة الى اخرى، بل واختلاف كل رقصة عن اخرى، انما يجسد هذا الرقص البيئة المحلية اليمنية والبيئة الخاصة للمنطقة نفسها من حيث ممارسة السكان للانشطة الانتاجية من زراعة ورعي وصيد والمواسم الانتاجية، ومن اشهرها الرقصات الاحتفالية التي يقيمها اهل زبيد في موسم جني النخيل.

والرقص هنا يغلب عليه الطابع التعبيري اذا كان مرتبطاً بموسم والايقاعي الابتهاجي اذا كان مناسباتياً في الافراح والاعياد. ومن التنوع في اليمن أن تنوعت الرقصات بحيث أن كل محافظة تشارك في المهرجان التي تقيمها وزارة الثقافة بفرقتها الخاصة التي تقدم لونها الخاص وبأزيائها المميزة.

وكلها تعبر عن التنوع في إطار الواحد وتعكس ثراء وغنى الثقافة والفنون اليمنية.

● ● ●

ولم أشأ ان أغادر اليمن إلا وقد جمعت معي اكثر من عشرين خنجراً يمنياً قديم بعضها وجديد بعضها الآخر. واذا كانت مدينة(حجة) اليمنية مشهورة بصنع الخناجر فقد طلبت منهم ان أزور (حجة) لكي اشهد صناعة هذا الخنجر اليمني الشهير، ولكنهم اخذوني الى (حريب) حيث صناعة البساط اليمني الملون. وانا لست بحاجة الى بساط بقدر ما انا بحاجة –في

عالم القدس المضطرب – الى خناجر ذهبية او فضية او نحاسية.

لقد زرت السد، وزرت عرش بلقيس، وتذكرت كل ما قرأته عنها يوم دخلت هذه الساحرة الخالدة الى بلدي.. بيت المقدس ومعها الجمال تحمل اللبان، والطيب، والذهب، والاحجار الكريمة، فاستقبلها سليمان – كما تقول الموسوعة – بالترحاب واحسن وفادتها وبهرتها حكمته وقوته، وعجائب ما تصنع له الجن وهم في خدمته. ثم دخل سليمان مع بلقيس الى الصرح وكشفت له عن ساقيها.. الخ!

وقال عنها الشاعر نشوان الحميري:

أم اين بلقيس المعظم عرشها   او صرحها العالي على الاصراح؟
زارت سليمان النبي بتدمر   من مأرب دينا بلا استنكاح!

● ● ●

ولعل اروع ما اعجبني في سد مأرب انه لم يحمل بعد انجازه رسم رئيس الجمهورية كما جرت العادة في مصر، وليبيا والمغرب والأردن والعراق! انه علي عبدالله صالح المتواضع والطيب والمنكر لذاته.

والسد المذكور في حد ذاته مأثرة من مآثر الشيخ زايد، رئيس الامارات العربية المتحدة، الذي تبرع بنفقات البناء واصبح السد (علامة متميزة على طريق التعاون الاقتصادي اليمني الاماراتي..!)

وزرت السد واحسست بأن معجزة اخرى من المعجزات قد تحققت في بقعة اخرى من بقاع هذا الوطن، فأحالت الارض القاحلة الى جنة خضراء، وجمعت الماء الابيض، لليوم الاسود الذي لا ماء فيه ولامطر!

والى جانب السد الجديد، يقع السد القديم، وليس هناك اي مجال للمقارنة. فقد ينفع السد القديم ليكون عنوان محاضرة في التاريخ او الهندسة، اما السد الجديد فإنه (امر واقع) حلو تراه وتحس به، وتصفق له، بينما انت في السد القديم لاترى الا كومة احجار وتراب وحشرات تزحف.. وكلام كثير!

وقد نسيت كم هو طول السد العالي في مصر والذي زرته مائة مرة، منذ وضع الحجر الاساس فيه حتى حرب الايام الستة، ولكن سد (مأرب) كما زرته ودرست معالمه لايقل طوله عن ٧٦٠متراً وارتفاعه عن اربعين متراً، ويجاوره سدود ملحقة به، وتحول له الماء مع مجموعة قنوات مياه طولها ستون كيلومتر!

وقيل لي ان مساحة مياه الامطار التي سيخزنها سد مأرب لاتقل عن تسعة آلاف كيلو متر مربع، كما يصل تصرف المياه الى الوادي الى اربعمائة مليون متر مكعب ، وتصل طاقته التخزينية الى (٣٩٠)مليون متر مكعب وتبلغ مساحة البحيرة التي سيخلفها السد ٤٠٥ كيلومترات.

هذه ارقام قد تنفع الذين يحبون المقارنة بين سد مأرب والسد العالي في مصر!.. الأول بناه اليمن بأموال الامارات العربية، والثاني بنته مصر بقروض وخبرة واجهزة من الاتحاد السوفيتي.

إن السد العالي قد ضمن ثروة مائية لمصر، وثروة سمكية، وضاعف من مساحة الارض الخضراء للزراعة.

اما سد مأرب فقد زاد من الرقعة الزراعية في اليمن من ثلاثة آلاف هكتار الى ثلاثين الف هكتار، بالاضافة الى ضمان توفير المياه في المنطقة بصفة شبه دائمة!!

لقد زرت سد مارب الذي شغلني عن زيارة اية آثار اخرى في المنطقة،.. لقد رأيت مأرب وقد كبرت واتسعت، ورأيت الارض الخضراء والطائرة التي حملتني تمر من فوقها وتكاد تلامس مياهها وخضارها. وأحالت الصحراء الواسعة الى بساتين. ولابأس من الحفاظ على المنازل الأثرية القديمة التي قيل أنها من بقايا مأرب التأريخية ولكن مأرب الحديثة- في نظري - تفوق القديمة في قدرتها على الحكي والشرح والكلام، انها تقول لكل من يزورها او يطير فوقها:

أنا مأرب الحديثة: الى يميني السد! والى يساري (بلقيس). وعنواني الجديد: اليمن السعيد.

لقد اهداني علي عبدالله صالح الى ١٨ مليون يمني مع بطاقة قال لهم فيها :

- (اتحدوا وتضامنوا وتسامحوا واعملوا والله معكم)

وسألني الرفاق في جلسة شاي عند عصر يوم حار بجوار سبأ:

- هل تخزّن؟!

قلت: طبعاً! إن عقلي ورأسي وقلبي أشبه بمخزن كبير للذكريات الصحفية والسياسية والعاطفية ايضا!

- ثم اكملت :

- انا أخزِّن- اسماء الزعماء الذين عرفتهم، والنساء اللواتي أحببتهن، والشواطىء التي سبحت في مياهها، مع أرقام التلفونات الخاصة في لندن وباريس وجنيف والقاهرة- وهذا كل شيء في عملية التخزين.

وضحكوا من سذاجتي وقالوا:

- ليس هذا هو نوع التخزين الذي نسألك عنه! نحن نسألك عن (القات)... ترى هل تخزن نبات (القات)؟!

وكان الشاعر عبد المجيد المصنف قد مدني بالجواب الشافي في مثل هذه الحالات عندما قال في (القات):

انما القات حشيش اخضر	ليس محتاجاً اليه البشر!

وكذلك قول الشاعر عبدالله بن علي الشرفي في هذا المعنى منذ ربع قرن:

ان شئت تعرف آفة الآفات	فانظر الى ادمان مضغ القات!
القات قتل للمواهب والقوى	ومضيع الأموال والأوقات!
واذا نظرت الى وجوه هواته	ابصرت فيها صفرة الأموات !

ولم يعجبهم الشعر ولا الشاعر.

اذا بقي القات في اليمن سلوى للشاعر وتسلية للمهموم وعلاجاً للمتعب وعزاءً للمنكوب واقوى منشط ومقوياً للضعيف والمريض!

ولم أذق القات في حياتي، ولم اعرف طعم السيجارة او السيجار او النرجيلة.

ولكني على موعد مع القات العجيب في زيارة قادمة الى بلاد اليمن...!

والمثل الايطالي يقول :

- (اذا جئت الى روما، افعل ما يفعله أهلها...!)

●●●

الفصل الرابع

اليمن..
بلا
سياسة!



وهو – قبل ذلك – شيخ مشايخ قبيلة (حاشد) ومن الرجال الذين اسهموا في الدفاع عن ثورة سبتمبر حيث قاد مجاميع من القوات الشعبية في عدد من الجبهات.

وقد جرى انتخابه رئيساً لأول برلمان يمني منتخب في عام ١٩٧٠م، ثم تكررت العملية وتولى الشيخ عبدالله الاحمر رئاسة البرلمان اليمني بعد انتخابات ابريل ١٩٩٣م، وبقي ركنا اساسياً في بناء الدولة.

والشيخ الأحمر يتمتع بنفوذ وصلات اجتماعية كبيرة وواسعة في مختلف انحاء اليمن. ويرى فيه الكثيرون (رجل المشورة) الأول في القضايا الاجتماعية!، وعلاقته وطيدة مع معظم دول الخليج وخاصة مع المملكة العربية السعودية.

والشيخ الأحمر من كبار الاثرياء في وطنه، حيث يمتلك الأراضي الواسعة، ويساهم في المؤسسات العمرانية، ويملك اكبر مطبعة تجارية وصحفية أهلية في البلاد..!

وفوق ذلك كله فان الشيخ الاحمر يبقى الدّاعداء الاشتراكية والشيوعية والتطرف (الاحمر) في الداخل والخارج!

انه مثال للاعتدال والحكمة، وحمل العصا من الوسط في بعض القضايا العامة!

● ● ●

تحاملت على نفسي، وصعدت اكثر من تسعين درجة صخرية بيضاء، قبل ان اصل الى البهو الواسع الذي كان ينتظرني فيه الشيخ الاحمر داخل قصره الاسطوري الجميل!

وجلست بجانبه على المقاعد المفروشة على الأرض، وسط اكواب الشاي وفناجين القهوة، وخناجر الحرس!

- ودخلت معه في الحديث مباشرة وسألته:

- الى أي مدى تشعرون بالحرية المطلوبة في معركة الانتخابات البرلمانية القادمة؟

وكان هذا السؤال قبل حلول موعد الانتخابات بستة شهور.. كاملة.

- واجابني شيخ البرلمان، والقبيلة:

(ستجرى الانتخابات في موعدها ولايمكن تأخيرها، ولن نقبل الا بانتخابات نزيهة. وشريفة.. وديمقراطية.. وتعبر عن ارادة الشعب ! أما التدخلات فلا مكان لها.. التنافس محصور بين الاحزاب. وهى حرة في الصراع الذي تراه..!)

- قلت: هل هناك خلاف ملحوظ بين مختلف مبادئ الاحزاب التي ستشترك في الانتخابات؟

اجاب: الخلاف موجود، ولكنه ليس واسعاً. اقول لك ان المبادئ تكاد تكون واحدة ولكن الممارسات مختلفة. ان لكل حزب اسلوبه الخاص في تطبيق الامور وفي ممارسة المبادئ .

- قلت: الآن، وقد توحدت اليمن، وانت بالذات رئيس السلطة التشريعية. ما هو شعورك حيال ذلك كله ؟ ماذا تقول وقد استطعتم حل معظم

مشاكلكم بعد توحيد شطري بلدكم؟

وأجاب: انا اشعر بالسعادة واشعر بأننا قد كبرنا واصبحنا دولة ذات وزن كبير.

- قلت : وما هي المشاكل التي تصبو لحلها؟

واجاب فوراً: إنها المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الشعب وتعاني منها الحكومة والدولة كلها.

- قلت : وما هي اسباب هذه الأزمة الاقتصادية؟.

قال: السبب موجود في ضآلة الموارد الاقتصادية في اليمن!

- قلت: ولكن البترول قد تفجر- مؤخراً- في ارضكم!.

قال: البترول محدود.. ونفقات الدولة تفوق الدخل القادم من البترول. ان المصاريف اكثر من البترول.. ومن غير البترول!

- قلت: ولكن باستطاعتكم الشعور بالفخر كونكم غير مدينين للبنك الدولي- مثلا- او لدول العالم كغيركم، إنكم في هذا المجال تنفردون بهذا الفخر..!

وأجاب: هذا شيء عظيم -إننا نمتاز بهذا- حتى على دول البترول المجاورة! ونحن نفخر بذلك ونعتز به، ونحرص على ان يبقى اليمن حراً غير مدين لأحد وان لايتحمل الشعب فوق كاهله مشاكل الديون المالية.

- قلت الآن.. وقد توحد البلد، ولم تعد السلطة مسؤولة عن نفقات ما كان يسمى باليمن الجنوبي، وكذلك فإن توحيد شطري اليمن قد ضمن لكم الكثير من الخيرات التي كان ينفرد بها هذا الجنوب قبل الوحدة، ترى ألا يساعد كل ذلك على الوصول الى حل لمشاكلكم المالية والاقتصادية؟

- وأجابني الشيخ الأحمر وبكل صراحة:

بقدر ما زادت الموارد، كذلك زادت النفقات ! هناك اعباء جديدة قد جاءت بها هذه الوحدة وهي قادرة على ان تأكل الأخضر واليابس!

- قلت: هل لديك امثلة على ذلك ؟

قال : كان عدد موظفي الدولة في الشطر الشمالي لا يتجاوز ستين الى سبعين ألف موظف، وعدد افراد الجيش لا يزيد عن مائة وخمسين الفاً.. اما اليوم فان (ميراث) الحزب الاشتراكي اليمني الراحل قد ترك لنا اربعمائة الف موظف مع جيش من الموظفين والمرتزقة والحاسيب خلفهم الاشتراكيون وراءهم !انها كوادر ومصنفات، من الموظفين كأنها جيش طويل وعريض.. فكيف يمكن استيعاب مثل هذا العدد المخيف من الموظفين؟؟ اضف الى ذلك ان عدد الدوائر الجديدة التي ورثناها بعد الوحدة تصل الى اضعاف اضعاف عدد الدوائر في شمالي اليمن! . في الجنوب كان الشعب عالة على الدولة! وكانت الدولة مسيطرة على كل المقومات ! كان حكمهم شيوعياً وشمولياً! وكانت الدولة مسيطرة على ارزاق الشعب! كما كانت الدولة تنفق على الشعب، تماماً كما هو الحال في الدول الشيوعية.

وهذا العبء الكبير الذي ورثناه تضاءلت حياله الموارد التي تصلنا، يضاف الى ذلك ان المحافظات الجنوبية والشرقية التي كان يحكمها الحزب الشيوعي قد وجدناها كلها مدمرة ، او محُترقة، او خراباً! والبنية التحتية لا وجودلها.. فلا كهرباء.. ولا مياه.. ولا طرق.. ولامدارس.. ولا مستشفيات.. ولا مباني! والحزب الشيوعي الذي حكم البلد اكثر من (٢٣) سنة قد قام بتدمير كل ما كان أمامه، حتى انه قام بتدمير كل ما كان موجوداً قبل الاستقلال! لقد استطاع ان يدمر مدينة(عدن) بأكملها التي كانت عروس البر والبحر وعروس

الجزيرة العربية كلها!وهكذا اضطرت الوحدة ان تتحمل مسؤوليتها كاملة وخاصة مسؤوليات البناء والتعمير!

- قلت: وماذا هناك من المشاكل الاخرى؟

واجاب فوراً: وهناك نتائج ازمة حرب الخليج التي تسببت في عودة المغتربين اليمنيين من السعودية ومن دول الخليج وانقطع بعودتهم بحر من المال الذي كان يصلنا والذي لا يقل عن مليار ونصف مليار من الدولارات سنوياً.

- قلت: تماماً كما جرى للفلسطينيين الذين طردتهم الكويت بعد حرب الخليج!

قال : وكأنه قد تجاهل كلامي:

والى الآن لم يعد عامل يمني واحد من هؤلاء العمال! والأمل ضعيف في عودتهم ! واسباب ذلك أن الاوضاع في المملكة السعودية لم تعد كما كانت ! والمملكة السعودية اصبحت ممتلئة بالعمال والعمالة من مختلف شعوب العالم! والعامل القادم من الفلبين او كوريا مثلاً يقبل أي أجر ضئيل لا يقبل به العامل اليمني. اضف الى ذلك ان السعودية قد اكملت وانتهت من تنفيذ كافة المشاريع التي كانت تقوم بها! انتهت عمليات البناء واكتمل الامر والوعاء لم يعد يتسع للمزيد من الماء! وهكذا لم يكن اي بد من ان نتحمل عبء هؤلاء العمال .. بأكملهم.

- قلت : وكم عدد هؤلاء العمال اليمنيين المطرودين من المملكة العربية السعودية؟

اجاب: ان العدد يزيد عن مليون.

- وسألته: وهل وصلتم الى تسوية مع جيرانكم حول مسألة الحدود؟ اعني هل اتفقتم مع السعودية على رسم الحدود النهائية؟

واجابني شيخ مشايخ (حاشد):

ان قضية الحدود لا علاقة لها بالأزمة الاقتصادية! وهي ليست مسؤولة عنها.. إنَّ لمسألة الحدود طابعاً أمنياً وطابعاً سياسياً والعمل جار على تسويتها والأمور (ماشيه) وعندي أمل كبير في حلها وقد قطعنا في ذلك شوطاً كبيراً.. وانا اشعر بالتفاؤل الكامل حول هذا الموضوع.

– قلت: ولكن هذه القضية مازالت قائمة ومتشابكة منذ عام ١٩٣٤م. الا تظن ان القصة قد طالت قليلاً؟

اجاب: هذا صحيح! ولكن قضايا الحدود تبقى دائماً شبه مجمدة في كل بلد في العالم، ويبقى الحوار حولها بطيئا.

– قلت: هل تعني ان زيارات المسؤولين السعوديين اليكم قد نجحت؟

اجاب: نعم لقد نجحت هذه الزيارات في ازالة الكثير من الضباب.. وخلق جو من الثقة.. والتفاهم.. والتطبيع.. والدفء!

– قلت: وماذا كانت نتيجة زيارات وزرائكم الى الرياض والى جدة حول هذا الموضوع؟!

اجاب: وزير خارجيتنا يزورهم بين الحين والاخر.

– قلت: وماهو الحل الذي تراه لهذه القضية بوصفك تمثل وجهة النظر اليمنية حول موضوع الحدود؟

قال: انا ارى استمرار الحوار الاخوي والمتأني والحوار البعيد عن التشنجات والسموم..

– قلت: وهل حققتم بعض النجاح في هذا السبيل؟

اجاب: مع الصبر، والقناعة، يتم كل شيء..!

– قلت: لقد اعتادت (المملكة) على تقديم المساعدات المالية الى اليمن فهل هذا الدفع ما زال قائماً ام ان الامور قد انقطعت وانقطع معها المال؟

واجاب الشيخ بصراحة تامة:

الى الان ومنذ حرب الخليج لم يصلنا من المملكة السعودية شيء يذكر..!

– سألته: وهل استمرت زياراتكم التقليدية للمملكة السعودية؟

اجاب: نعم! وبعض زياراتي شخصية.. وبعضها رسمية، وبعضها لقضاء الحاجات .. وبعضها لإجراء الحوار حول الحدود.

– قلت: وبوصفك زعيم اكبر قبائل اليمن.. ترى هل انت سعيد بان تتحمل هذه المسؤولية .. اعني مسؤولية الحدود؟

واجاب : هذا واجبي الذي يدعوني منذ البداية لكي اتحمل المسؤولية.

– قلت منذ متى ؟ ماذا تعني بعبارة: منذ البداية؟

وأجاب : المسؤولية اصبحت تجري في دمي .. وخاصة بعد الثورة وبعد الوحدة ! لقد اصبح واجبنا حماية الثورة وحماية الوحدة معا.

– قلت: وماهي اكبر مكاسب هذه الثورة التي تريد حمايتها؟

قال: كل ما جاءت به الثورة هو مكسب لنا! ثم اضاف:

لم يكن في اليمن اي شيء.. كل ما تراه حولك قد جاءت به الثورة.

– قلت: وماذا عن العهد الملكي .. اعني عهد الامام؟

قال: عيوب العهد الامامي لا حصر لها.. كان اليمن يعيش في سجن كبير لا ديمقراطية ولا تعليم ولا كهرباء ولا مشاريع ولا مياه ولا مدارس لاشيء مطلقاً ! كنا نعيش في اللاشيء وفي الظلام!

– قلت: وماذا تقولون في عبدالله السلال؟

قال: كان السلال قائد الثورة.. هذه حقيقة لا جدال فيها.

– قلت: وماذا تقول في جمال عبدالناصر؟

قال : هذا زعيم ارى ان ايجابياته اكثر من سلبياته ! واهم شيء ان عبدالناصر استطاع ان يقود الأمة العربية وان يتحدث باسمها

ولسانها ، وان يهز الدنيا باسم الأمة العربية .

– سألته: وهل تقبل الانضمام الى حزب سياسي يرأسه جمال عبدالناصر ؟

اجاب: كل من يؤمن بالقومية العربية والوحدة العربية، وكل من يؤمن بالعزة والكرامة لا بد وان ينضم الى جمال عبدالناصر..!

– قلت، اسأله: ولو ان عبدالناصر دعا اليوم من جديد الى قيام وحدة عربية شاملة، ترى هل أراك على استعداد للانضمام الى هذه الوحدة باسم اليمن؟

واجابني الشيخ الذي لا تنقصه فضيلة الذكاء وميزة الجرأة:

كانت الوحدة العربية من اهم اهداف ثورتنا. وما زالت الوحدة حلم كل عربي في اليمن، غير اننا –وللاسف الشديد– قد زادت فرقتنا وتباعدنا خلال السنوات الاخيرة، وتبدد الحلم، واختفى خلال العقدين الأخيرين .. واسفاه!

– سألته: وماذاتقول في صدام حسين؟

اجاب: هذا حاكم مغلوب اودى بالعراق وألحق الضعف بالأمة العربية وخلق التفرقة وحقق شماتة اسرائيل فينا!

– قلت اسأله: وماذا تقول في مسيرة السلام بين العرب واسرائيل.. اعني ماهو رأيك في (اوسلو) ونتائج اوسلو؟ وعائلة اوسلو؟

اجابني الشيخ الرئيس بكل وضوح:

انا لست مطمئنا الى مسيرة السلام والوقائع تثبت ذلك ! وكل الدول العربية تحارب المنظمات الفلسطينية التي تواجه اسرائيل! والشارع الفلسطيني يواجه اسرائيل بالحجارة فيقول عنهم مؤتمر السلام انهم ارهابيون ! الان هاهم العرب وياسر عرفات وغيرهم يقطفون ثمرة اخطائهم، ولا اقول جرائمهم، ولا اقول غير ذلك !

– سألته: وهل تتقابل مع ياسر عرفات في هذه الايام ؟

اجاب: هو يعرف عنواني واين يجدني وانا اعرفه معرفة تامة وهو يعرفني معرفة تامة.

– قلت: وماذا تقول عن ياسر عرفات؟

قال : إنه بكل اختصار شخص مناضل، ولكن، الدول العربية قد ارغمته على الوصول إلى ماهو فيه اليوم ! الدول العربية المتمزقة المتخاصمة الضعيفة!

– قلت: وماذا عن حرب الخليج؟

اجاب: هذه الحرب الحقت بنا الهزيمة والخسارة.

– قلت: وهل زرت بغداد مؤخراً؟

قال : لا.. لم أزرها.. لا انا ولا غيري في اليمن.. ومنذ حرب الخليج لم ازر العراق، وكيف لي أن اصل اليها! البلد هناك محاصر وامريكا فرضت الحصار على العراق وعلى (غذاء)شعب العراق اليس كذلك ؟

– قلت: ولماذا لا تزور بقية شيوخ دول الخليج العربي؟

واجاب: بل انا أزورهم وباستمرار. ولي بينهم اصدقاء.. وتربطني بهم مودة خاصة ! ولكن اقرب دولة الينا جغرافيا وصلات رحم، هي المملكة العربية السعودية، وانا مرتبط بصداقتي مع الملك فهد وانا اوظف هذه الصداقة لخدمة البلاد.! وانا احمد الله ان صحة الملك فهد قد تحسنت كثيراً.. أما الأمير سلمان فهو امير الرياض، رسمياً وزيارتي له محدودة ، ولكن ازور ولي العهد ، وسلطان، ونايف.. من امراء المملكة!

– قلت: متى كانت آخر زيارة لكم للسعودية؟

قال: في الشهر الثامن من عام ١٩٩٦م.

– قلت : وكيف تمارسون مهام عملكم في اليمن بالاضافة الى هذه الزيارات؟

واجاب: اتمنى لو كانت ساعات اليوم الواحد تزيد عن (٢٤) ساعة لكي اتمكن من حل جميع المشاكل. ان القضايا والمشاكل لا تنتهي!

– قلت، اسأله: هل تريد– معالي الشيخ– ان تضيف شيئاً؟

قال نعم، اريد ان اسألك عن سبب زيارتك لليمن؟

– قلت: انا احمل معي دعوة لزيارة بلدكم.

سألني: وهل قابلت رئيس الجمهورية؟

– اجبت: نعم.. وقد قابلته اكثر من مرة.

قال: ماشاء الله..!

– قلت: وسأقابله من جديد.. غداً!

قال: ماشاء الله! ومتى وصلت الى اليمن؟

– قلت: اول امس..

قال: ومتى ستسافر بحمد الله؟

– قلت ضاحكاً: عندما تسمحون لي بالسفر!

وضحك الشيخ وقال:

انا اقترح عليك ان تزور (وادي حضرموت) لكي ترى المتحف الحي في اليمن! هناك تزور (وادي دوعان) وحضرموت (الداخل) و(سيئون) و(سيبان) و(طريد) وما اليها من المدن والقرى.. وكل ماستراه هناك من مزارع وحقول تبقى احلى المتاحف الحية في بلادنا، إن وادي دوعان– في طبيعته وفي قراه ومدنه وتضاريسه– لامثيل له في العالم! وسأطلب من المحافظ ان يمهد لك الزيارة.. ويسهل أمورك.

- سألته: أنا احسُ في كلماتك رائحة الأدب والشعر، فهل لك مؤلفات ادبية؟.

اجاب: بل انا اساهم مع غيري في الانشاء والكتابة..

ثم قال لي مستطرداً:

انا اسمع عنك وأقرأ لك منذ اربعين سنة! وكانت مقالاتك يذيعها (صوت العرب) من القاهرة، وكانت تعجبني كثيراً جداً..!

- قلت: هذه شهادة منك اعتز بها!

قال: وعندما اخبروني برغبتك لزيارتي اجبتهم بل هذا النشاشيبي عين من عيون الادب والشعر والسياسة.. فأهلاً به وسهلاً.. انا ارحب به والقاه بكل بشر.

وسكت الشيخ عبدالله الاحمر.

ثم حمل مني المسجل الذي في يدي وقال بصوته الواضح على الشريط وكأنه يحملني رسالة خاصة الى اخوانه العرب:

(على العرب، وعلى الفلسطينيين، شعوباً وملوكاً وحكاماً، ان يتماسكوا- ويشدوا حيلهم- ويعيدوا النظر في موضوع التطبيع مع العدو اليهودي.. لايجوز الاستمرار في هذا الاستسلام المعيب لان في هذا إهانة لتاريخنا، وللاسلام ولنا، ولان اليهود يدنسون مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلينا ان نعيد النظر في سياستنا، وننبذ خصوماتنا، ونتخلى عن روح الانهزام فينا، وننسى خلافاتنا، ونعود الى مجدنا وليس هذا بالامر الصعب، بإذن الله!).

- وصمت الشيخ الذكي القوي..

- وتعانقنا في وداع عابر على أمل في لقاء جديد!

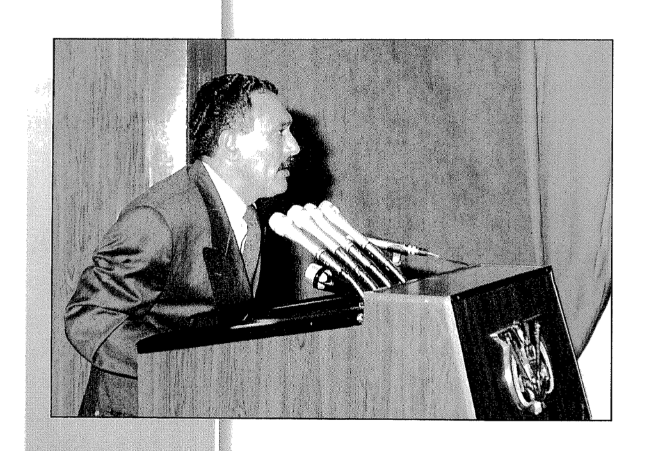
وبعد..

لقد وجدت في الشيخ الاحمر، رجلاً عربياً مسلما، وقوياً، ومسئولاً يعتز بقوته وخصماً لكل من هو.. احمر او إشتراكي.. او شيوعي!

ان الشيخ الأحمر هو أبعد الناس عن (الجماعة.. الحمر)!

الفصل الخامس

أَصْبَرْ خلقْ اللهُ على خلقْ الله



لم تقع الحرب اليمنية بين الانفصاليين والوحدويين فجأة، لم تأتِ من فراغ، لم تسقط كما تسقط الكوارث والغارات، ولم تظهر كما تظهر البراكين والفيضانات.

الحرب اليمنية جاءت بعد شهور طويلة من الصبر والمعاناة والتريث والتسامح والمعالجة، عاشها كلها علي عبدالله صالح تجاه الاشتراكيين عامة وتجاه علي سالم البيض وحزبه واعوانه خاصة. وسأترك الحديث للوقائع تتكلم:

في يوم ٢٢ مايو من عام ١٩٩٠م استعاد شعب اليمن وحدة ارضه بعد الكثير، والكثير من المعاناة والتمزق والالام..

وصفقت ارض اليمن، بكل ذرة رمل فيها لهذه الوحدة التي ظلت تمثل حلماً تاريخياً وطنياً وقومياً.

كما صفق لها- ولو مظهرياً- الحزب الاشتراكي في الجنوب الذي نال شرف المشاركة في صنع هذه الوحدة، قبل ان يعود وينقلب عليها!

قال لي احد المسؤولين الكبار الذين التقيتهم في صنعاء، وهو يشرح بداية الازمة مع الحزب الاشتراكي يوم ١ نوفمبر عام ١٩٩٤م قال:

(للأسف الشديد اكتشفنا بعد فترة قصيرة من قيام دولة الوحدة أنّ

رجال القيادة المتنفذة في الحزب الاشتراكي يبطنون غير مايظهرون، وانهم مايزالون على نهجهم وايديولوجيتهم وفكرهم الخاص، وان قبولهم بالوحدة الاندماجية إنما كان هروباً للأمام من المصير الأسود الذي ناله الاشتراكيون في اطار ما كان يسمى بالمنظومة الاشتراكية، وكانت صورة تشاوشيسكو وزوجته مازالت حاضرة في الاذهان فكانت الوحدة بالنسبة لتلك القيادة مسألة تكتيكية ومرحلية تتعلق بمأزقهم السياسي والتاريخي، وهكذا عمدوا منذ البداية الى ممارسة اساليب اختلاق المشاكل والضجيج الإعلامي كمقدمة لتهيئة اجواء التراجع عن الوحدة والتشكيك في خياراتها الوطنية، ولأننا نؤمن بحتميتها فمن اجل الوحدة وصيانتها قدمنا الكثير من التنازلات، وكان علينا أن نستجيب دائماً للابتزاز من اجل الوحدة حتى استمرأوا لعبتهم الخيانية.. وتلك كانت ابرز الاخطاء السياسية)

- سألته : ومتى ادركتم نواياهم المبيتة لإجهاض الوحدة اليمنية؟

وأجاب : (الشواهد امامنا كانت تشير الى ذلك، لكننا ابداً لم نكن نصدقها او بالأحرى رفضنا ان نصدقها، اذ كيف نصدق ان يمنياً واحدا يتنكر لأغلى واسمى اهداف الشعب اليمني بعد انجازه لوحدته التي قدم من اجلها الارواح الطاهرة، والدماء الزكية الا ان يكون خا ئناً او عميلاً او مغيباً عن الوعي. في نهاية الفترة الانتقالية وقبيل الاجراءات الانتخابية في ٢٧ ابريل ١٩٩٣م ظهر واضحاً أن اللعاب يسيل من أفواه القيادات المتنفذة في الحزب الاشتراكي للدعم الخارجي حيث لجأت الى التحالفات السياسية في الحزب الاشتراكي المسميات الحزبية والعناصر المعادية للثورة وللوحدة ومنها العميل (الجفري) وكانت تحالفات الحزب الاشتراكي مع بعض الاحزاب الصغيرة المهمشة موصولة بدعمها مالياً من رصيد التمويل الخارجي).

- سألته : متى ادركتم حقيقة العد التنازلي لتنفيذ مخطط التآمر على الوحدة؟

أجاب : (منذ لاحظ كل ذي بصيرة وطنية وقومية في اليمن وخارجه حجم

الترويج الإعلامي الموتور لاعلام الحزب الاشتراكي ومن سانده وطرحه المضلل والكاذب الهادف الى تشويه الحقائق والاساءة لبقية الاحزاب الرئيسية مثل المؤتمر والاصلاح وبقية الاحزاب الوطنية.. وعليكم ان تراجعوا صحف الحزب الاشتراكي وغيرها من صحف الأحزاب المتحالفة معه.. ومساحات النشر التي تؤيد موقفه في صحف عربية واجنبية عديدة تحالفت معه لسبب او لآخر وسوف تلاحظون ان ورءاها مايسترو واحدا يوزع الأدوار على مختلف العازفين، وعليكم بعد ذلك ان تسألوا لماذا؟ ولأي غرض؟ ومن كان يدفع ويمول؟ وهل جاءت من حصيلة اشتراكات اعضاء الحزب الاشتراكي مثلاً... ورغم ان الحق قد ظهر و انقشع القناع المزيف وتكشفت ملامح المؤامرة المبيتة على الوحدة اثر اعتكاف الخائن البيض في عدن .. ادركنا عندئد ان تلك القيادات على وشك الانسحاب من الاجماع الشعبي والخروج عن الدستور والترا جع عن الوحدة، وان غلفت في البداية دعواتها بصيغ الفيدرالية والكونفدرالية كبديل عن الوحدة، إلا اننا لم نتأكد او نؤكد لأنفسنا عزمهم على الانفصال الا بعد التوقيع على وثيقة العهد والاتفاق.. وعدم التزام الخائن الانفصالي – البيض الامين العام للحزب الاشتراكي آنذاك بالعودة الى صنعاء لممارسة مسؤولياته كنائب لرئيس مجلس الرئاسة– ولعلمك فان هذا المنصب لم يكن دستوريا لأن دستور دولة الوحدة لم ينص عليه وانما أعطي ضمن التنازلات والإرضاءات من اجل اعادة تحقيق الوحدة والحفاظ عليها، في الوقت الذي كان وزراء الحزب الاشتراكي ومعظم نوابه وموظفيه قد انسحبوا من صنعاء تباعا الى عدن في اطار انفصال غير معلن. وفي اليمن مثل شعبي يقول (المخرب غلب ألف عمار) وبمعنى ان البناء صعب وشاق بينما هدم بناء شامخ لا يحتاج

سوى مجرد معول هدم او دفعة من البلدوزرات حتى ينهار اشلاء ويصبح كوما من الاحجار والتراب...)

- سألته: ومتى كانت القشة التي قسمت ظهر البعير؟ واندلاع الحرب؟

أجاب قائلاً: (في دوفس محافظة أبين عندما فجر الحزب الاشتراكي عشية التوقيع على وثيقة العهد والاتفاق في عمان الموقف عسكرياً ضد لواء العمالقة الذي أرسل بعد الوحدة الى محافظة أبين، حيث تم نقل وحدات عسكرية تابعة للاشتراكي من محافظة حضرموت ووحدات اخرى من محافظة عدن لمحاصرة لواء العمالقة وتدميره... تلى ذلك تصعيد الموقف عسكرياً في منطقة عمران حيث كان هناك اللواء الثالث مدرع وكان يخضع للحزب الاشتراكي وكان متوا جداً مع اللواء الاول مدرع ويضمهما معسكر واحد.. حيث قام اللواء الثالث بالاعتداء على افراد اللواء الاول في الوقت الذي كان الافراد يتناولون طعام الغداء، وفي ظل وجود لجنة عسكرية مشتركة شارك فيها الملحقان العسكريان الامريكي والفرنسي للتخفيف من التوترات التي حدثت عقب الاعتداء على العمالقة في أبين... فكانت كارثة الصدام المروع الذي ادى الى تدمير اللوائين وعلى الفور تم الاعلان بأن المصاب هو مصاب اليمن كله واعتبر كل من استشهد شهداء اليمن والوحدة... و نقلنا المصابين الى المستشفيات... ومن كانت حالته خطيرة ارسلناه للعلاج في الخارج.. وبالنسبة لمن تبقى حياً من قوة اللواء الثالث مدرع منحناهم تعويضات كافية واعدنا تسليحهم ومنحناهم اجازة محددة يعودون بعدها الى وحداتهم... وهكذا فوتنا على الحزب الاشتراكي الفرصة لتفجير الصراع عسكرياً على نطاق واسع، لكن الحزب المذكور عاد يحرض قواته في معسكر باصهيب في منطقة ذمار على الانتشار خارج المعسكر ثم توجيه نيرانها فجأة على كتيبة الحرس الجمهوري.. وعلى المقرات الحكومية والمواطنين وتدمير محطة الكهرباء الرئيسية...

وصدرت الأوامر الى الحرس الجمهوري بعدم الرد بالمثل... لكن بعد مضي اقل من ساعة كا نت قوة اخرى من الأمن المركزي تتعرض للإبادة في عدن اثر قصفها بالمدرعات والمدفعية... وكذلك قوات اللواء الثاني مدرع في لحج، وهكذا اشعلت قيادة الحزب الاشتراكي الانفصالية هذه الحرب واستمرت منذ يوم ٤ مايو ١٩٩٤ حتى تحقق الانتصار على الانفصاليين يوم ٧يوليو).

- حول هذا الموضوع سأنقل جزءاً من الحوارات التي اجريت مع الرئيس علي عبدالله صالح فقد سئل الرئيس في احدى المرات:

- يقولون في اوساط اليمنيين انكم كنتم طوال الحرب على اتصال تلفوني بقادة المؤامرة الانفصالية، فهل هذا صحيح؟

واجاب الرئيس: (كنت حريصاً على وقف الحرب، وكنت حريصاً على حقن الدم اليمني والحد من الدمار، ولم تكن عندي اية خطة مسبقة لإجهاض المؤامرة الانفصالية لأنني كنت حريصا على عدم اندلاع الحرب وبنيت خططي على تفادي حدوثها... ولكن بعد ان فرضها الانفصاليون راهنا على الشعب الذي كان هو السد المنيع امام مؤامرة الانفصال)

- وسئل الرئيس عن مصير وثيقة العهد والاتفاق التي جرى توقيعها في الأردن

فأجاب: (الوثيقة انتهت كمسمى بعد اشعالهم الفتنة وتفجيرهم الحرب اذ كان قبولها من جانبنا وتوقيعها خضوعاً لابتزاز قبلناه عن رضا صيانة للوحدة محاولة لتجنب ما حدث بعد ذلك.. لكن هناك بنود في الاتفاقية إيجابية ونحن عازمون على تنفيذها من خلال المؤسسات الدستورية بما يلبي طموحات الشعب ورغباته من دون أي اعتبار للبنود الخارجة عن الشرعية والدستور).

- وسئل عمّاً إذا كان يخشى الثأر على الوحدة من اعدائها..

فأجاب : بكل حزم وثقة قائلاً:

(مهما تآمروا ... شكلا وموضوعا، ومهما كانت آلياتهم ودعمهم واساليبهم للتآمر ضد الوحدة فسوف يفشلون لا محالة، وسوف يواجههم الشعب وقواته المسلحة).

- ورغم كل ماحدث، أعني رغم الويلات والمجازر والضحايا والخراب، إلا أن الرئيس علي عبدالله صالح من خلال قلبه الكبير ونظرته الشمولية الى اليمن كبيت واحد وإلى اليمنيين كعائلة واحدة فإنه عندما سئل عن قناعته بمصداقية القيادة الجديدة للحزب الاشتراكي اليمني ومدى إيمانها بالوحدة.

أجاب قائلاً : (انا مقتنع بالقيادة الجديدة اذ بدأت تنهج نهجاً وطنياً يتسم بالموضوعية والتحرر من ممارسات القيادات الانفصالية السابقة التي لم تجن من ورائها البلاد سوى الحرب والخراب).

- ثم اكمل قائلاً: (ان هذا الحزب الاشتراكي القديم الانفصالي او بالأحرى قياداته الانفصالية المتنفذة كانت تتآمر على الوطن وعلى المؤتمر الشعبي العام وعلى التجمع اليمني للاصلاح وعلى بقية الاحزاب والتنظيمات السياسية).

- وسئل الرئيس: ما مدى مشاركة القبائل اليمنية عسكرياً في معركة صيانة الوحدة ودحر الانفصال..

فأجاب بالحرف الواحد: (ان الشعب اليمني كله، قبائل وعشائر ومن مختلف الشرائح الاجتماعية هب عن بكرة أبيه من المهرة حتى حرض دفاعاً عن الوحدة ليس بصفتهم قبائل ولكن كشعب واحد يحارب الانفصاليين).

- وسئل عن موقفه من القيادات الانفصالية في خارج اليمن التي قررت تكوين ما يسمى بالجبهة الوطنية المعارضة.

فأجاب: (من خرج من الوطن مصيره مصير البدر المخلوع واي

انفصالي واي انسان يعادي الوطن يصبح الان في حكم رموز النظام الرجعي المباد وفي مزبلة التاريخ).

- واخيراً عادوا وسألوه عن وجود مخاوف يمنية وعربية ودولية ازاء احتمالات تقلص مساحة التعبير الديمقراطي في ضوء ما اسفرت عنه الحقائق حول المؤامرة الانفصالية.

فأجاب الرئيس قائلاً لأحدهم من الحضور: (اكتب على لساني تقطع يدي ولا اوقع على قرار بالتراجع عن الديمقراطية والتعددية السياسية).

- وفي مناسبة اخرى قيل للرئيس وكان ذلك بالتحديد في ١٤ نوفمبر ١٩٩٤، قيل له : لقد لاحظنا انكم قدمتم تنازلات كبيرة للحزب الاشتراكي وكان الاعتقاد ان وثيقة العهد والاتفاق التي تم التوقيع عليها في عمان حققت مكاسب كبيرة للحزب الاشتراكي على حسابكم شخصياً وعلى حساب المؤتمر الشعبي العام، فماذا تقولون؟

فأجابهم الرئيس: (لم يكن الوطن من هموم القيادات الانفصالية في الحزب الاشتراكي، بل كان همهم الكسب الرخيص، وتلك القيادات هربت الى الوحدة خوفاً مما كان سيحدث لها من مصير شبيه بذلك المصير الذي واجه الرئيس الروماني تشاوشيسكو وقيادات الاحزاب الشيوعية في دول المنظومة الاشتراكية.. لقد هربوا من ذلك المصير الى الامام وبالوحدة، من ثم حاولوا التقاط الانفاس للتآمر عليها فيما بعد والعودة للانفصال، وكنا نتابع تحركاتهم، ونعرف المقاصد وندرك انهم ليسوا دعاة وحدة او بناة دولة لانهم متشبثون بالسلطة بمعنى الهيمنة والتسلط والشمولية الديكتاتورية، ولا يمكنهم تصور انفسهم خارج السلطة او ان يشاركهم احد فيها، ومن اجل ذلك كانوا على استعداد لممارسة أي شيء والتضحية بأي شيء لانهم لايأمنون على وجودهم الا بالسلطة..)

واكمل الرئيس كلامه قائلاً حول هذا الموضوع: (وعندما وقعنا اتفاقية الوحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠ قلنا لهم يجب ان نتعود على مشاركة الاخرين وان نسلم بالتداول السلمي للسلطة واننا بالوحدة نطوي كل صفحات الماضي بكل سلبياته ونبدأ عهداً جديداً بعيداً عن التجارب الشطرية، ولكنهم كانوا مصرين على وجودهم في السلطة من اجل الاحتماء بها، ودفعوا الوطن للحرب وخسر الوطن خيرة رجاله، وتم تدمير العديد من المنشآت الاقتصادية والتنموية وبلغ حجم الاضرار المادية اكثر من أحد عشر مليار دولار، ناهيك عما تم تدميره في البنية العسكرية وكلها خسارة على الوطن، وكنا نقدم الكثير من التنازلات من اجل تجنب الوصول الى ما وصلنا اليه، مع حرصنا على بذل كل الجهود لمنع نزيف الدم اليمني، لكن الانفصاليين كانوا قد راهنوا على الدعم الخارجي السياسي والاعلامي، وعلى الاموال الكثيرة، وعلى صفقات الاسلحة الضخمة والحديثة التي تم تمويلها من اجل تنفيذ مخطط الانفصال، ولم يحسب هؤلاء حساب الشعب اليمني الذي هب من اقصى اليمن الى اقصاه للدفاع عن الوحدة، لأنه كان يرى في الوحدة وجوده ومصيره ومستقبله وعنوان عزته وكرامته، لهذا خسر الانفصاليون الرهان واندحر مخططهم الانفصالي وانتصرت الوحدة!).

- وفي ٧ اكتوبر ١٩٩٣م سأله المندوب الصُحفي للمجلة السعودية الصادرة في لندن عن الرسالة التي كان الملك حسين قد بعث بها الى الرئيس علي عبدالله صالح والى نائبه تتعلق بالخلاف بين الرجلين.

فأجاب الرئيس علي عبدالله صالح بكل هدوء وكل دبلوماسية:

- (الرسالة اصلاً تتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين، لكنه

يبدو أنه كان قد وصل الى مسامع جلالة الملك حسين وجود تباين او خلاف في وجهات النظر بين احزاب الائتلاف، لهذا التقى ممثل الملك حسين بالأخ علي سالم البيض في عدن.. واعتقد ان هذا اللقاء قد تم بهدف الحرص على عدم تصاعد الخلاف وعلى تطويقه وعلى إجراء حوار بين اطراف الإئتلاف).

- وسأله المراسل: وهل تبارك هذا المسعى؟ يعني هل انت موافق على وساطة الملك؟..

وأجاب الرئيس علي عبدالله صالح بكل قلب مفتوح:

(طبعاً نبارك هذا المسعى وهو مسعى جيد، ونُقدِّر تقديراً عالياً هذا المسعى الحميد من قبل الملك حسين.. ومع الاسف ماكنا نريد ان نحرج اشقاءنا في مشاكلنا الداخلية.. وكان من المفروض أن نكون جديرين بحل مشاكلنا الداخلية كما هي العادة، ولكن على كل حال لايُستنكر هذا الامر، فالملك حسين شقيق وعزيز على قلوبنا وجهوده مشكورة ولانستغني عنها..).

وكان هذا- كله- قبل وصول الرئيس ونائبه الى عمان للتوقيع على اتفاقية جديدة تنقذ الوحدة وتمنع اشتعال الحرب.

ولكــن..

انه لم يوفر جهداً، او يؤجل خطوة، او يتناسى واجباً قومياً يدفعه للتفاهم مع خصومه السياسيين وبينهم علي سالم البيض.

ففي ديسمبر ١٩٩٣م، وأمام علماء اليمن قال الرئيس للعلماء:

(.. علينا ان نُغلِّب مصالح الوطن فوق كل المصالح الذاتية، وأن نكون جميعاً يداً واحدة للوصول باليمن إلى بر الأمان وإلى مايستجيب لأمل جماهير أمتنا العربية والإسلامية في اليمن الموحد المستقر المزدهر) وأكد مجدداً أنه (على استعداد للحوار واللقاء مع علي سالم البيض سواء في تعز اوعدن او المكلا او اي منطقة من الارض اليمنية، فالمهم هو اليمن..)!

وعاد الرئيس وقال في ٢٥ ديسمبر ١٩٩٣م:

(إن الوحدة هي مصير الشعب اليمني وقدره، إنها مع الديمقراطية مكاسب عظيمة وتاريخية لن يفرط فيها الشعب ولن يساوم عليها.. وان (كافة القضايا قابلة للنقاش وعدم اللجوء للعنف واحترام الشرعية الدستورية ومبدأ التداول السلمي للسلطة).

وفي ١١ ديسمبر ١٩٩٣م قال الرئيس:

(.. انا ادعو قيادات الحزب الاشتراكي اليمني والمؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح وكافة القوى السياسية ان تعمل بإخلاص لتجاوز الوضع الراهن وتجنب كل مايلحق ضرراً بمصالح الوطن والشعب، وأن تضع مصلحة اليمن فوق كل اعتبار).

وشتموه والصقوا به تهمة الاستبداد والاستيلاء على السلطة بالقوة!

وقالوا انه يدير الدولة بالتلفون، ولم يغضب ولم يرد الشتيمة بالشتيمة وإنما قال في ٢نوفمبر ١٩٩٣م: (لا افهم كيف تدار الدولة بالتليفون. نحن لدينا هيئات ومؤسسات شرعية ومنتخبة وتمارس صلاحياتها، وانا أمارس صلاحياتي كرئيس مجلس الرئاسة طبقاً للدستور سواء بالتليفون او بالاجتماعات او بالمقابلات واللقاءات او بالتوجيهات المكتوبة).

واتهموه بأنه وراء محاولة الاغتيال التي تعرض لها نجلا علي سالم البيض، فلم يغضب ولم يتشنج وانما اجاب في حينه: (هذا حادث مؤسف، ونعبرٍ عن ادانتنا واستنكارنا له، كما نعبر عن تعازينا لمن اصيب..).

والواقع ان لهذه المحاولة المزعومة قصة، فقد نشب خلاف بين أبناء علي سالم البيض وبين ابن عمتهم- أخت البيض- حول مسألة اخلاقية، ودبر عدنان البيض الذي كان يرأس مباحث عدن اغتيال ابن عمته وجرى الاغتيال اثناء خروجه من أحد المنازل في عدن بعد ان كان قد ودع نجلي خاله البيض نائف ونواف واستثمر البيض الجريمة وادعى انها كانت محاولة لاغتيال نجليه.

سأل المسؤول في راديو لندن الرئيس اليمني في اكتوبر ١٩٩٣م..
- هل الوحدة اليمنية في خطر؟..
واجاب: لا اعتقد ان الوحدة في خطر، والذي يفكر أنها في خطر هو الذي يصنع ذلك الخطر..
- سألوه: وماهو تصوركم لحل الخلاف مع خصومكم؟
اجاب: بالحوار السياسي المسؤول.
- لكن مهما اوتي الكاتب الصحفي من البلاغة في الوصف والدقة في التعبير والاحاطة بالموضوع، الا أن علي عبدالله صالح قد اكتسح الجميع وتفوق على الجميع في وصفه للايام التي سبقت اشتعال الحرب اليمنية بين الوحدويين والانفصاليين، حيث قال في المهرجان الكرنفالي في ملعب بارادم بمدينة المكلا يوم ٢٠ اكتوبر عام ١٩٩٤م:
(.. لقد حرصنا منذ أن افتعل الخونة الانفصاليون الأزمة على تفادي الحرب وقدمنا التنازلات تلو التنازلات حرصاً منا ووفاءً لابناء شعبنا كي لاتُراق قطرة دم واحدة وقدمنا التنازلات حرصاً منا ووفاء لأبناءشعبنا من اجل ان نجنب الوطن القتال، وظل الحوار قائماً على مدى تسعة اشهر حتى وصلنا الى وثيقة العهد والاتفاق التي تم التوقيع عليها في عاصمة الاردن لكي نجنب الوطن ماوصلنا اليه ولكي لاتشتعل نار الفتنة، ولكنهم كانوا متأبطين شراً منذ التوقيع على الوحدة في الـ٣٠ من نوفمبر، ولم يكن توقيعهم على الوحدة الا هروباً للأمام من الفشل الذريع ولكي لايلحق بهم مالحق بالمنظومة الاشتراكية.. ونصبوا أنفسهم اوصياء على المحافظات الشرقية والجنوبية، وظلوا يمارسون البطش والارهاب الفكري والسياسي والقمع الامني على المواطنين، وقد فوجئ تماماً هؤلاء الخونة عندما نزل دستور الوحدة للاستفتاء الشعبي، وكانت نتيجة الاستفتاء في محافظات

(شبوة- والمهرة- وحضرموت- ولحج- وابين- وعدن) اكثر من ٩٥٪ وهي نسبة اكثر من نسبة المحافظات الاخرى في الجمهورية.. وهنا تكمن الشرعية الدستورية التي ثبتت بإرادة جماهير الشعب اليمني صاحب المصلحة الحقيقية في الثورة والوحدة.. ولم يتعظ هؤلاء من حماس الشعب وتمسكه بالوحدة والتفافه حولها.. وكان الشعب اقوى من الالة العسكرية ومن المال المدنس الذي اكتنزوه من أجل تنفيذ مخططهم الانفصالي التآمري.. حيث تدافع الشعب من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ومن اقصى الشرق الى اقصى الغرب في جحافل رائعة دفاعاً عن الوحدة وعمدها بأنهر من الدماء الزكية الطاهرة التي لاتستطيع أية قوة مهما كانت ومهما امتلكت من آلة عسكرية او مال ان تمس الوحدة او ان تنتصر عليها..)

ثم اشار الرئيس بكل صراحة، إلى ان القيادة (حرصت منذ اندلاع الحرب على عدم الانجرار لذلك المخطط الذي استهدفه الانفصاليون لتعميق الجراح والاضرار بالمواطن، واحداث شرخ في الوحدة الوطنية عندما تمترسوا بالمدن الامنة سواء في عدن او المكلا او سيئون. وكانوا يستهدفون ان ترد القيادة وقوات الوحدة والشرعية على تحرشاتهم وان تسفك الدماء داخل تلك المدن ولكن كنا حريصين على تجنيب هذه المدن الدمار والحفاظ على أرواح المواطنين وممتلكاتهم والممتلكات العامة.. في الوقت الذي مارسوا قبل فرارهم المعيب كل التخريب والنهب والتدمير والحرائق للممتلكات العامة التي هي مال الشعب وملكه وتحملها بديون باهضة.. ولعلكم جميعاً تعرفون ذلك الحرص الذي ابدته قيادة الوحدة والشرعية على المواطنين وممتلكاتهم عندما تمكنت من دحر الانفصاليين وطردهم من مدينة المكلا ومن محافظة حضرموت ولم تطلق رصاصة واحدة داخل المكلا على الرغم من تمركز قائد الانفصال بداخلها).

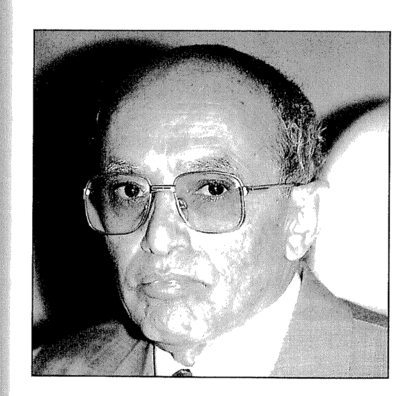
وهكذا، وبالفم المليان والبيان البسيط الذكي وبالصراحة القصوى مع الايمان بالشعب والثقة بالوطن مضى علي عبدالله صالح يكشف عورات الاشتراكيين الانفصاليين ويترك الحكم عليهم للشعب. كان كلامه يسبب الجراح ولكن دون ان تسيل نقطة دم واحدة. كان حديثه يصل الى القلوب والى العقول ولكن دون أن يظهر صوت واحد يوجه اليه اللوم على كلمة نابية وردت هنا او عبارة قاسية وردت هناك، وكان كل هذا ينبع من حرصه على البلد وعلى مصلحته كما ينبع من غضبه من هؤلاء الذين حرقوا البلد وفجروا نيران الحرب والانفصال وركبوا رؤوسهم في الحقد والانتقام ثم فروا تاركين وراءهم لعنة الأجيال تطاردهم الى يوم الدين.

لقد طال صبره عليهم. هاجموه ولم يرد، شتموه ولم يرد، اتهموه بالديكتاتورية وحكم الفرد فلم يكترث ولم يرد، الحقوا بحكمه وبرجاله كل الصفات البشعة والأكاذيب الرخيصة فلم يأبه ولم يرد. كانت اذاعاتهم مجرد عواء كعواء الكلاب فلم يهتم ولم يرد، ذلك ان اسلوب علي عبدالله صالح في ممارسة الحكم كان اسلوباً مترفعاً ومؤدباً يمتاز بالصبر على المكاره والصبر على الكارهين.

● ● ●

الفصل السادس

مع عبدالكريم الارياني وزير الخارجية الأدب والدبلوماسية وتجارب السنين تتكلم !



يقولون (ماخرج من اللسان لايتجاوز الآذان، وماخرج من القلب يصل الى القلب..)! كلمات معبرة من قلب اليمن النابض، يحدثها رجل من اوفى رجال اليمن وأخبرهم بقضاياه وهمومه.. يحتضنها كاتب هذه السطور في لوحة ناطقة عن اليمن تعج بالحياة ورائحة الثورة ورجالها وفي مقدمتهم الرئيس علي عبدالله صالح.

وكنت اظن ان تاريخ مولد الدكتور عبدالكريم الارياني- وزير الخارجية- لا يقل كثيراً عن تاريخ مولدي! فإذا بي اكتشف ان بيني وبين الدكتور الارياني ما لا يقل عن ١٥ سنة..! وكنت اظن انه من خريجي كلية الاداب في احدى جامعات مصر، وإذا بي اكتشف انه حصل على البكالوريوس ثم الماجستير في الزراعة من ولاية جورجيا، ثم درجة الدكتوراه في علم الاحياء من جامعة (ييل) Yale الامريكية.

وعندما قابلت الدكتور الارياني في منزله بصنعاء سمعته يردد بعض الايات من القرآن الكريم. ثم سمعته يحدثني في اصول الدين والفقه، ثم يخرج عن موضوع الحديث ويمر على علم النفس وقراءة الافكار..!

واستمر يحدثني طيلة ساعات ثلاث، لم يقرأ في قصاصة ورق، ولم يستعن بمرجع او كتاب تاريخي، ولم ينسَ اسماً او تاريخاً او ظرفاً معيناً،

وانما استمر يتحدث كالشلال، في دعابة وعلم وأدب وجاذبية، لايمكن لأحد إلاّ أن يطرب لها ويعجب بها.. خاصةً وفي حركاته وتصرفاته مايوحي بالبساطة والرقة والتواضع الشديد.

- قال لي عبدالكريم الارياني وهو يستقبلني في منزله بالعاصمة:
اهلاً بالعلم الشامخ! ان اليمن حظيت بوجودك فيها!، انت اسم نحن في شبابنا عشنا معه!!.

- فأجبته مصافحاً ومعانقاً: اهلاً بك، وشكراً لك.. ثم قلت: ياسيدي، انا كنت عند فخامة الرئيس، وانا بصدد اعداد دراسة عن اليمن وبصورة خاصة عن السيد الرئيس.. حدثني عن الرئيس.. انت رجل مثقف ومواطن صالح.. من هو علي عبدالله صالح؟.

اجاب: هذا سؤال فخم على هذا المستوى! لكن اهم مايمكن ان يقال، اولاً أن الرئيس علي عبدالله صالح جاء من عمق الشعب اليمني، لم يأت بمال ولا بجاه ولا بإمكانيات ذاتية خاصة! جاء بنضال وكفاح شخصي، بنى نفسه خلية خلية وهذا صحيح..!

ثم اكمل: لقد عاش الرئيس في اسرة فلاحية او قروية صغيرة من بيت الأحمر.. عاش حياته بكل قسوتها وفي فترة ماسمعت منه انه قد رعى الغنم وعاش مع الأغنام وتنقل معها في اجزاء من اليمن، وعندما كان الجفاف يصيب المنطقة التي يعيش فيها ينتقل هو وبعض افراد اسرته الى مناطق اخرى ومن ضمنها مدينة يريم وهي قريبة من محل ميلادي انا من قرية اريان، وعاش فيها فترة حتى منّ الله بالامطار ثم التحق بالجندية.. هو كما سمعت منه كان في حدود الثانية عشرة من عمره، مع اخيه صالح وظل جندياً صغيراً، واثناء هذه المرحلة دخل او تعلم في مدرسة صنعاء، ثم بدأ يتنقل مع أخيه الى انحاء البلاد كجندي صغير، تعلم في كتّاب فقط ولم يواصل تعليمه في مكان محدد الا وهو ينتقل، عاش في كل انحاء اليمن، ولا تستطيع ان تذكر مكاناً الا وقال لك عنه شيئاً ما،

برؤية العين وليس بالسماع! عند قيام الثورة كان جندياً متفرغاً، منذ الاسبوع الاول وهو متفرغ للدفاع عن الثورة والجمهورية.. وخاض معارك عديدة يصفها لك ويحدثك عنها ويشير الى عدة اسماء عسكرية ومدنية.. من اصدقائه ومعارفه منهم من قضى نحبه ومنهم من لايزال يعيش..!).

- قلت مقاطعاً: مثل من؟.

اجاب: أمثال الشيخ احمد علي المطري الذي توفي منذ عدة سنوات وقد عمل معه طويلاً، وكان شيخ بني مطر وكان عضواً في مجلس النواب وتوفي وهو عضو في مجلس النواب، ومن امثال هادي حشيشي، الذي كان من ضباط الثورة.. شخصيات كثيرة عمل معها الرئيس جندياً ورآها وتعاون معها ولم يكن قائداً لها!

- قلت: هل كان هذا قبل الثورة؟.

اجاب: لا، لا، بعد الثورة، في الدفاع عن الثورة، وفي معارك متعددة في كل المناطق.

- قلت: هل كان مع السلال؟.

اجاب: لم يكن السلال يقود الثورة فقط، كان السلال يقود المعارك، وكان السلال رئيساً للجمهورية ولكنه كان حاضراً في جميع المعارك حول صنعاء، وشمال صنعاء، وشرق صنعاء، وغرب صنعاء.

- قلت: المعارك ضد من؟.

اجاب: معارك ضد الملكيين والرئيس كان مناضلاً في الصف الجمهوري، وترقى بعد ذلك واخذ دورات تدريبية وتأهيلية عسكرية وتدرج في صف العسكرية من جندي الى مرحلة هامة في حياته، عندما اصبح قائداً للواء تعز، اي قائد الجيش في تعز، وكان هذا بين عام ٧٥ و ٧٨ انا اعتقد أن تلك المرحلة ابرزت شخصية الرئيس داخلياً وخارجياً لانه بقي فترة طويلة وراء الصفوف او في مناطق نائية لايحتك بالمجتمع وبالناس كثيراً، مثلاً قضى في باب المندب

سنوات عديدة، ومنطقة باب المندب آنذاك معزولة لاترى فيها احداً، لكن عندما اصبح الاخ الرئيس قائداً للواء تعز او محافظة تعز، بدأ احتكاكه الواسع مع الناس، طبعاً كانت له علاقات واسعة لكن كانت في اطار الاعمال الرسمية وكان يغلب على اكثرها الطابع العسكري للدفاع عن الثورة والجمهورية حيث عاش في باب المندب فترة طويلة.

– قلت: وماذا كانت رتبته العسكرية في باب المندب؟.

أجاب: كان قائد المنطقة، وهي جزء من قيادة تعز، فأصبح قائداً للواء تعز، واعتقد عند ذلك بدأت شخصية (الرئيس علي عبدالله صالح) تبرز للجميع، ومواهبه تظهر ولقاءاته المتعددة سواءً مع الشخصيات البارزة في اليمن أو مع الوفود الاجنبية التي كانت تزور تعز، وظهرت مواهب سياسية قوية، عندما اصبح قائد لواء تعز، لكن للرئيس علي عبدالله صالح صفات بارزة وهو ان لديه حساً سياسياً فطرياً، فبالفطرة يلتقط الامور كأنه كاميرا تصوير حتى قبل ان يصبح قائداً للواء تعز، كانت تفتح له فرص ان يأتي الى صنعاء ويحتك بالقيادة السياسية ويتحدث معها، لكن ليس كشخصية بارزة سياسياً، وانما كمشارك مستمع.. كانت آفاقه السياسية تتوسع ومداركه تتعمق بالاحتكاك مع الناس على الرغم من انه –كما قلت– في جبهات القتال خارج العاصمة او في مناطق نائية مثل باب المندب، فعندما أصبح قائداً للواء تعز بدأ اسمه يتكرر لأنه تقلّد وظيفةً رئيسية. شخصياً لم يكن لي لقاءات معه قبل أن يصبح رئيساً، ولم احتك به قبل ذلك، ومنذ ان اصبح رئيساً طبعاً انا معه من عام ١٩٨٠م حتى يومنا هذا، واعتقد ان الرئيس علي عبدالله صالح كرئيس اصبح حدثاً يتحدث عن نفسه، تستطيع انت الآن أن تلاحظها –لكن لأنك تريد ان تعرف قبل ان يكون رئيساً حتى تجزم ماهي الصفات التي جعلته يصبح رئيساً..

- واستطرد الاستاذ الارياني قائلاً لي:

(اسمع يا اخي، انا أقول إنه الذكاء الفطري، والصدق والثقة بالنفس، وحب الاستطلاع غير العادي، والذاكرة القوية التي لاتنسى اصغر الأحداث منذ عشرات السنين، مع الثقة بالآخرين والاعتماد عليهم. هذه الصفات في محيطها الذي عمل فيه جندياً ثم ضابطاً هي التي بنت شخصيته القيادية حتى اصبح رئيساً.. في تقديري ان ثقافته ذاتية اكثر منها اكاديمية، لكن مع القدرة على استيعاب معطيات العصر، وانا اعتبر ان لديه موهبة نادرة تستوعب كل جديد استيعاباً كاملاً، وهذه نوعية معيشته منذ طفولته بكل تأكيد. كان مصدر ثقافته في الماضي في اكثرها هي برامج الراديو، كلنا كان الراديو مصدر ثقافتنا، ثم جاءت الثورة واتسع التعليم وظهر اكاديميون، ومتخصصون، ودارسون، وسياسيون، واقتصاديون، ومن احتكاكه بهم استوعب الشيء الكثير جداً، وانا على يقين انك في مجالستك له تلمس ان كل موضوع تطرقه تجد انه يفقه فيه، مما يؤهله لان يكون رئيساً للبلاد، لانك ممكن ان تجلس معه وتجده وتتحدث عن موضوع فلا يتردد في ان يقول لك ان هذا الموضوع لم اسمع به، لكن عنده التواضع في طلب المعرفة، هذه الصفة ايضاً نادرة، لان بعض الناس عندما يصبح رئيساً يضع على نفسه غلافاً وستاراً لكي لايتعرض الى كشف النقص في معلوماته! اعتقد أنك التقيت بأناس كثيرين من هذا النوع!.. الرئيس علي عبدالله صالح لايتردد في ان يقول هذا الموضوع جديد اشرحه لي! لايخجل ان يقول هذا أمر جديد علي وانا لا افهمه واريد ان اعرفه! لكن هناك من الناس عندما يصبح رئيساً يحب ان يشعر الآخرين انه اصبح رئيساً، معناها اصبح يعرف كل شيء هذه الصفة ليست من صفات الرئيس علي عبدالله صالح على العكس تماماً إنه لا يخجل

من أن يقول انه عاش راعياً للغنم وعاش جندياً فقيراً..!)

– قلت: لماذا كان يرعى الغنم؟.

اجاب: انه من عائلة فلاحين! انه فلاح مثلهم! اعتقد ان والده كان مزارعاً فلاحاً لكن اخوته جنود، وهو لايخجل ان يتحدث عن نفسه ابداً ولايرى الاخرين بالمثل القائل: (انه ينظر اليَّ بعين الحطاب) اذا كنت تعرف هذه القصة.. أتعرفها؟!

– قلت: لا! حدثني عن هذه القصة.. قصة عين الحطاب؟!

اجاب: يروي أن مدينةً جرى بين اهلها خلاف شديد فتقاتلوا لسنوات عديدة حتى أن عقلاءها وحكامها (عجزوا) ان يصلحوا بينهم فقرروا ان يحكموا أو يؤمروا عليهم اول واحد يدخل تلك المدينة في الصباح الباكر ويتخلوا كلهم عن النزاع ويسلموا له السلطة في تلك المدينة، فجاء الصباح الباكر وجاء حطابان اثنان يحملان الحطب على ظهر حمارين، فالذي دخل باب المدينة اولاً قالوا له انت رئيسنا.. كيف؟ لماذا؟ قالوا تقاتلنا سنوات وقررنا أن اول داخل للمدينة في هذا الصباح يصبح رئيسنا! فرح بذلك وبايعوه ونصبوه.. وكان أول قرار اتخذه أنه سجن الحطاب الثاني! فقالوا له لماذا تسجن هذا الحطاب؟! فقال: (لانه سيظل ينظر الي بعين الحطاب) هذه الصفة لاوجود لها عند الرئيس علي عبدالله صالح، وانا اعرف رؤساء عندما يصبح رئيساً يبتعد عن بعض الناس الذين عاشوا معه في حياة متواضعة، ويقول أنا اصبحت كبيراً عليهم! وأعرف رجالاً ليسوا رؤساء، اقصد أعرف رجال سلطة عاديين، عندما يرتقي في منصب ما يبدأ في الترفع عن أولئك الذين عايشوه في المركب الخشن! هذه ليست من صفات الرئيس علي عبدالله صالح. من ابرز خصائله الوفاء لأناس عرفهم الرئيس قبل ثلاثين سنة، عندما يقال له ان فلاناً يقول انه يعرفك

وهو من ابسط الناس، من صميم الشعب بعيد لا صلة له لا بالدولة ولا بالأعمال، فلاح فقير وانا اعرف حالات عديدة، يقال له فلاناً يقول يعرفك جيداً، اتذكره؟ يقول نعم اذكر، ويدعوه ويكرمه ولا يخجل من ان يقول له انت نفعتني.. انت اكرمتني..

- قلت: مثل من؟ اتذكر اسماء؟.

اجاب: لا، لا اذكر اسماء معينة لكن انا اشاهد حالات عديدة، مثلاً يقال له فلان كان سائقاً معك سنة ١٩٦٣م والان اصبح عمره سبعين سنة، ويذكرك بنفسه.. انا اعرف حالات من هذا النوع، ويدعو ذلك السائق، ويجلس معه يتذكران الماضي وكل تجاربهم وكل حياتهم..!

أو مثلاً: عندما يقال له فلان انت كنت جندياً وهو رائد او نقيب، ويقول لك لاتنساه فهو يذكرك ويدعوك لزيارته فإنه لايتردد.. هناك أناس يدخلون الى السلطة ويزرعون شعراً جديداً على جلودهم ليظهروا بمظهر الطاووس، وهذا النوع من الناس كثير ولكن الرئيس علي عبدالله صالح لم يغرس شعراً جديداً في جلده، فقط ظل ذلك الرجل البسيط، او ذلك المتواضع، او ذلك الوفي..!

- قلت: من أية قرية جاء الرئيس؟

اجاب: من قرية (بيت الأحمر) في منطقة سنحان..!

- قلت: هل هذه اجزاء من حياة الرئيس؟ وأشرت الى مجموعة كتب كان يضعها أمامه!

اجاب: لا.

- قلت: وماذا عن هذه القبائل التي تذكر اسماءها؟.

اجاب: هذه ليست اجزاء عن حياة الرئيس، هذه كتب الدكتور يوسف محمد عبدالله، -وهو الذي سيشرح لك- فهو رئيس هيئة الآثار والكتب اذا اردت ان يقدم لك وثائق عن منطقة سنحان.

- قلت مقاطعاً: الذي يهمني من سنحان هو شخص الرئيس.

اجاب: نعم، لكن انا عرفت تاريخياً أن هذه المنطقة كانت تسمى ذو جرة، فقبيلة سنحان جاءت من عسير فتسمَّت المنطقة بسنحان وتغير اسمها.

- قلت: ما الذي شدك الى الرئيس؟

اجاب: الصفات الكثيرة التي ذكرتها لك!

- قلت: ماهو رأيك فيه كأب او كبير اسرة؟.

اجاب: انا استطيع ان اقول لك انه ينتزع الوقت انتزاعاً ليبقى مع اطفاله الصغار ويعيش معهم، أنا شخصياً من المعترفين بالتقصير مع اهلي لانني لا اقضي وقتاً كافياً مع اطفالي.

- قلت مستفهماً: مع اطفالك؟.

اجاب: نعم، انا اعترف بهذه الخطيئة لكنني اجزم ان علي عبدالله صالح يقضي ساعات في النهار الواحد.

- قلت: كم واحدة متزوج؟ واحدة؟

اجاب: لا، امرأتين.

- قلت: كم ولداً له؟.

اجاب: عنده اربعة عشر ولداً وبنتاً.

- قلت: من الإمرأتين، اعني من السيدتين الزوجتين؟.

اجاب: نعم، ان ميزته- أي الرئيس- الاساسية هي الاقدام الفائق والشجاعة وتجده وقت الازمات اكثر انشراحاً وتجلياً من اوقات الهدوء.. إنه عندما يمر بالازمات لاتجد لديه حالة من الاكتئاب او القلق او التردد أبداً! بل تمزح معه في كل وقت، لأن الازمات لاتقلقه ولا توتر اعصابه على الإطلاق.

- قلت: وماذا عن تمسكه بالدين الحنيف؟.

اجاب: انه مسلم متمسك بدينه وبكتاب الله وسنة رسوله عندما تأتي ازمة لايتناول عمومياتها مطلقاً بل هو يغوص في اعماق اعماقها وانا

عايشته في ازمات عديدة.

- قلت: مثال ماذا؟ اعطني بعض الأمثلة؟.

اجاب: ان الرئيس لايترك شيئاً للصدفة ولايسمح لنفسه ان لايعرف كل شيء! طبعاً اول مابدأت احتك به، بصراحة، كانت البلد تواجه ازمة كبيرة، ازمة الصراع مع الجنوب كدولة! وكانت هناك الجبهة الوطنية وعناصرها المنتشرة في عدة مناطق في البلاد.. معارك تكاد تكون يومية، معارك غير معلنة لانها حرب عصابات على مدى سنوات طويلة منذ عام ١٩٧٠م تقريباً حتى ١٩٨٢م! وكان الرئيس ايضاً يحتك بهذا التخريب وهو رائد في الجيش ثم جاء رئيساً يواجه هذا التخريب الذي كان يدعمه الجنوب وكان يدعم خارجياً من دول عربية مجاورة، وفي اول ما التقيت به كرئيس للحكومة كان أمامنا العديد من المشكلات والأحداث، كل يوم تفجيرات، الغام، اختطافات، عصابات، قتال.. وقتل!

- قلت: كلها من الجنوب؟.

اجاب: عناصر الجبهة الوطنية الديمقراطية اكثرهم شماليون تدربوا فيما كان يسمى بالشطر الجنوبي وارسلوا بأسلحتهم الى المناطق الوسطى، فهو كان لايرهب او يخاف وكان يتابع كل شيء حتى يتأكد ان المنطقة التي أمر بتطهيرها قد طهرت تماماً ولديه الشجاعة انه بمجرد ان تدخل قوات الحكومة المنطقة يذهب اليها ويزورها، مع ان رجال التخريب مازالوا موجودين (ومازالوا) ويمكن ان يفعلوا شيئا!! ولكنه كان يذهب الى المنطقة ويدخل اليها بدون تردد..).

(.. ان الاقدام او الشجاعة صفة ايضاً من صفاته الكبرى وليس هذا كلاماً مجرداً وباستطاعتك ان تسأله سؤالاً واحداً (صف لي

المعارك العسكرية التي شاركت فيها وكنت أنت في المقدمة)!. سيشرحها لك ليس من صنع الخيال، ولكن سيذكر لك المكان والساعة والاشخاص الذين كانوا معه! وقد التقى معه اشخاص، مثلاً المرحوم احمد علي المطري ظل قريباً من الرئيس حتى توفاه الله..). (.. كانوا يتذاكرون ويقول له عن يوم كذا.. الساعة الفلانية.. فليست هذه مجرد راويات عن معارك خيالية او عن (طواحين هواء) لكنها متصلة بالارض والانسان.. فكان ايضاً يتميز بالإقدام، ولاشك ايضاً أن تكتيكه العسكري مميز! لو قلت لك انا ان لديه تكتيكاً عسكرياً وتجربة استراتيجية واسعة لو قلت ذلك قبل خمس سنوات لضحك الناس).

(.. لكن استطيع ان اقول لك الان ان معركة الوحدة ادارها الرئيس عسكرياً وميدانياً وعلى مستوى الكتيبة وكان يسأل قائد الكتيبة، السرية الفلانية أين؟).

(.. يقال في المكان الفلاني.. ويقول، حسناً تبقى في مكانها أو يقول عليك تحركها قليلاً).

– قلت: وماذا عن الرئيس كسياسي؟.

اجابني: كسياسي احيلك الى علي عبدالله صالح رئيساً عام ١٩٧٨م...!

– قلت: رئيساً في عام ١٩٧٨م؟!

اجابني : نعم، و (علي عبدالله صالح) رئيساً عام ١٩٩٦م عد الى مقابلاته الصحفية! عد الى احاديثه تستطيع ان تجزم وتقول أنه قد نما وتطور في الافق السياسي محليا واقليمياً ودوليا حتى أصبح رجلاً جديداً.

– قلت: كيف تطور؟

اجاب: بالاستيعاب والفهم والمعرفة! بصراحة كان يلتقي بالصحفيين في عام ١٩٧٩م وهو نفسه يقول لك كنت التقي بالصحفيين في ٧٨/

٧٩ وما عندي الشيء الكثير الذي اقوله لهم، انهم يسألون اسئلة وأجد حرجاً وقلقاً كيف اجيب عليهم؟.. اليوم علي عبدالله صلح يواجه الصحافة العالمية ولم يطلب مني مرة واحدة رأياً واحداً كأن يقول القضية الفلانية اذا اثارها ماذا اقول لهم؟ كوزير خارجية؟ لا.. لم يلجأ الى أي رأي!

- (.. ترى، هل اخطأ في تصريح واحد؟!

انا اقول لك ابداً! وان جميع التصريحات التي ادلى بها الرئيس علي عبدالله صالح جاءت من معرفته الذاتية ولا اذكر انه قد ندم على حديث ما للصحافة الأجنبية او المحلية لكن في البداية- يقول الرئيس- كنت ابعد عنهم، أول مابدأ رئيساً كان لايعجبه كثيراً مقابلة الصحفيين لمدة السنتين او الثلاثة الاولى.. وكان يصر ان يجلسوا ويطبعوا الاسئلة ويتفقوا عليها ويكتبوها فكان على غرار الرؤساء الاخرين الذين لايقبلون الا سؤالاً مطبوعاً ورداً مطبوعاً! في البداية أي في السنتين الاوليين كان يمارس هذا الشيء، بعد ذلك بلغت درجة الثقة بالنفس والمعرفة بالامور الى انه اصبح يضيف من عنده سؤالاً ان كانت الأسئلة مكتوبة، مع انه لايعجبه ان تقدم له أسئلة مكتوبة أما في السنة الأولى من احتكاكي به فقد كان يشعر بالحذر بالذات مع الأجانب!

- قلت: وهل كان متحفظاً في اجوبته؟.

اجاب: نعم كان! لكن خلال فترة قصيرة فقط تعززت ثقته من نفسه أمام الصحافة العالمية والخارجية!

والان لمّا نقول له ان صحفياً يريد ان يكتب لك اسئلة، يقول ليقدم كل ماعنده، فليأتِ ولنتكلم بسهولة وبساطة وعفوية، لماذا يكتب لي الاسئلة، دعوه يجيء ونتحدث!

- وسألني الارياني: هل طلب منك كتابة اسئلة في مقابلتك معه؟.

- قلت: لا بل كانت مقابلة ودية ومثمرة ومفيدة!

اضاف: انا سأترك لك الحكم على اسئلتك للرئيس واجابته الفورية عليها!
هذا تطور كبير في حياة الرئيس!.

- قلت: هل يجيد لغات اجنبية؟.

اجاب: لا، بل عنده ذاكرة يقال عنها الذاكرة التصويرية PHOTOGRAPHIC MEMORY انا أؤكد لك ان لديه ذاكرة تصويرية، يلتقط الشيء كما هو ويستوعبه ويستعيده ويستخدمه في اوسع مما التقطه. هي الذاكرة التصويرية!.

- قلت: أي نوع من السياسيين هو؟ دبلوماسي، هادئ الطبع، خبيث؟ يوجد اناس هكذا، نوري السعيد مثلا كان خبيثاً، وذكياً كان رئيس وزارة لكنه كان خبيثاً! علي جودت الأيوبي كان آدمياً، ذكياً! توفيق ابو الهدى في الاردن كان هادئاً! جمال عبدالناصر كان يستوعب كثيراً! كل شخص له شيء! فهو أي نوع من السياسيين تراه؟!

اجاب: الرئيس لايعجبه السياسة الماكرة ابداً والباطنية يكرهها جداً..

- قلت: هل هو مع الغرب ام مع الشرق؟.

اجاب: هو وطني يمني عربي مسلم فقط لاغير!

- قلت: وماهي طموحاته بعد ان حقق الوحدة، ماذا سوف يعمل الآن؟!.. او بعد الآن؟.

اجاب: بناء اليمن الحديث، دولة تنمو، مؤسسات تترسخ تنمية وتطوير اليمن اقتصادياً كي تصبح دولة معتمدة على نفسها ومشاركة مع الأمة العربية في عملية البناء.

- قلت: وهل مازال ثوري الهوى؟.

اجاب: الى اقصى درجة.

- قلت: ثوري!

اجاب: نعم.

- قلت: ضد من، ولماذا؟.

اجاب: للتغيير! الثورة هي التغيير، وليست ضد الناس! ولايجوز ان نفهم الثورة او الثورية انها ضد اناس.. ان الثوري هو الذي يسعى الى التغيير، فانت تثور على النظام لكي تغيره، وبعد ان تغير النظام تظل ثورياً لمواصلة التغيير، ولا تتجمد..

- قلت وانا اعود قليلاً إلى الماضي: اريد ان أسألك عن اكبر نقائص (آل حميد الدين)! الذين ابتلي بهم هذا البلد؟.

اجاب: (حدث عن البحر ولاحرج) لا شك انه الحكم المتخلف فكراً وعقلاً وسياسة وتجارة ورأياً! هذا هو الحكم عند آل حميد الدين!.

- قلت: هل كان يُسيء معاملة الناس؟

اجاب: كان حكماً سلطوياً اسوأ من حكم آل عثمان! فانت لاشك ممن يتذكرون ماقال آباؤهم واجدادهم عن آل عثمان، هم ورثوا حكم آل عثمان وحكموا الناس بأسوأ من حكم آل عثمان..

- قلت: لماذا؟ هل كان الامام يحيى جاهلاً أم متعلماً؟.

اجاب: متثقف في قضايا الشرع والدين، ولكنه يجهل الكون، يجهل العالم، ولم ير البحر.. ولم ير الحياة!

- قلت: هل عندك كتب عنه؟.

اجاب: توجد كتب في الأسواق، ووزارة الاعلام توفرها لكم، ويوجد كتاب عن (اليمن: الارض والانسان للشماحي).

- عند هذا الحد انتقلت الى موضوع آخر وسألت وزير خارجية اليمن..

- قلت: والى أين وصلت عملية المفاوضات مع السعوديين حول الحدود، وانت وزيراً للخارجية؟.

اجاب : أي كلام اقوله لك اليوم ممكن ان يتغير غداً، لأننا لم نتفق على أي شيء بعد.

- قلت: ماذا تقول عن هذا الموضوع، نتركه ام نتحدث فيه؟.

اجاب : ابعث لي السؤال بعد شهر وانا اجيبك عليه.. نؤجل الموضوع في الوقت الحاضر!

- قلت: هل انت متفائل حول هذا الموضوع؟.

اجاب : نعم انا متفائل.

- قلت: هل يوجد لديك حل؟.

اجاب : ان شاء الله...

- قلت: ان هذا يسعدني، ولكن اخشى انهم يكذبون عليكم وان تفاؤلك ليس في محله.

اجاب : نحن صادقون حتى ولو كذب.. غيرنا..!!

- قلت: لأن السياسة مثل لعبة التنس، يجب أن يمارسها اثنان اما اذا لعبتم لوحدكم .. فلن تحققوا شيئاً!

اجاب : في السياسة اجتذاب، انت تجذب الطرف الآخر.

- قلت: هل توجد امكانية الوصول الى حل للحدود؟ اجبني بصراحة ياوزير الخارجية.

اجاب : نعم.. لقد قال الرئيس في المؤتمر الصحفي أمس مع رجل الخارجية البريطانية ان المسألة تدار على اعلى المستويات.

- قلت: وعلى أي أساس يبني كلامه؟.

اجاب : هو قال لهم التفاوض بواسطة اللجان الفنية لن يوصلنا الى نتيجة، عندما جاء سلطان قال له الرئيس: (ياسمو الامير انا علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية، واريد ان افاوض آل سعود حكام المملكة العربية السعودية، اما اذا اردتم التفاوض عن طريق لجان فنية اتركوها تأخذ سنة، عشر، عشرين سنة، لايوجد عندي مانع لكن انا اعرف انكم لاتريدون ان تصنعوا قراراً، وانا اقول انا اصنع قراراً، لا انكر انني رئيس للجمهورية، وانتم حكام للمملكة، لماذا لاتفاوضوني أنا واتركوا هذه اللجان؟.

- قلت: هل كان هذا في آخر مشوار للأمير المذكور؟.

اجاب : نعم.

- قلت: ماذا قال سلطان للرئيس؟

اجاب : قال إنه موافق!

- قلت :(اذن ظن خبراً ولا تسأل عن الخبر) هذه المسألة اذا انتهت مافي شك تضمن الاطمئنان في البلد اقتصادياً؟

اجاب : انا اعتقد ان بؤر التوتر المتصلة بالحدود في جميع انحاء العالم هي اخطر البؤر، دعك من الخلافات السياسية الايديولوجية، والتنافس الاقتصادي، لا اخطر من بؤر التوتر الخاصة بالحدود مهما تحسنت العلاقات بين البلدين وتلك البؤرة موجودة في لحظة ماتفجرها وتقضي عليها..!

- قلت: ماهي البؤرة المتفجرة في اليمن حالياً؟.

اجاب: لم يبق غير قضية الحدود مع المملكة العربية السعودية..

- قلت: لا يوجد غيرها؟.

اجاب : والحدود مع اريتيريا.

- قلت: وبالنسبة للجزيرة.. اين هي؟.

اجاب : في البحر الاحمر، لكن الحدود مع السعودية.. او مع اريتيريا لاشك انها تحتل الأولوية وسوف يكون بعد الحسم مع اريتيريا الحدود البحرية مع جيبوتي، هذه لابد ان تحل! أما مع عمان فقد حلت المسألة براً وبحراً.

- قلت: وما رأيكم (انتم) بتنائج حرب الخليج، هل انتهت او مازالت النفوس مليئة بالمرارة؟.

اجاب : الحقيقة ليست القضية قضية المرارة في النفوس ولكن الأثر المادي وأثر القطيعة التي حدثت واثر الوجود الاجنبي الذي جاء، لم ينقطع! دعك من مشاعر النفوس لان النفوس تصفى، ولا اعتقد ان المرارة مازالت على مستواها السابق! ولكن ليست القضية

قضية المرارة، بل السؤال هل انتهت آثار حرب الخليج..؟.

- قلت: هذا الذي أسأله.. هل انتهت؟.

اجاب : لم تنتهِ بعد!

- قلت: ماذا بقي منها؟

اجاب : رحل الجنود وبقي الوجود بكل معانيه.!!

- قلت: والعلاج ؟.

اجاب : ليس بيد اليمن، انه بيد الاخرين! العلاج عند غيرنا! لكن اقول لك رحل الجنود وبقي الوجود..!

- قلت: وبقاء الوجود كما تفضلت كيف يؤثر على اليمن؟.

اجاب: التأثير ليس على اليمن فقط بل على الوطن العربي كله!

- قلت: كيف ترى الأمور الآن كوزير خارجية ونائب لرئيس الوزارء؟

اجاب : من كرامتنا سندفع باهض الثمن، ونحن ندفع جزءاً من هذا الثمن لكن الآتي اعظم!.. ماسيأتي هو اعظم.. بكثير!

- قلت: فما الحل قبل أن يأتي؟

اجاب : اليوم الضمير العربي شبه ميت امام العراق، لكنه غداً سيحيا! لماذا اجلتها انا للقرن القادم لانني اراهن ان يكون الضمير العربي عندئذ، حياً.. ذلك الضمير هو الذي سيدفع الثمن، اما ضمير اليوم فإنه ليس مستعداً ان يدفع الثمن.

- قلت: مالجرح بميت إيلام؟.

اجاب : فهنا تكمن المأساة، وهنا الكارثة! انك لن تحصل في هذا القرن على شيء، ونحن نتفرج على هذه الضمائر الميتة، سيحيا الضمير العربي في القرن القادم ويلوم نيابة عنا ويحاكم باسمنا، اما نحن فسنكون تحت التراب!

- قلت: سيدي هل يمكن عمل شيء الان قبل فوات الأوان؟.

اجاب : الإرادة غير مستقرة وغير مستعدة ولا متوفرة.. ولايمكن عمل

أي شيء في الوقت الحاضر.

- قلت: نأتي في هذا الحديث الى فلسطين.. مارأيك بالذي حصل هناك وبمفاوضات ومباحثات السلام؟.

اجاب : مخاض عسير، نعم ولكن سيولد طفلاً كمولد المسيح وسيأتي وتجدونه في المغارة يا اهل فلسطين ان شاء الله.

- سألت: وبالفعل هل سيولد الطفل في فلسطين؟.

اجاب : نعم.

- قلت: الجامعة العربية ومؤتمرات القمة فيها شيء قائم؟.. أو شيء قاتم؟.

اجاب : لقد سمعنا اعتذارات، أخيراً طلعت اشاعة انه يوجد قمة عربية موسعة وسمعنا من بادر إلى النفي!

- قلت: هل يأتي الترياق من مصر؟.

اجاب : انا اقول مصر اليوم بدأت تلعب دوراً! مصر اليوم ليست مصر أمس ولكنها مازالت مسئولة ان تصبح اليوم مصر الغد، أما الحقيقة انا شخصياً سعيد لان مصر اليوم ليست مصر الأمس.

- قلت: احسن؟!

اجاب : احسن بالتأكيد.

- قلت: مصر أمس! منذ متى؟.

اجاب : مصر امس من كامب ديفيد لاخر قمة عربية، لكن المفروض ان مصر اليوم هي مصر الغد.

- قلت: وماذا نقول لإخواننا في العراق؟

اجاب: لا بد من بيت من الشعر، (اذا خفت من اعمامي الفرس مرة توجعت من اخواني العرب اربعاً)!

- قلت : ومن هو صاحب هذا الشعر؟

قال: لا ادري.. هذا كلامنا للعراق!

- قلت : على الصعيد الدبلوماسي -معالي الوزير- ماهي مشكلة اليمن في

الوقت الحاضر؟
اجاب : التنمية وبناء الدولة والدعم الدولي المطلوب لإيجاد اليمن المستقر المتطور الحديث..
هذه مشكلتنا السياسية.. ليست لدينا مشاكل سياسية لها طابع عالمي اقليمي.. مشاكل الجوار شرحتها لك وهي في طريقها إلى الحل لكن مشكلة اليمن هي الاقتصاد والتنمية هي الأساس.
- قلت: ألا يوجد مال؟
اجاب : لا توجد مصادر كبرى! طبعاً هناك أمل في التحسن لكن الموارد ليست كافية .
- قلت: والوزير البريطاني الذي وصل امس، ماذا يريد؟
اجاب : انا وجهت له الدعوة لزيارة اليمن، ولعلك تطلع على احاديثه التي ادلى بها، تصريحات منذ خرج من لندن حتى وصل الى اليمن.. قال ان اليمن اصبح دولة اساسية في المنطقة ولها دور اقليمي يجب ان يكون لبريطانيا علاقة واسعة معه..
- قلت : اتى الى هنا وبعدها الى اين؟
اجاب : اتفقنا على اشياء كثيرة.. وزير التجارة البريطاني سوف يأتي بعد اسبوعين ومعه جيش جرار من رجال الاعمال والمستثمرين. القضية اقتصادية، اليوم الدبلوماسية هي تجارة واقتصاد. لعله ذاهب من هنا الى الرياض.
- قلت : انت ايام الوحدة أوأيام عبد الناصر ماذا كنت؟ واين كنت؟
اجاب : كنت طالباً في القاهرة ومتحمسا إلى اقصى حد.
- قلت مداعباً : كيف تكون طالباً وانت اكبر مني سناً؟
اجاب : أنا عمري ثلاثة وستون عاماً واعاني من ثلاثة أمراض خطيرة..
- قلت: ماهي هذه الأمراض؟.
اجاب : السكري والضغط والكولسترول!لكن أحببت ان اقول لك إنني

لست صغير السن.

– قلت: ولكن مازلت تبدو صغيراً!

اجاب : انا كنت أقرأ لك وعمري ستة عشرة سنة! انت صحفي شهير وكبير، وانا عمري ستة عشرة سنة، كنت اقرأ لك في القرية واليمن معزولة عزلة تامة كانت تتسرب بعض المجلات عن طريق عدن.. أقرأ لك من زمن قديم جداً..!

– قلت: هذه عدن لقد منعني الإنجليز من دخول بريطانيا بسبب مقالاتي ضد الانجليز في عدن على صفحات جرائد مصر!

اجاب : كنا نقرأها كلها!

– قلت: وكتبت الديلي تلغراف عني تقول : بسبب هذا الرجل يموت الجندي البريطاني بعدن، ووضعوا صورتي الى جانب الخبر!

– ثم قلت للوزير الأديب الرقيق: والانتخابات.. ماهي اخبارها عندك؟

اجاب : انها قادمة لاريب فيها.

– قلت: لكن هل سيكون التيار القبلي اقوى ام التيار السياسي؟ في ايهما..انت؟

اجاب: لايوجد تيار قبلي، انت يجب ان تجلس مع اعضاء مجلس النواب الذين جاءوا من الأرياف والمناطق القبلية، لانك ستجدهم مسيسين بعيدين كل البعد عن القبيلة..!

– قلت: ومن هو اهم حزب سياسي الآن؟

اجاب: يقال انه المؤتمر الشعبي العام وانا امينه العام!

– قلت: يقال؟!

اجاب: نعم..يقال!

– قلت: سيدي الأمين العام نحن سعداء بالتحدث اليك وان كان لديك شيء من كتبك... من مؤلفاتك نريد الاطلاع عليها.

اجاب: انا لا اكتب.. ليست لدي مؤلفات !

- قلت : هل انت سعيد؟

اجاب: كنت سعيداً لأن الاخ عبد الكريم الكباريتي رئيس وزراء الأردن قد تحلى بالشجاعة واتخذ تلك القرارات الشجاعة التي كانت جرعة مريرة ووجهت بدرجات من العنف، لكنها نمت عن معرفة بالمستقبل واستشرافٍ له لأنه كان على يقين ان الجرعة لابد منها ولكنها ستصبح اكثرً مرارة إذا اتخذت بعد سنة وليس اليوم، فاتخذ هذا القرار وتعرض لما تعرّض له، وضربت للغزاوي مثلا بي. انا كنت رئيسا للوزراء فبدأت امكانات البلد من العملات الصعبة تجف! في سنة من السنوات بلغ حجم الواردات من الفواكه اربعمائة مليون دولار! كنا نأتي بالموز من نيكاراجوا، ونأتي بكل انواع الفاكهة من العالم! في اخر سنة وانا رئيس للوزراء، قلت للرئيس، لابد من قرار يسقط هذه الحكومة.. فسألني ماهو؟ قلت منع استيراد الفاكهة مطلقاً، منعاً حاسماً.. فبارك ذلك ومنعت وخطبوا ضدي في جميع مساجد الجمهورية! ولعنت كما لم يُلعن مسؤول في تاريخ اليمن بعد الإمام يحيي، ومد الله بعمري حتى شكرت شكراً اكثر ممالعنت ! اليمن اليوم رسميا لاتصرف دولاراً واحدا لشراء الفاكهة! في الشتاء يُسمح لبعض الفنادق بجلب التفاح بالذات، يحصل تهريب من السعودية ومن عمان! لكن الفواكه اليوم لاتنقطع على مدار السنة بسبب المناخات المتعددة في اليمن، لايمكن ان تذهب الى السوق ولاتجد فاكهة ما منتجة في اليمن مطلقاً طبعا انا اصدرت هذا القرار لانني انا زراعي وكنت اعرف ماهي امكانيات اليمن وماهي مقدرة الارض اليمنية بحكم تعلمي، فسقطت الحكومة! وكلف الرئيس عبد العزيز عبد الغني زميلي واخي، وقال له

اعمل ماتشاء إلاّ ان تلغي هذا القرار او تعديله او التراجع عنه، وتعرض الاخ عبد العزيز لضغوط شديدة من تجار كانو يكسبون مئات الملايين وهم كبار تجار الفواكه في السعودية وغيرهم، وتعرضت حكومة عبد العزيز لضغوط شديدة ولكنها قاومت ولم تمر سنتان الا واسواق اليمن عامرة. عندما جاء الأمير نايف كان البرتقال في السوق.. هل ذقت البرتقال اليمني؟

- قلت: لا والله.

اجاب: البرتقال اليمني نال اعجاب الامير كثيراً واخذ معه كمية كبيرة هدية ليأكل، لكن لم يصدق ان (هذا الموسم في اوله) البرتقال واليوسف افندي، انا حريص سيقال كمن (يهدي الثمر الى هجر).

- قلت: وانا أحدّق في وجه وزير الخارجية: قلّ لي يامعالي الوزير: من اين انت، هل اصلك من هنا؟!

واجاب : الارياني الاديب الرقيق: لا انا من محافظة (اب) قرية اسمها (إريان) قرية كانت مركز تعليم اسلامي تسمى هجرة في اليمن، إريان هي هجرة منذ مايزيد على ثلاثمائة الى اربعمائة سنة.

- قلت: هجرة! يعني ماذا؟

اجاب : هجرة معناها العلم، وعندما تأتي الحروب لايعتدى عليها.

- قلت: لابد من صنعاء وان طال السفر.. ماتكملة البيت؟

اجاب (ونقصد الشيخ الى هجرة دبر) هي هنا جنوب صنعاء والمكان معروف في سنحان..

- قلت: هي للشافعي؟

اجاب: نعم.

- قلت: ياسيدي أنا ممتن لك.

اجاب: اهلاًوسهلاً.

ثم راح يردد:

اهلا بالعلم، اهلابالمعرفة، اهلابالصحافة العظيمة، أهلاً بالمقدسي النشاشيبي.

وكان هذا في يوم السبت الواقع في ١٩٩٦/١١/٧، في صنعاء.

- وأجبته وانا اعانقه مودعاً:

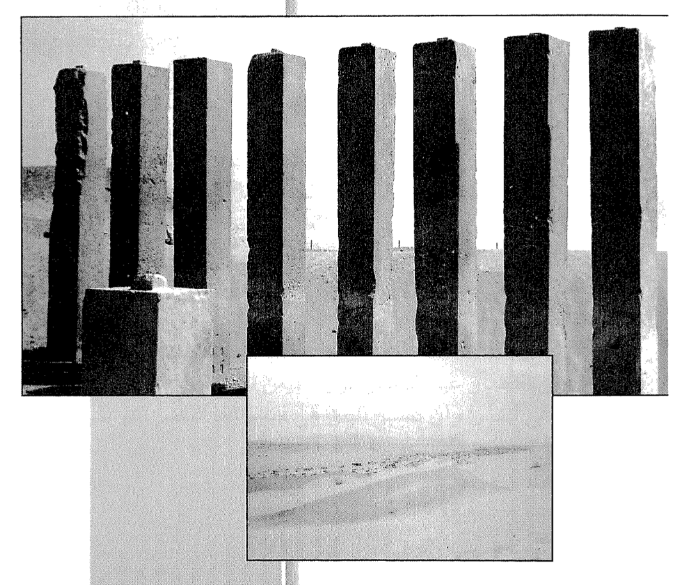
سيبقى الإرياني على قمة الدبلوماسية العربية، وفخرها!

الى اللقاء.

● ● ●

الفصل السابع

اليمن..
بلا
سياسة!



ليس ثوار اليمن هم الذين حاربوا جمال عبد الناصر، في اليمن.. ان مشكلة عبد الناصر في اليمن جاءت من صميم رجاله ومستشاريه من امثال انور السادات وعبد الحكيم عامر. الأول لم يكن يعرف عن اليمن شيئاً، والثاني اضاع الوحدة مع سوريا وارتمى في أحضان برلنتي عبد الحميد! اما بعض الملوك والرؤوساء العرب، فقد انضموا الى اعداء ثورة اليمن خوفاً على كياناتهم وعلى مصالحهم! اما الانجليز فقد كانت عيونهم على ما كان يسمى (باتحاد الجنوب العربي) وضرورة حماية من كان فيه من المشايخ والسلاطين العرب والحفاظ على وجودهم في مستعمرة عدن. يضاف الى كل ذلك دسائس شاه ايران ومؤامرات اسرائيل وكلها سهام مسمومة موجهة الى صدر الثورة اليمنية والى صدر جمال عبدالناصربالذات.. لقد ارادت امريكا، وخاصة، ليندون جونسون ان تجعل من انتصار عبد الناصر لثورة اليمن او تدخله فيها أشبه بما جرى لأمريكا في فيتنام! وان تصبح اليمن هي فيتنام عبد الناصر! ،والشيء نفسه أرادته المملكة العربية السعودية وأمراؤها.

وجاء اول مؤتمر قمة عربي عام ١٩٦٤.

ووقعت هزيمة ١٩٦٧.

وانسحبت القوات العربية من اليمن.

واذا كانت الامور تقاس بنتائجها، فان الانتصار المصري او الناصري لثورة اليمن قد حقق اغراضه.

لقد تحالف السلاح الاسرائيلي والدسائس البريطانية مع المال السعودي في الحرب ضد اليمن التي استمرت ثماني سنوات من ١٩٦٢م الى ١٩٧٠م. ومع هؤلاء وقف شاه ايران وغيره من الحكام الذين افزعتهم ثورة اليمن.

وإذا كان استنزاف عبدالناصر هو الهدف المشترك الذي جمع المتحالفين كلهم في جبهة العداء للثورة التي اسقطت آل حميد الدين من حكم صنعاء فإن الانجليز والسعوديين كانت لهم أهداف اضافية تخصهم.

فالإنجليز خافوا ان تنتقل شرارة الثورة الى الشطر الجنوبي من اليمن خاصة وأن الثوار أعلنوا في مبادئهم عزمهم على تحرير الجنوب وتوحيد اليمن..

وبالفعل انتشرت الشرارة وانطلقت ثورة الرابع عشر من اكتوبر ٦٣ من جبال ردفان بتخطيط وتدبير من صنعاء، وتواصل الكفاح المسلح الى ان اضطرت بريطانيا للرحيل عن عدن في نوفمبر ١٩٦٧م.

أما السعوديون فقد اعتبروا موضوع اليمن شأناً يخصهم ولم يكن ذلك عائداً الى ان الثورة اليمنية تحمل مشروعاً لتصدير الأفكار والمبادئ الجديدة الى الجيران، فقد كانت لديهم من المشاكل الداخلية مايكفيهم، كان همهم الرئيسي انقاذ بلادهم وإخراجها من وطأة التخلف، وكانت امكانيات اليمن من الشحة الى الدرجة التي تجعل أي تفكير بالتدخل في شؤون الغير ضرباً من الجنون والعبث.

ان السياسة السعودية إزاء اليمن تقوم على قاعدة العداء والبغضاء دون أية أسباب وجيهة. ويروى ان الملك عبدالعزيز رحمه الله اوصى أبناءه وهو على فراش الموت بأن يأخذوا حذرهم من اليمن وألاّ يدعوها تستقر أو تهدأ. وربما كانت الظنون والمخاوف تخامره من أن استقرار اليمن وقوتها ستشجع شعبها على الاقتصاص من آل سعود واسترجاع

الأراضي التي احتلها الملك الراحل عبدالعزيز اثناء حربه مع الإمام يحيى في ١٩٣٤م.

وقد مر حوالى ثلاثون عاماً منذ تلك الحرب واليمن سادرة في غياهب التخلف أطمأن حكام الرياض فيها الى ان جارهم الجنوبي غارق في نوم عميق، ثم قامت ثورة ١٩٦٢م. ففجرت المخاوف وايقظت ذاكرة آل سعود بوصية والدهم الراحل فهبوا لإسكات صوت الحرية في صنعاء، واحتضنوا اسرة حميد الدين، وفتحوا الخزائن لإذكاء الفتنة واشعال الحرب على شعب اليمن.

والواقع ان نصرة جمال عبدالناصر لثورة اليمن كانت نتيجة وليست سبباً للتدخل السعودي فالموقف السعودي هو الذي فجر الصراع اليمني ابتداءً. وقد فتح هذا الموقف العدائي الباب أمام تدخل القوى الأخرى خصوصاً بعد أن بادرت مصر الى الرد على التدخل السعودي. وتولت اسرائيل ومخابراتها شراء المرتزقة وترحيلهم الى جبال اليمن بينما تكفلت السعودية بالتمويل بالمال والسلاح والعتاد.

ولاشك ان حرب اليمن استنزفت مصر وارهقتها مثلما ارهقت اليمن بالطبع، لكن الشعب اليمني استطاع أن يحرز الفوز وينتصر لثورته ونظامه الجمهوري بعد ان قدم التضحيات الجسام وسطر البطولات الخارقة.

لقد انتهى عصر الظلام في اليمن، وانهارت اسرة حميد الدين، في شمال اليمن وانتصرت الثورة والجمهورية وتحقق لجزء آخر من اليمن الاستقلال من الاستعمار البريطاني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م بعد ان جثم على صدر الشعب اليمني اكثر من ١٢٩ عاماً..

ثم دارت الأحداث ولم يتوقف التآمر السعودي على اليمن حتى جاء علي عبدالله صالح وحرر القرار اليمني وانتزعه انتزاعاً من عباءة السعوديين.

ويبقى رئيس اليمن، مثالاً رفيعاً وسامياً في الدعوة الى التضامن

العربي، وفي الحرص على العلاقات الأخوية بين الأشقاء العرب..
إنه يتسامح وينسى .. من اجل العرب.. كل العرب!
وهو يدعو ويزور ويراسل، من اجل العرب.. كل العرب.
وهو يصرخ ويمد يده ويناقش.. من اجل العرب.. كل العرب.
وهو يهنيء ويقابل ويجتمع ويتكلم.. من اجل العرب.كل العرب!
انه هناك، في قلب اليمن السعيد، مهد العرب الأول على شواطئ البحر الاحمر، وباب المندب، وبحر عمان ورمال الربع الخالي، لايكل ولايمل، وهو يفسر الامور، ويعلن الحقائق، ويضع كل نقطة فوق كل حرف..!
والرجل واضح جداً في كل مايتعلق باتجاهاته ومواقفه تجاه الأخ العربي الشقيق في الخارج، أو تجاه المواطن في الداخل ...
– سألوه في اكتوبر عام ١٩٩٤كيف تردون على الانتقادات الامريكية في شأن تعاونكم مع العراق؟
وأجاب (لقد ابلغنا) الاصدقاء في الولايات المتحدة بأنه ليس هناك تعاون مع العراق يتجاوز مانصت عليه قرارات الأمم المتحدة.
والمعنى واضح وهو ان اليمن يرضى ان يحترم القرارات الدولية تجاه بلد شقيق كالعراق، ولكن احدا لايستطيع ان يفرض عليه كيف يتعامل مع بلد عربي شقيق.
وفي رسالته الموجهة الى الحكومة اليمنية الجديدة في اكتوبر ١٩٩٤لم ينس علي عبد الله صالح ان يضع التضامن العربي والاحترام المتبادل في العلاقة بين الدول العربية، ومع الاشقاء والاصدقاء، مع عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير، وتشجيع ومساندة وتأييد مبادرة التضامن العربي ومعالجة الخلافات والمشاكل التي مازالت عالقة بين ابناء الامة العربية الواحدة...، أقول لم ينس رئيس اليمن علي عبدالله صالح ان يُضمن رسالته الى حكومته الجديدة مثل هذه الثوابت الوطنية والقومية التي تنبع من إيمانه بالتعاون والتنسيق العربي، وعلى اعلى المستويات.
وفي حديث مطول وشيق وصريح الى صحيفة العربي المصرية

(والشـرق) القطرية عـاد الرئيس علي عـبـد الله صـالح وقـال في يوم ١٩٩٤/١١/١:

- لقـد وقفت دولة (قطر) الـى جانب شعـبنا وسـاندت الوحـدة مـعنوياً وإعلامياً وسياسياً وكان موقفها مبدئياً ورائعاً ومحل تقدير الشعب اليمني.. وكثير من الاشقاء حتى شعب المملكة العربية السعودية كان مسانداً للوحدة اليـمنيـة. لـيس هناك اي شعـب عـربي نشك في انه لايحب ان يرى اليـمن موحداً. كـانت كل شعوب امتنا العـربية تضع اياديها على قلوبها خوفاً على الوحدة اليمنية لانها الشمعة المضيئة في حاضرنا العربي الرديء!

- وعندما سألوه عن مصر، اجاب:

- كـان مـوقف مصـر إيجابياً من الوحـدة، ينطلق من عـمق العـلاقة التـاريخيـة والخاصـة التي عمدّتهـا ارواح الشهـداء والدماء. فلمصر فضل كبير في انتصـار الثورة ولولا جيش مصـر وشعب مصـر وثقافة مصر لما انتصرت الثورة.

ولقد انتهز رئيس اليمن كل فرصـة، وكل مناسبة، وكل عيد ديني، وكل مـوقف قومي، لكي يشيد بالعـلاقات الاخـوية التي تربط السعودية باليمن، مطالباً بإيجاد حل سريع لمشكلة الحدود! وكان في كل حـرف نطق به وفي كل عبارة جـاءت على لسانه، مثالاً للدبلوماسـي الرقيق، والمواطن القومي، والشقيق الرؤوف، والجار المساعد، مؤكداً (مرة بعد مرة) ان اليمن يعطي اهمـية اكبر للعـلاقات الاخـوية الحـميدة التي تربطه بكافة اشقائه، ومؤكداً ايضاً النهج المعلن في التمسك بالسلام والحوار والتفاوض السلمي كأسلوب أمثل وحيد لحل الخـلافات بين الاشقـاء، والعمل دومـاً على ما يجنب ابناء الامة العربية الواحدة، ويلات الحـروب والدمار.

هذا هو علـي عبـد الله صـالح. في تفـهـمـه للسيـاسـة، وفـي ممارستـه للمسؤولية وفـي جهده من اجل التضامن والتعاون بين العرب.

قالها بصراحة ان لامستقبل واضح لأمتنا العربية الاسلامية خارج اطار التضامن.! وسمعناه يقول للفريق أول الركن محمد صالح الحماد رئيس هيئة اركان الجيش السعودي واللواء عبدالله علي عليوه رئيس الاركان اليمني انتم تمثلون جيشاً واحدا.. نعتز بكم جميعا ونحرص عليكم جميعا، وواثقون من انكم ستكونون عند حسن الظن بكم، وان شاء الله لانرى ولانسمع الاالخير لمافيه مصلحة البلدين الشقيقين الجارين وازدهارهما.

هذا كلام كبير من رجل كبير.

فلقد وقفت اليمن دوماً الى جانب الحق العربي ولم تتردد عن الاقدام في اتخاذ المواقف المبدئية الثابتة المؤيدة للقضايا العربية ولحق الأمة العربية في الوجود الفاعل في محيطها الدولي. وكانت اليمن في الطليعة دوماً لاتساوم ولا تفرط في حق الأمة والوقوف الى جانب الاشقاء العرب ومناصرة قضاياهم وتقديم الدعم القومي الكبير الذي لم تبخل اليمن به ابداً سواءً بالمال او الروح او الدم أو بالموقف السياسي الواضح والقوي الذي كلف اليمن في بعض الأحيان ثمناً باهظاً ومع ذلك فان اليمن ظل وفياً لمبادئه وايمانه العميق بعروبته وقوميته وصلباً في موا جهة التحديات مهما كانت..

ومرة أخرى، هذا هو علي عبد الله صالح...

اذاجاء على ذكر مصر، لايتردد في القول ان العلاقات مع مصر ودية وتاريخية .. وان مصر هي العمق الاستراتيجي لليمن..!

واذا جاء على ذكر العراق، لم يتردد ولم ينسحب ولم يخف شيئاً بل هو يقول وبالفم المليان وبالحرف الواحد : ان العراق قطر شقيق وعلاقتنا معه اخوية وتاريخية وفي اطار نفس العلاقات التي تربطنا مع كل الاشقاء.. مع الحرص على التضامن العربي..فقد أكدنا دوماً– والكلام للرئيس اليمني في منتصف عام ١٩٩٥– موقف اليمن من أنه لايمكن حل المشاكل بين الاشقاء بالقوة، بل بالحوار والتفاهم.. ولقد شجب الاخوة في

العراق الانفصال وايدوا الوحدة بالموقف السياسي والمساندة الاعلامية، وهذا موضع تقدير شعبنا اليمني!.

انه رجل مسالم يصيح بأعلى صوته أن من يفكر بالحرب رجل غير طبيعي لان الحرب لاتأتي ابداً بنتائج ايجابية بل تخلف الدمار والدماء والأحقاد.!.

إنه رجل لايفرط ولايستسلم ولايركع وإنما يقول لجريدة (السفير) اللبنانية في حديث صحفي عن مسيرة السلام:

- (اليمن مع السلام العادل والشامل الذي يكفل إنهاء الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية في فلسطين، وجنوب لبنان وهضبة الجولان واستعادة الحقوق العربية المشروعة حتى يسود السلام الحقيقي والعادل في المنطقة..!)

ثم يضيف:

- (في ظل غياب التضامن العربي سيظل موقف اي قطر شقيق ضعيفا وغير قادر على التأثير وعلى فرض نفسه لما فيه مصلحته، ومصلحة الأمة العربية؟؟).

وبعد..لااعرف رئيساً او ملكاً عربياً او مسئولاً مسلماً او حاكماً شرقياً دعا الى (التضامن) والمحبة والتعاون والتسامح كما فعل ومايزال يفعل الرئيس اليمني- علي عبدالله صالح..!!

كلامه منطقي معقول عندما يقول وبالفم المليان: (بالأحرى ان يتم الحوار بين العرب انفسهم، اي ان تتحقق المصالحة العربية في المقام الاول ثم نأتي الى مسألة السلام مع اسرائيل.. وكيف يكون من الصعب التقاء الاشقاء وتفاهمهم وتواصلهم في الوقت الذي يتواصل فيه اللقاء مع اسرائيل التي تربي هذا الجيل على خصومتها او على تربية معينة تجاه القيم الاسرائيلية..)

●●●

الفصل الثامن

وزير
عسكري..
مدني..
يتكلم!
صواريخ..



هذا شاهد عيان على المعارك والأحداث والنتائج..

انه وزير الدفاع اليمني السابق، ووزير النقل الحالي، العميد الركن عبدالملك السياني وقد قلت لوزير الدفاع اليمني السابق الذي احب بلده وأخلص لجيشه وشارك في معاركه وحروبه..

- حدثني اولاً عن الرئيس ثم عن قصة تلكم الأيام التي سبقت اشتعال شرارة الحرب بين الوحدويين والانفصاليين؟.

فأجابني الوزير وهو يبدأ القصة من أولها:

(سأحدثك أولاً عن بدء معرفتي بالرئيس.. انا لست من خريجي الكلية الحربية، بل انا من خريجي كلية الشرطة،في عام ١٩٦٥م لكنني عملت في وحدات عسكرية في المعارك المختلفة، ثم التحقت بالقوات المسلحة بدورة أساسية لسلاح المشاة بالمركز الحربي لتأهيل القادة بتعز ومع التدرج اصبحت مديراً للأمن العام، وعندما تولى الاخ الرئيس مسؤوليات الرئاسة في عام ١٩٧٨م ومن خلال معرفتي الطويلة بالرئيس وخبرتي في العمل معه استطيع التأكيد -وهذا أمر معروف للجميع في اليمن- أن فترة حكم الرئيس علي عبدالله صالح مليئة بالعطاء والانجاز لليمن، رغم أن الظروف التي احاطت باليمن قبل وأثناء توليه مسئولية الرئاسة كانت من الصعوبة بحيث

كـان المضي بالوطن اليمني الى بر الأمان والتنمية والاستقرار والوحدة اشبه بالسباحة ضد التيار، فقد كانت السهام تطلق على اليمن من كل مكان بهدف زعزعة الاستقرار فيها، حيث كان الماركسيون فيما كان يسمى بالجنوب يشنون حروبهم غير المعلنة، بالعديد من المسميات الكذابة كالجبهة الوطنية و الشعارات الخادعة التي مارسوا تحتها اعمال القتل والتنكيل بالمواطنين الأبرياء. وكانت الأحداث في عام ١٩٧٨م على اشدها، منذ عام ١٩٧٨م الى عام ١٩٨٣م كانت البلاد تمر بأدق المراحل واصعبها وكان الرئيس قد تحمل المسؤولية بينما تهرب منها كثيرون غيره لأن الاقتراب من كرسي الرئاسة كان يعني الإقدام على مغامرة غير محسوبة النتائج وبخاصة بعد أن فقدت اليمن في فترة زمنية متقاربة رئيسين هما ابراهيم الحمدي واحمد الغشمي. وكانت الاجواء بعد مقتلهما في صنعاء عاصفة لا يتضح شيء سوى ان اليمن تمضي الى مستقبل مجهول محفوف بالمخاطر والتحديات، ولكن الرئيس حمل الأمانة بكل شجاعة وواجه التحدي بكل ثقة ورضا بالفداء في سبيل الوطن بكل راحة ضمير. في حين كان حكام الشطر الجنوبي ينشئون الجبهات السرية وينظمون الشلل الشيوعية في المناطق الوسطى في محافظة (اب). وغيرها من اجل الاستيلاء على السلطة وبسط النفوذ الشيوعي في اليمن كلها تحت مفهوم ساذج ومسمى عجيب (توحيد أداة الثورة) من اجل توحيد الوطن بحسب زعمهم بينما كان هدف قادتهم الحقيقي هو إضعاف النظام في شمال الوطن لإسكات صوت الوحدة العاقل. وبدأ الرئيس يبني الجيش ويوحد صفوفه ويشيد بنيته ويعزز وجوده، بينما الشيوعيون يمعنون في التآمر والدس والتخريب! حتى وقع الانقسام المعروف في صفوف الحزب الاشتراكي في ١٣ يناير عام ١٩٨٦م يوم اقتتل الرفاق في الحزب وحدثت كوارث ومآسي يشيب لهولها الولدان، ورغم الإغراء بالتدخل إلا أن الرئيس علي عبدالله صالح رفض ان يتدخل في تلك

الأحداث، ورفض ان ينتهز الفرصة لان نظرته الى ماكان يجري هناك كانت اكبر من ان ينزلق الى استغلال الكارثة وصب المزيد من الزيت في نار المأساة لأن قناعته أن الوحدة لا يمكن أن تحقق بالمآسي والدماء، وأن القيام بعمل عسكري ما في ذلك الوقت لتوحيد اليمن بالقوة يمكن أن يتسبب في حدوث شروخ في الوحدة الوطنية وهو الأمر الذي يخشاه ا لرئيس منطلقاً من ان الوحدة الوطنية هي الضمانة للوحدة والقوة المدافعة عن الوحدة الجغرافية للأرض اليمنية.

وهذا المبدأ هو نقيض للتفكير الاشتراكي والنهج الذي اتبعه في التعامل مع القضايا الوطنية فالرئيس كان يؤسس للناس وللبلد خطوات الوحدة وقادة الحزب الاشتراكي يتآمرون ويدفعون بالسلاح والمال للتخريب والافساد.. لقد مرت تلك الاحداث بالكثير من الضحايا وسيطر جناح (علي سالم البيض) لكنه كان في الوقت الذي بدأ فيه الفكر الاشتراكي بالعد التنازلي باتجاه الأفول.

ولم يعد أمام الانفصاليين الاشتراكيين، بعد أن انهارت المنظومة الاشتراكية التي يستندون اليها وا صبحت أثراً بعد عين وتساقطت الأحزاب الشيوعية في العالم واصبح قادتها يحاكمون او يعدمون او يصدرون للمنافي لم يكن امامهم سوى القبول بالوحدة او مواجهة الانفجار! لقد ذهب الرئيس الى عدن فوجد الجماهير في يوم ٢٩ نوفمبر من عام ١٩٨٩م محتشدة تنادي بالوحدة، وفي ٣٠ نوفمبر جرى التوقيع في عدن على اتفاق الوحدة وفي ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م قامت الوحدة وكانت بالنسبة للحزب الاشتراكي اشبه بالهروب الى الأمام، انه -أي الحزب- لم يشأ ان يقبل الوحدة، ولم يرفضها، ولم يرتح لفكرتها، كان الحزب الاشتراكي مطمئناً الى شمولية السلطة عنده،فكلمة الحزب هي العليا ولاصوت يعلو على صوت الحزب، ولكن عندما رأى ان المجتمع اليمني والإرادة الشعبية تريد الوحدة، اذ به يوافق مكرهاً عليها، ولكن لم ينقطع عن التآمر عليها، لأنهم في واقع الحال لم يستطيعوا التكيف مع

عقيدة الشعب وقيمه فكانت إرادتهم الاستمرار في قهر الشعب تحت حكم ونظام الشمولية وعندما لم يحالفهم الحظ فقد رضوا بالوحدة بألسنتهم وحاربوها بافعالهم، وكان الرئيس يشاهد ويدرك كل ذلك-خلال الفترة الانتقالية التي دامت ٣ سنوات، حيث استمر الاشتراكيون في تآمرهم وتخريبهم، ولكن الرئيس بقوة الصبر، و الجلد، وقوة الايمان بالوحدة، تحمل الاستفزازات المستمرة من قيادة الانفصال.. والتحايل والابتزاز السياسي، ودعا الى الاصلاح بدلاً عن التخريب لكي لاتفشل الوحدة وتعود التجزئة، وكان صبره دافعاً للتوقيع على وثيقة العهد والاتفاق في (عمَّان)، التي لم يجف حبر التوقيع عليها حتى كانوا يدفعون بالوحدات العسكرية الموجودة تحت امرتهم الى تفجير الوضع عسكرياً في منطقة دوفس بمحافظة ابين، وقاموا بتطويق لواء العمالقة، الذي كان موجوداً هناك! حينذاك الأمر الذي يؤكد وبكل وضوح ان البيض ومجموعته ذهبوا الى عمَّان للتوقيع على الوثيقة بعد أن اعطوا الأوامر للعمل العسكري، لأنهم كانوا يطمعون من وراء التفجير إلى فرض الأمر الواقع تمهيداً لمجيء لجنة تحقيق من الاردن تقرر فك الاشتباك بين القوات على اساس عودة كل الوحدات العسكرية الى ما كانت عليه قبل تحقيق الوحدة في ٢٢ مايو ٩٠م وبالتالي فرض التشطير كواقع، والأخطر ان علي سالم البيض سافر الى السعودية عقب الانتهاء من مراسيم التوقيع على الوثيقة في عمَّان، وسالم صالح محمد عضوالمكتب السياسي للحزب الاشتراكي، سافر الى الكويت، وكشفوا بذلك عن اوراقهم بالكامل في محاولة فرض الانفصال بالقوة والعودة بالأوضاع في اليمن الى واقع ما قبل ا لوحدة..)

– قلت لمحدثي: هلا افضت هنا ببعض التفصيل:

اجاب: بالنسبة لما حدث في «دوفس» بمحافظة ابين التي تبعد عن ميناء عدن باكثر من خمسين كيلو متر، كان التوقيت الذي حدد لخروج القوة الانفصالية من عدن من اللواء الخامس مدرع الذي كان يمثل لواء الاحتياط للقيادة الانفصالية ومن «لواء شمسان» مع تحرك ما أسمي

بـ«لواء الـوحـدة».. الذي كـان يـرابط حـينهـا في مـدينـة المكلا بمحـافظة حضـرمـوت وتحـرك الى مـحـافظـة ابين منطقـة دوفس مـوديه خلف لواء العمـالقة ترتيباً لمواجـهة عسكرية مع القوات المدافـعة عن الوحدة والشرعية الدستورية ذلك الترتيب المشبوه والتوقيت الذي تزامن مع مظاهر التـوقيع على مـاأسمـي بـ«وثيقـة العـهد والاتفاق» في عمّان بالأردن الشقيق وكل ذلك دل على النوايا الانفصـالية لدى العناصر الانفصـالية الذين ارادوا من خلال المعركة التي فجروها في منطقة «دوفس» ان يحققوا اولى الخطوات للعـودة الى الخط التـشطيـري السـابق وبالتـالي فـرض «واقـع مـعين» والانتقال من مرحلة المناورة السياسية الى مرحلة فرض الموقف العسكري الهـادف الى تحـقيق مكـاسب سياسـية انفصـاليـة لاسيما إذا أخذ بالاعتبار اهتـمـام الانفـصـاليين بإعداد الـوحدات التي كـانت تحت هيـمنتـهم ورفع مستواها القتالي عتاداً وتسليحاً وجاهزية بشرية وكانت حساباتهم السياسية بدءاً من «مـعـركـة دوفس» كانـت تصب في اتجاهين فقد استـغلوا الظهـور السياسي الوطني والعربي في العاصمة الأردنية عمّان أثناء توقيع الاتفاقية لتحقيق هدفهم من تحرك القوة العسكرية الى وادي دوفس، فإنهم كانوا قد خططوا أولاً للقضاء التام على لواء العمالقة في محافظة ابين والتخلص من شوكة وضعت في خاصرة المؤامرة التـي اعدوا لها لأن قوات لواء العمالقة المدافعـة عن الوحدة كان مـوقعهـا في محـافظة أبين التـي تقطع الاتصال بين مـحـافظة عـدن ومـحـافظات شبوه وحـضـرموت والمهـرة والبيضـاء ولما لم يتـحـقق الهـدف العسكري لتفـجيـرهم الوضـع عـسكرياً في دوفس فإنهم قد سـعـوا الـى لفت الأنظار العـربيـة والدوليـة للتـدخل وهم كـانوا مبـرمـجين خطتهم على ان يكون التدخل لصالحهم على الأقل بسحب «لواء العمالقة» من ابين وهذا المخطـط كـان في حـساباتهم الـعسكرية خطوة اولى تبـعـتـهـا خطوات اخرى حيث فجروا الوضع العسكري ثانياً في منطقة عمران التي تبـعد عن صـنـعاء اربعين كـيلومـتراً شـمـالاً وفـي «حرف سفيان» بمحـافظة صنعاء.

- على ذكر هذه الأحداث سألت محدثي عن رصد قيادة الشرعية الدستورية لتلك التحركات المشبوهة للانفصاليين؟

أجاب: من خلال التحركات المريبة والمشبوهة لقادة الانفصال والقوات الموالية لهم، وافتعال العديد من الأزمات التي اثارتها القيادة الانفصالية في الحزب الاشتراكي التي كانت محكومة بالمخططات التآمرية والتاريخ الأسود الملوث بكل اشكال الاحتيالات التاريخية والدسائس التي اجادت حبكها تلك القيادات المريضة اثناء تربعها على السلطة في المحافظات الجنوبية والشرقية.. تلك الممارسات كانت خالية من الثوابت والقيم أكانت دينية أم أخلاقية أو وطنية.. وإذا ماعدنا الى احداث الشغب التي نظمتها ووقفت خلفها قيادة الانفصال في الحزب الاشتراكي، وكذا انسحابات الكوادر المدنية والعسكرية التي كانت حينها تعمل في صنعاء الى عدن.. وما تلى ذلك من تعبئة وتحريض بما يخدم اتجاه الانفصال تلك الممارسات حاولت ان تنقض السعي الجاد من القيادة السياسية بزعامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة، بإعطاء الفرصة المناسبة للحوار وتحكيم العقل على السلاح، بل على العكس وجدوا في التسامح والعقلانية فرصتهم لمواصلة استفزازاتهم بطرق ملتوية ومتعددة. وحالوا بسلوكهم العدواني دون النجاح المطلوب من اجتماع الحكومة في مدينة عدن حيث اعقبوا الاجتماع مباشرة بتأزيم وتفجير الوضع في بيحان منطقة السليم بمحافظة شبوة، وعندما اجتمعت الحكومة مرة ثانية في مدينة تعز عملت القيادة الانفصالية على تفجير الموقف العسكري في مدينة ذمار.. وبدا الهدف واضحاً من تأزيم وتفجير الموقف العسكري في اكثر من مكان لافشال الحوار وقطع خط العودة لالتئام المؤسسات وتطبيع الحياة بشكل عام في البلاد وهنا بدأ التصعيد للأزمة من خلال العمل السياسي والعسكري.

- ويواصل محدثي كلامه:

عندما نعود لنستقرئ تلك الأحداث وتصاعدها ندرك ان القيادة السياسية كانت على بينة ومتابعة جيداً ما تخطط له العناصر الانفصالية خطوة خطوة على مستوى الداخل والخارج على حد سواء، فكما كانت حلقاتهم التآمرية مفضوحة كانت -في نفس الوقت- تحركاتهم في الخارج مرصودة ومكشوفة سواء من خلال شرائهم كميات هائلة من الأسلحة والعتاد، والدليل على ذلك الطائرة المدنية التي تم التحفظ عليها في مطار الحديدة التي كانت تحمل معدات عسكرية واجهزة اتصالات وتصنت حديثة.

(... لقد تبين للجميع ان هؤلاء الناس المتشدقين بالوطنية والنظالية ماهم الاّ مجموعة من العملاء الخونة لم يكونوا مع الوطن ولا مع الوحدة ولا مع الشعب وإنما كانوا اعداء للشعب وللوحدة وللوطن..)

واتذكر جيداً في يوم ٢٧ ابريل او كما نسميه يوم العرس الديمقراطي.. او يوم الديمقراطية.. وهو يصادف الذكرى الأولى لانتخاب الشعب للمجلس النيابي، اذ بهم يفجرون الموقف عسكرياً في منطقة (عمران) بالقرب من صنعاء حيث تتواجد فيها قوات لواءين عسكريين مدرعين هما اللواء الأول مدرع واللواء الثالث مدرع الذي خضع لسيطرة الحزب الاشتراكي وقيادته الانفصالية واشعلوا الفتنة بين تلك القوات باستغلال حضور اللجنة العسكرية المشتركة، واشتبك اللواءان المدرعان المتعسكرين في موقع واحد، ودارت واحدة من اشرس معارك الدبابات في التاريخ العسكري المعاصر، حيث تطاحنت الدبابات في ساحة المعسكر الضيقة حوالى ٣٠٠٠دبابة حديثة وعربة مدرعة وفي اضيق مساحة، إلا انهم باءوا بالفشل بينما كانوا يحلمون بالنصر لقد كان ظنهم السيء أن هناك عناصر موالية لهم في المنطقة ستظهر لكي تدعمهم في تنفيذ مخططهم الانفصالي، ولكنهم باءوا بالفشل لأن جميع أبناء الشعب بفئاته المختلفة وعلى عموم ربوعه تمسكوا بالوحدة! وتم اخماد الفتنة بفضل

تلاحم الشعب مع قواته المسلحة!.. وجاءت المبادرة التي كانت مثال تقدير الشعب بأكمله، عندما ذهب الرئيس بنفسه الى مسرح المعارك وأطلق الجنود والضباط والصف المغرر بهم من قبل العناصر التي اشعلت الفتنة رغم مشاركتهم في القتال، واعطى مبالغ مالية للضباط والجنود وأمر بتسليحهم واطلاق سراحهم وترحيلهم على الباصات الى مناطقهم وقدم الهدايا الرمزية وقائلاً : (اذهبوا انتم في اجازة امضوها بين اهاليكم ثم عودوا الى معسكركم فأنتم ابناء وطن واحد، وما كان ينبغي للذي حدث ان يحدث بين اخوة السلاح وزملاء الواجب..).

- ولقد دفع شعبنا ثمناً باهظاً لهذا الخطأ من الشهداء والجرحى الأمر الذي كان يفرض ان يجعل هؤلاء يتعظون بعدم تكراره.

واذ بهذه المكرمة من الرئيس علي عبدالله صالح تؤدي الى تغيير الموازين في جميع انحاء البلاد، حيث عاد الأفراد والضباط من اللواء الثالث مدرع سالمين الى اهلهم في الوقت الذي كانوا يتوقعون التصفية الجسدية بحسب ماتعودوا عليه في الصراعات الحزبية التي سادت ابان الصراعات التي جرت أثناء حكم الحزب الاشتراكي حيث كانت تتكرر دورات الدم التي اعتادها الحزب الاشتراكي في الفترات السابقة.

لقد كان لهذا التسامح أثره الكبير ليس فقط في نفوس الجنود واهاليهم وانما على مستوى الوطن ككل وخصوصاً عند أولئك الذين كان الاشتراكي يراهن على فعلهم عند اندلاع المعارك، كأحد عوامل الحسم لصالح الانفصال، فمثلت هذه الخطوة ثم من بعدها قرار العفو العام الذي أعلنه الرئيس في الأيام الأولى من الحرب أذكى الضربات لمحاصرة الانفصال شعبياً ونبذ المتآمرين كمجموعة محدودة وفاقده للشرعية مهما كان حجم الدعم وهول المتآمرين.

(... في ذلك الوقت كان الاشتراكيون في عدن يذيعون كذباً بأن الجنود قد سقطوا وقضوا نحبهم بأيدي قوات علي عبدالله صالح، واذا بهؤلاء الجنود يعودون سالمين.. فرحين الى اهلهم!)

ورغم ذلك، فقد قرر الاشتراكيون الانفصاليون تفجير الموقف. من جديد في (ذمار) حيث كان يرابط لواء باصهيب الميكانيكي الذي كان يأتمر بأمر الحزب الاشتراكي الذي كل يرفض دمج القوات المسلحة والأمن وظل حريصاً على إبقاء القوات التابعة له منفصلة عن القوات المسلحة، وغذاها بالأكاذيب والافتراءات والتعبئة الخاطئة لتكون سوطاً بيده مصلتاً على رقبة الوحدة ودولتها الناشئة.

(...وفي نفس الوقت أكملوا المؤامرة بتفجير الموقف في عدن عبر العدوان على وحدة صغيرة من الأمن المركزي وافراد الشرطة العسكرية وكذا في بقية المحافظات الجنوبية والشرقية، وفرضوها حرباً شاملة على الوطن..)

وكانت الحرب يوم ٤ مايو ١٩٩٤م..!!

لقد كانوا يملكون ترسانة كاملة من الاسلحة المختلفة مكدسة في جميع المحافظات الجنوبية والشرقية، كدسها لهم الاتحاد السوفيتي على مدى سنين طويلة.. بالاضافة الى ما كان يصلهم من اسلحة حديثة مولها لهم بعض (الاطراف العربية التي ساندت الانفصال للأسف) وكانت تشمل طائرات ميج ٢٩ الحديثة وصواريخ (سكود)- وغيرها، أرادوا من خلالها فرض الانفصال بالقوة!

التهويل الكبير من الوحدات العسكرية الموالية للانفصاليين، الذي روجته الابواق الاعلامية للحزب الاشتراكي خلقت هلعاً لدى الاوساط الشعبية وفعلاً كانت القيادة الانفصالية للحزب الاشتراكي ماتفتأ تلوح بذلك الجيش الشطر معتبرة ان العتاد والسلاح الحديث كفيل بترجيح كفتها ويهيء لها فرصة المراوغة السياسية والمقايضات بالمواقف المبدئية.. وغاب عنهم ان عدالة القضية والمبدئية والشرعية الشعبية والدستورية هي أكبر من ترسانة الأسلحة..

اذ عندما حدثت المواجهة مع قوات الانفصاليين ارتعدت فرائصها واندحرت تباعا على طول خطوط القتال وبعد ثلاثة وستين يوماً تقريباً

من ٤ مايو ٩٤م، الى ٧ يوليو ٩٤م كانت القوات المدافعة عن الوحدة والشرعية تحقق انتصارات حاسمة وكانت الخسائر في صفوفها محدودة.

- ويواصل العميد الركن عبدالملك السياني حديثه :

الشيء الذي يثير الأسى هو إقدام القيادات الانفصالية على نهب وتدمير المنشآت الأساسية وتركوا الارض خلفهم وهم يندحرون يباباً.. وخراباً.. فحسب التقديرات كلفت الحرب التي فجرها الانفصاليون حوالي ١١ مليار دولار.. اذ بادر زعماء القيادات الشيوعية الانفصالية الى اطلاق صواريخ سكود على الاحياء السكنية في محافظتي صنعاء وتعز وتدمير محطات الكهرباء ومصافي النفط والطرق والجسور واذاعة عدن وابنية ومنشآت عامة وسيارات عامة وخاصة حتى منازل المواطنين الابرياء لم تسلم من تدميرهم!!

لقد دمروا كل شيء واحرقوا كل شيء.

ولقد تحمل الاخ الرئيس القائد مسؤولية تطبيع أوضاع الحياة العامة في البلاد مترفعاً فوق كل الجراح منطلقاً من إيمانه وقناعاته الاكيدة ان اليد القوية الحانية هي التي ستبني مادمر.. وان التسامح طريق صعب ولكنه ضروري لترميم النفوس قبل ترميم المنشآت.

وانهى الوزير كلامه قائلاً لي:

كانت النتائج، كما كانت التطورات، كلها كما يتمنى الاخيار والابرار من قادة هذا الشعب! لقد كان الانفصاليون يحلمون بإعادة عجلة التاريخ للوراء ففشلوا. وبعد ان فروا هاربين عبر البحر او البر يجرون وراءهم اذيال الخيبة والهزيمة والعار روجوا بأن الوحدويين سينتقمون ممن حارب في صفوف الانفصاليين، ولكن بينما كان لهيب الحرب مستعراً اصدر الرئيس علي عبدالله صالح قراره الحكيم بالعفو العام عن كل من غرر بهم واستفاد منه الكثيرون منهم،ثم انه لم يكد ينقضي على الحرب، وانتهاء القتال بضعة اسابيع حتى فتح الوطن ابوابه لاستقبال كل الفارين الى خارج الحدود.

- قلت اسأل: حتى الذي اسمه (البيض).. هل عاد معهم الى البلاد؟.
وصرخ الوزير قائلاً:
(مطلقاً). هذا الرجل مجرم حرب وهو مازال على موقفه المخادع الانفصالي والمتآمر، حتى يومنا هذا..! وحتى اليوم لم يصدر عن هؤلاء الناس كلمة واحدة تدين الانفصال ثم انه فار من وجه العدالة ومطلوب للمثول امامها.
(..وكنت انا- والكلام مازال لوزير الدفاع الذي اصبح اليوم وزيراً للنقل- قد عينت رئاسة الأركان عام ١٩٩٣م أي قبل الحرب بشهور قليلة- وأديت واجبي في الدفاع عن الوحدة والشرعية الدستورية في وطني .. ومن المواقف التي لا انساها في تلك الحرب وأرويها للتاريخ ان علي عبدالله صالح وقبل ان يحسم الموقف العسكري بثلاثة ايام فقط، وبينما كانت قوات الوحدة على مشارف مدينة عدن وبالقرب من سور المطار اتصل بهيثم قاسم طاهر الذي كان الى ما قبل الحرب وزيراً للدفاع في دولة الوحدة وقال له: (كفى قتالاً بين الاخوة ونزيفاً للدم ليتوقف القتال حافظ على ماتبقى، وتعالى للتفاهم، كما يتفاهم الرجال المحاربين الشرفاء)! ولكن (هيثم)أجاب بكل صلف: (يوجد رئيس لي عليك التفاهم معه)! فأجابه الرئيس: من رئيسك؟ قال: البيض.. قال له الرئيس: ولكنه هارب اين نجده.. ولم يدر ان رئيسه قد هرب لعمان بالبر، وبعد ثلاثة ايام هرب هيثم هو الآخر الى جيبوتي بسفينة أجبر قبطانها على التحرك بمجموعة الانفصاليين المهزومين.. واستراح اليمن من شرور.. (البيض) وزمرته الانفصالية..
- قلت لمحدثي: وما هو سر هذا المسمى بالبيض؟ اعني من هو؟ وماهي حقيقته؟.
واجابني قائلاً: (البيض) رجل مريض يشكو من انفصام الشخصية.. (الشيزفرانيا) انه متقلب في افكاره، وفي قراراته.. وثقافته محدودة- بل هي محددة باللون الشيوعي الشمولي، حتى في الخُطب التي كان

يلقيها في المناسبات كانت ملأى بالعبارات الشاذة وهو يشكو من عقدة الانفصام الشخصي والسياسي والتي تدلل عليها سلوكياته وتعامله مع من حوله..!

- (حتى في حياته الخاصة، كان الحزب الاشتراكي قد قرر فصل (البيض) من عضويته لانه خالف القوانين المتبعة يومذاك وتزوج من امرأة اخرى غير زوجته! وجاء الامر بفصله حزبياً وتنحيته من المنصب الحكومي يحمل توقيع الرئيس الأسبق علي ناصر محمد الذي قاد الدولة والحزب خلال النصف الأول من الثمانينات حتى احداث يناير ١٩٨٦م، لقد كان (البيض) رجلاً غريباً في تصرفاته وفي اقواله تحكمه عقد مزمنة لذلك لم ينل رضاه شيء..)

- قلت: ترى الم يكن بين افراد هؤلاء الانفصاليين الاشتراكيين الشيوعيين مواطن يمني واحد يتسم بالاعتدال او الانسانية او الخلق الرضي؟!

واجاب قائلاً:

والله هناك عدة شخصيات كنا نرجو فيها الخير وندعوا الله ان يبعدها عن دنيا هؤلاء الشيوعيين..

- سألته: وماهي اهم المعارك التي تواجه اليمن حاليا بعد ان انتصر لوحدته؟.

اجاب: ان أهم المعارك التي تواجهنا حالياً هي معركة البناء والتنمية والخروج من المأزق الاقتصادي الحالي الذي ورثناه من هؤلاء الانفصاليين الذين حمّلوا الاقتصاد الوطني اعباء كبيرة.

- سألت: وهل تعترف لي بأن هناك ازمة اقتصادية في البلاد؟.

اجاب بلا تردد.. طبعاً..! إن الحرب التي جرت قد تركت آثارها السلبية على اقتصاد البلاد! لقد بلغت تكاليفها وخسائرنا منها تزيد عن

(١١) احد عشر مليار دولار..!

- قلت: وكيف تفكرون بتسديد هذه الخسائر..؟

قال: (انها ليست ديوناً.. وانما هي خسائر في المباني، وفي العتاد وفي انهيار العملة. لقد دخل الاشتراكيون الوحدة وسعر الدولار يساوي ٩ ريالات ولكن مع الازمة والحرب والمماحكات وصل سعر الدولار الى حوالى مائة وعشرين ريالاً، لقد اضعفوا قيمة الريال عن قصد، وذلك في تمسكهم بالموارد الاقتصادية التي تحت ايديهم فيما كان يسمى بالشطر الجنوبي.. ومع ذلك فهناك جزء كبير من الموارد توجه لإعادة بناء ماخربته الحرب وقد تم اعمار الجزء الأكبر من المنشآت التي دمرت، كما قامت الدولة بتعويض المواطنين الذين تضرروا وهدمت منازلهم أو سلبت ممتلكاتهم) من قبل الحزب.

- سألته: وماهي تلك الموارد؟.

اجاب: الموانئ والاسماك والمطارات والطيران، والملاحة البحرية.. وكلها كانت تدر عليهم موارد كبيرة.

- وماذا عن البترول؟.

اجابني: البترول موجود في المحافظات الشمالية قبل الوحدة في منطقة مأرب وقد اكتشف في المناطق الجنوبية والشرقية بعد الوحدة، بينما قبلها لم تكن هذه الثروة معروفة لقيادات الاشتراكي ورغم اعتقادهم بوجودها الاّ أن الشركات السوفيتية التي عملت فترة طويلة في المناطق الصحراوية تحت مسمى (مشاريع النفط اليمنية - السوفيتية) لم تحرز نتائج اعمالها أي شيء مؤكد.. وقد كان انفتاح الجنوب بعد الوحدة واصرار الاخ الرئيس على البحث عن الثروات المعدنية مشجعاً للشركات النفطية العالمية التي تدفقت للحصول على مناطق امتياز للتنقيب، على أن النتائج الاولية التي اعلنتها الشركات عن المخزون النفطي كانت احد الاسباب التي

دفعت قيادة الاشتراكي للاسراع في الاجراءات المؤدية الى عودة الاوضاع الى ماقبل ٢٢ مايو ١٩٩٠م لانه كان يدور في خلدهم بأن الثروة النفطية المكتشفة يمكنها أن تحل محل المساعدات التي كانت تقدمها موسكو وتخلت عن تقديمها مع بدء انهيار المنظومة الاشتراكية.

وقد صارع الحزب على الاحتفاظ بحقيبة النفط والثروات المعدنية في الحكومة التي تشكلت عقب قيام الوحدة.. ومن خلال الوزير الاشتراكي صالح ابوبكر بن حسينون مارس الاضرار بالوطن بعدة طرق منها:

عرقلة الشركات العاملة القريبة من انتاج الثروات النفطية والمعدنية وتصديرها.

وفرض رسوم وإتاوات على الشركات المتقدمة للحصول على مناطق امتياز ذهبت الى حسابات الحزب وقياداته.

كما قام بتجيير جزء من عائدات النفط في حساب خاص لتمويل مخطط الانفصال.

– قلت لمحدثي: حرص الشعب اليمني على الولاء لقيادته السياسية في مواجهة الانفصال..هل ثمة دور شعبي مساند للقوات المسلحة في مواجهة الانفصال؟

أجاب: في تقديري ان المؤامرة الانفصالية لم تكن وليدة لحظتها في ٩٤م، وفي تقديري أن المؤامرة على الثورة اليمنية ٢٦سبتمبر و١٤ أكتوبر والوحدة قد مرت عبر ثلاث حلقات: الحلقة الاولى في سلسلة هذه المؤامرة هي: التآمر ومحاولة ضرب النظام الجمهوري والثورة اليمنية التي من ضمن اهدافها الستة تحقيق الوحدة اليمنية.. اما الحلقة الثانية في سلسلة المؤامرة تمثلت في اعقاب قيام الجمهورية

اليمنية عام ٩٠م وماأستتبع ذلك من ادخال الشعب والوطن في متاهة الفترة الانتقالية ودائرة الازمات المفتعلة وتتويه والهاء الشعب عن المهام الاساسية في بناء دولته الفتية وتحديث القوات المسلحة واعادة بنائها على أسس وطنية وعلمية تخصصية وتواصلت هذه الحلقة حتى أقدم الانفصاليون على تفجير الوضع العسكري وشن حرب ضد الشعب وقواته المسلحة والأمن وضد أهم أهدافه في وحدته واستقراره.

– ويواصل العميد عبدالملك السياني حديثه:

الحلقة الثالثة في المؤامرة : تتمثل في ذيول المؤامرة في التخريب النفسي ومحاولة «سرقة الانتصار» والانتقاص منه وهو ماتمارسه بعض الصحف التي لاتستشعر مسؤوليتها الوطنية وماتقوم به من نشر للاراجيف وتزييف الوعي وقلب الحقائق وهي – حسب تقديري– لاتجد لها صدى وتتاجر ببضاعة كاسدة مثلما كسدت كل مفاهيمهم.

– قلت لمحدثي: ماذا عن الموقف الشعبي؟

أجاب : التلاحم الشعبي والتراص مع القوات المسلحة والامن الباسلة قد جسد الاصرار المصيري للدفاع عن وحدة الشعب والوطن اليمني الهدف الاسمى والاعلى لكل ابناء الشعب اليمني الذي أتى متوجاً بنصر السابع من يوليو ٩٤م يوم دحرت فيه فلول الانفصال ودفنت فيه المؤامرة الانفصالية دون عودة.

هذا اليوم كان نتاجاً لانتصارات كبيرة سبق تحقيقها ضد قوى التآمر التي حاكت مؤامراتها ضد الشعب والثورة اليمنية.

– وسألت محدثي عن اشكال واساليب الممارسات الانفصالية

خلال السنتين الاولى من قيام الجمهورية اليمنية؟

أجاب: ليس بخافٍ على أحد تلك الممارسات الرعناء للانفصاليين خلال السنوات الاولى من قيام الجمهورية اليمنية، تلك الممارسات عرقلت مسيرة البناء عامة ومقومات بناء القوات المسلحة بناءً وطنياً حتى تتمتع بكفاءة دفاعية متطورة، فقد وقفت العناصر الانفصالية ضد الدمج وعرقلت كل المساعي لتحقيق هدف دمج وحدات القوات المسلحة واعادة تنظيمها.. وعملت كل ماأمكنها للابقاء على قوام وحداتها العسكرية وأبقتها كجيش مستقل داخل القوات المسلحة اليمنية، تحت سيطرة قيادة الحزب الاشتراكي المتنفذة والمياله نحو الانفصال لكي تبقى الأداة التي تحقق مآربهم في الإنفصال في مرحلة لاحقة من سلسلة المؤامرة الانفصالية.

- سألت محدثي : ماهي تلك الأساليب؟

أجاب: عمدت قيادة الانفصال التي تغلغلت في مفاصل القيادة العسكرية للقوات المسلحة، الى ممارسة واتخاذ اجراءات تخريبية في الجوانب المالية، والادارية والفنية للاخلال بجاهزية القوات المسلحة ومن ضمنها – على سبيل الذكر لا الحصر نهب وتبديد الاعتمادات المالية والادارية للوحدات العسكرية ودوائر وزارة الدفاع ورئاسة هيئة الاركان العامة.. مما اوجد حالة من التسيب والانفلات في اطار وحدات القوات المسلحة ومعروفة الحكاية التي اشتهرت حينها بتأخير رواتب منتسبي القوات المسلحة التي كانت تصل الى الشهرين وإلى الثلاثةالأشهر.. لانهم – بحكم مسؤوليات عناصرهم في هرم وزارة الدفاع ودوائرها المختصة – كانوا يستنزفون ميزانية وزارة

الدفاع ويوجدون عجزاً يحول دون صرف رواتب الجنود في مواعيدها.. كل هذا تكشفه الوثائق التي تفضح كل تلك الممارسات والخروقات.

- قلت لمحدثي : ولكن كيف اعيقت مسألة دمج القوات المسلحة حينها؟

قال لي: قدمت حينها كثير من المشاريع المتتالية لدمج القوات المسلحة في اطار وطني وحدوي وبحسب التخصصات والتشكيلات العسكرية المتعارف عليها عالمياً.. لكن كل تلك المشاريع كانت تصطدم باطروحات وآراء مخالفة ومعرقلة وكلما كنا نطالب ونصر على دمج القوات المسلحة، كانوا يتهربون باطروحات وآراء غريبة للحيلولة دون توحيد ودمج القوات المسلحة.. واستمر رفضهم حتى بعد ان تم الاتفاق على الحلول التوفيقية من لجنة الحوار، حيث لم نجد تجاوباً منهم عندما تقدمنا بمشروعات دمج الوحدات العسكرية ونقلها الى الحدود السيادية لليمن، إذ انبرى الانفصاليون بآراء اخرى مناقضة وغير منطقية لافشال مجهوداتنا الوطنية، وآراؤهم تلك كانت مناورات مكشوفة لم تستطع ان تخفي رائحة التآمر والنزوع نحو الانفصال.

- وقلت لمحدثي : وهل دمجت القوات المسلحة الآن؟

أجابني: نعم تم دمج القوات المسلحة كمرحلة اولى بعد ٧ يوليو ٩٤م ثم اعدنا الهيكلية لوزارة الدفاع ورئاسة هيئة الاركان العامة ووحدات القوات المسلحة..

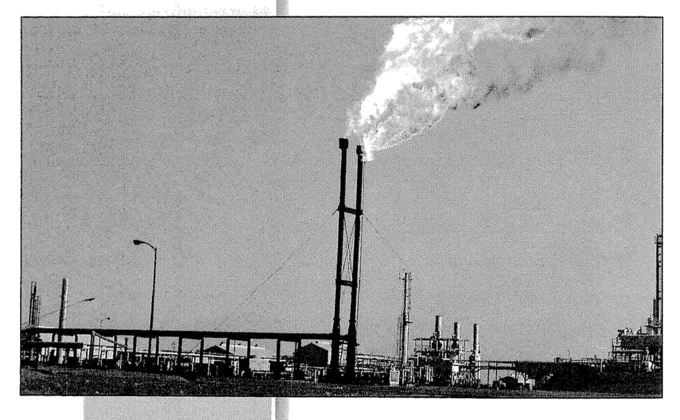
بعد ذلك أعددنا خطة اعادة انتشار وحدات القوات المسلحة، حيث كانت كثير من الوحدات العسكرية تتمركز في الحدود الشطرية الوهمية السابقة ولتصحيح ذلك الوضع السابق

الخاطئ اعيدت خطة انتشار وتمركز الوحدات العسكرية في المواقع والتموضعات في مواقعها الطبيعية التي تمكنها من الدفاع عن السيادة الوطنية والمنشآت الحيوية للوطن.. وكذلك قمنا بمراجعة شاملة لمشروعات القوانين واللوائح المنظمة لعمل ومهام القوات المسلحة ومنظومتها الإدارية.. يضاف الى ذلك اننا اعتمدنا على تجسيد الهوية الوطنية الواسعة للقوات المسلحة وبدأنا ذلك عبر سياسة وطنية للقبول في الكليات العسكرية حيث تم مراعاة أن يكون ذلك شاملاً كل ابناء اليمن ومن مختلف المحافظات وتم تجاوز التباينات التي كانت قائمة قبل العام ١٩٩٠م من تعيينات حزبية ضيقة.

أما اليوم فالقوات المسلحة واحدة موحدة تأتمر بأمر قائد أعلى هو الاخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد الاعلى للقوات المسلحة.

الفصل التاسع

بترول اليمن له قصة!



حملتني طائرة الهليكوبتر العسكرية ، الى مشارف الربع الخالي على الحدود الشرقية لليمن، حيث توجد حقول البترول، في حوض (مأرب) التي بدأ الحفر فيها منذ مطلع الثمانينات!

وهبطنا وسط حدائق خضراء ومبان صغيرة بيضاء، ومكاتب تشبه الثكنات العسكرية ودخلنا لنلتقي بالخبراء، والخرائط والأسهم البيضاء والحمراء التي تشير الى مواقع الآبار، واتجاه الأنابيب وكميات الضخ، ونوعية البترول..

وقال لنا المهندس الجالس وراء مكتبه ان عدد الاتفاقيات المشاركة في الانتاج مع الشركات البترولية الأجنبية قد بلغ عشية (الوحدة) سبع اتفاقيات، ولكن هذا العدد ارتفع منذ الوحدة الى اكثر من ٣٥ اتفاقاً..

المهم ان جميع احتياجات اليمن من البترول، اصبحت توفر محلياً.. اي من بترول اليمن نفسه! ففي فبراير ١٩٩٥م وصل عدد الشركات الاجنبية التي تنتج بترول اليمن وتبحث عن آبار جديدة الى اكثر من ٤٢ شركة، امريكية وأوروبية، تعمل على مساحة من الارض اليمنية تشمل مأرب والمسيلة والجوف وغيرها!

وهكذا اصبح لليمن دخل سنوي من البترول يعزز الاقتصاد الوطني

بالاضافة الى احتياطي كبير من الغاز الطبيعي.
ولم يأتِ الرئيس الأمريكي جورج بوش -الذي كان حينها يتولى منصب نائب الرئيس- في زيارته الاولى لليمن في عام ١٩٨٦ إكراماً لشركة (هنت) الامريكية، او شركة (كينديان اكسي) الكندية اللتان تعملان في استخراج البترول بالاضافة الى شركة (كلايد) الانجليزية وشيفرون، وكذلك شركة توتال الفرنسية و(ب. ب) البريطانية.. لكن جورج بوش الامريكي تعمد ان يزور اليمن بعد اعلان استخراج البترول فيها وبعد ان اصبحت دولة مصدرة للبترول ليؤكد مكانتها وأهميتها المستقبلية.
وكان بوش يعلم جيداً ان في عدن اكبر مصافي البترول في سائر المنطقة بطاقة انتاجية لا تقل عن ٨ ملايين طن بترول في السنة الواحدة.
ولكن استخراج البترول اليمني، وعلى الصورة التي اعلنت للعالم، قد دفع جورج بوش للمجيء الى اليمن، والقاء خطابه الشهير الذي قال فيه لأهل اليمن، ولرئيسه:
- (أحب ان اعلن لكم أن علاقة امريكا مع اليمن بعد اليوم قد اصبحت علاقة مباشرة) وبالانجليزية (Direct) والمعنى واضح والمقصود واضح والسياسة بعد اليوم، واضحة!
وقد يكون مفيداً لو انني تعمدت ان أنقل في السطور التالية الترجمة الحرفية للخطاب الهام الذي القاه جورج بوش في ابريل عام ١٩٨٦م في اليمن بتلك المناسبة:
قال جورج بوش في حفل ضخم حضره رئيس اليمن والحكومة ورؤساء القبائل وآلاف المواطنين:
(... هذا يوم سعيد بالنسبة للجمهورية العربية اليمينة ولسائر الدول الصناعية برمتها وللعالم الصناعي كله، اريد ان اعبر عن شكري القلبي للرئيس علي عبدالله صالح الذي بفضله اجد نفسي هنا معكم في اليمن، ذلك اننا نثمن العلاقة الثنائية (المباشرة) بين الولايات المتحدة واليمن وهي علاقة مبنية على الثقة المتبادلة والاحترام المشترك وانها علاقة مهمة جداً بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية..)

ثم اكمل بوش كلامه قائلاً:

(... في هذا اليوم يتبوأ اليمن مكانته اللائقة بين البلدان المنتجة والمكررة للنفط في العالم، وقد كان هذا منتظراً منذ اقل من عامين أي في يوليو عام ١٩٨٤م عندما نجحت شركة (هنت) الامريكية للبترول من اكتشافه بالقرب من هذا المكان، وكان هذا اول نفط يجري استخراجه من هذا المكان، كما ان هذا اول نفط يجري استخراجه في البلاد وهذه المصفاة، تكرر اليوم عشرة آلاف برميل يومياً وهو مانعتبره رقماً قياسياً في البناء والانتاج.

.. ان هذا كله أكبر برهان على مزايا التعاون بين اليمن من جهة والشركة الامريكية من جهة اخرى وهي تبرهن على مدى مايكون عليه هذا التعاون ومدى مايعنيه مثل هذا التعاون بين الولايات المتحدة واليمن، بما يعود بالنفع على العالم الصناعي بأكلمه..

لقد ادى تعاوننا الى انتاج النفط في منطقة لا تمر بالخليج المضطرب مما يعود بالنفع على جميع الدول الصناعية).

(فالى الرئيس اليمني، والى الشعب اليمني، والى المساهمين في عملية الاستخراج والشحن والنقل، اهدي شكري وتحياتي).

وعاشت الجمهورية العربية اليمينة

انتهى كلام جورج بوش

ولكن..

وبعد هذا الحدث الكبير بسنوات قليلة فقط، كان الرئيس اليمني علي عبدالله صالح يحتفل مع الشعب بتدشين اول شحنة نفط من حقول (المسيلة) في حضرموت حيث القى كلمة فسر فيها مفهومه لفوائد النفط، وماذا تعني عائداته بالنسبة للدولة وأين توظف.. وكيف؟

قال الرئيس:

(..سينقل هذا النفط عبر انبوب يمتد من (المسيلة) حتى البحر العربي بطاقة انتاجية (١٢٠) الف برميل يومياً، وهذا مانعتبره رافداً جديداً

للاقتصاد الوطني مما يجعلنا نبارك لابناء حضرموت البواسل ونبارك لانفسنا ولكل جماهير شعبنا بهذا الانجاز العظيم.. غير أن اكتشاف النفط في بلادنا ليس هو كل شيء بل ان اجمل واعظم واغلى ثروة هي (الانسان) اليمني فهو الثروة التي نعتز بها.. وإني اقول لكم بأن عائدات الثروة النفطية سوف توظف لخدمة الأمة ولن تذهب لجيب احد من رجال السلطة.. لانها ثروتكم انتم ابناء الشعب، وهذه الثروة النفطية المكتشفة في حضرموت ستكون رافداً آخر يضاف الى ماتم استخراجه من الثروة النفطية في (مأرب) ولدينا مناطق استكشافات جديدة في عدد من مناطق الجمهورية بالإضافة الى مشروع الغاز. واذا كنا قد دشنا اليوم هذا المنجز الحيوي لاقتصادنا الوطني فقد سبقه انجاز أهم مشروع في حياتنا السياسية، وهو نجاح الانتخابات في ٢٧ ابريل الماضي عام ١٩٩٣م التي مارس فيها كل مواطن حقه السياسي).

ثم اضاف:

(..انها لمناسبة عظيمة ان نأتي الى حضرموت التاريخ والحضارة والمناضلين الذين كان لهم الشرف ان يكونوا في الصفوف الأولى لمعركة طرد الاستعمار من هذه الارض الطيبة الطاهرة.. ان توفير متطلبات التنمية تحظى بالاولوية لدى حكومة الائتلاف خاصة في المناطق النائية والمحرومة!)

وبعد..

في أواخر الثمانينات، وبالتحديد في عام ١٩٨٥م كان اكتشاف النفط في اليمن، وفي عام ١٩٨٧م جرى تصديره، وبذلك تأخر ركب اليمن- في مجال النفط- عن بقية جيرانه، كالسعودية ودول الخليج اكثر من خمسين سنة، وعن العراق، مثلاً اكثر من ستين سنة!

وقد يكون في تأخر ركب اليمن عن مجاراة بقية دول الجزيرة والعراق في (سباق) النفط بعض الفائدة المتعلقة بحرية اليمن واستقلاله، وكرامته، اذ كانت امتيازات النفط في العراق وفي ايران وفي غيرها

لاتسير الا ويسير التدخل الاجنبي، والاستعماري معها، وفي ركابها! وقد ظهر مثل هذا التدخل جلياً في عام ١٩٢٥ في العراق بعد استيلاء بريطانيا على العراق وحصولها على امتياز النفط تحت اسم الـ (I.P.C) أي: شركة بترول العراق! وفي الكويت حيث فرضت الحماية على (شيخ) المنطقة في عام ١٨٩٩م وتركت مصيره بيد وكيل سياسي واشترطت عليه أن لايمنح اي امتيازات للنفط في مشيخته لغير الانجليز، واستجاب الشيخ لطلبهم في عام ١٩٣١م!

أما في اليمن، فقد بدأت محاولات استكشاف النفط اليمني في عام ١٩٥٨م غير ان الأمام سرعان ماألغى الاتفاقيات مع الشركات التي عرضت مشروع استخراج النفط في بلاده فقد خشي ان تقود الثروة الى التنمية وان تؤدي التنمية الى تطور الوعي وان يتبع الوعي مطالب الحرية، ولم يظهر النفط الا بعد رحيل (عهد الإمام) وقيام ثورة سبتمبر لعام ١٩٦٢م وبعد خروج الاستعمار وبعد جلاء القوات البريطانية من عدن في نوفمبر عام ١٩٦٧م. بل ان الجهود الجدية لاستخرام النفط لم تبذل إلاّ بعد ان تولى علي عبدالله صالح رئاسة البلاد.

وكانت شركة ديلمان الالمانية اول من حصلت على امتياز للتنقيب عن نفط اليمن في (تهامة) عام ١٩٥٣م ثم تلتها شركة (ميكوم) الامريكية في عام ١٩٦١م ومعها شركة نفط العراق البريطانية في نفس السنة.

والواضح انه وبسبب الاستعمار في الجنوب، والحكم الامامي المتحجر في الشمال، تأخر استخراج النفط اليمني مدة نصف قرن من الزمن عن بقية الاشقاء.

ومع هذا فان حقول النفط في صحراء اليمن الشرقية ليست في مستوى الحقول الاخرى في السعودية- حيث حقل (الغوار) او في الكويت حيث حقل (برقان) اذ يتواجد احتياطي النفط في كل منهما بمقدار (٧٥ بليون) برميل.. وكذلك حقل (الرميلة) عبر الحدود العراقية الكويتية، ومخزونه من النفط فيه يزيد عن (٣٠) بليون برميل.

لقد بدأ البحث عن النفط في اليمن - كما قلت - متأخراً عن ركب الاخرين، ولكن شركة (ستاندرد اويل كومباني) الامريكية حاولت ان تكتشف النفط في اليمن منذ عام ١٩٣١م وعاش خبراؤها في (ذمار، وتعز واب) ولكن دون جدوى.

وجاء بعد ذلك الخبراء الفرنسيون والايطاليون والالمان الى اليمن في اوائل الخمسينات بحثاً عن النفط.

ولكن ايضاً دون جدوى..

ولعل الإمام المتحجر، وذريته واهله كانوا يفضلون العيش على ضوء مصابيح الغاز والطبخ على نار الحطب، والتنعم بحياة البداوة العمياء، بدلاً من العثور على البترول واستخدام مشتقاته في جلب النور والحضارة.. والمال للبلاد!

ثم جاء البلجيكي (جونكس) لكي يملأ ارض اليمن دراسةً وبحثاً جيولوجيا من أجل العثور على البترول وقد رفع التوصيات اللازمة الى برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة.. وبدأت موجات الاستقرار والامن تطوف بخيراتها على اليمن، حيث زحفت شركات النفط الاجنبية من امريكية وكندية وجزائرية وبريطانية الى (صنعاء) للتعاقد على استخراج النفط اليمني، مما دعا الحكومة الى انشاء مؤسسة خاصة تعنى بشؤون النفط وتحمل اسم (المؤسسة العامة للنفط والثروات المعدنية) في عام ١٩٧٨، مما شجع الشركات الامريكية والفرنسية على الاستمرار في عمليات البحث عن النفط حتى كانت نهاية المطاف في فوز شركة (هنت) الامريكية بعقد المشاركة مع الحكومة اليمنية على استخراج نفط اليمن وتصديره وبيعه حسب الاصول التجارية..

وكانت كل هذه العمليات الاستكشافية في منطقة (صافر) وفي المنطقة المقابلة لساحل (تهامة) الشمالي، وفي تهامة الجنوبية، وفي المنطقة الوسطى مابين ذمار وشمالي صنعاء.. وفي عام ١٩٨٦م تم عقد اتفاقية مشاركة للتنقيب واستخراج النفط شمالي صنعاء مع شركة اكسون وشركة (تكساكو) الامريكيتان.

ثم جاء دور عدن..

وبدأ التنقــيب عن النفط في نفس السنة وفي مناطق شـبـوة.. وحضرموت.. والمهرة حتى عثروا عليه في شمالي حضرموت وفي محافظة شبوة..

وبدأت دائرة الاستكشافات النفطية في عدن، وبعد أن تم تشكيلها في عام ١٩٧٦ تمارس مهامها في استكشاف النفط اليمني معتمدة على دراسات سابقة حول الموضوع اجراها الخبير الجيولوجي البلجيكي المستر (جونكس) وفي مساحات من الارض تصل الى مئات الآلاف من الأميال..

وبدأت الشركات العالمية تدق ابواب اليمن ، متلهفةً على الحصول على امتيازات البترول.. شركات عالمية من مختلف الجنسيات..

ويجدر بنا ان نشير هنا الى الخطوات الرسمية التي قررت الحكومة اليمنية ان تتخذها قبل الاتفاق على منح الامتيازات للشركة البترولية.. ان المكان المتفق عليه محدد بالاسم والوثيقة و الصورة و كافة المعلومات الأخرى..

وتطرح العملية في صورة (مزايدة) على مختلف الشركات العالمية.

وتعقد الحكومة الاتفاق النهائي مع الشركة الفائزة حول منطقة امتياز محددة بمفردها، وبعد ان تقوم الشركة بتسديد كافة الالتزامات المادية والقانونية.

ولا تصبح الاتفاقية سارية المفعول الا بعد ان :

١- تعرض على مجلس الوزراء.

٢- يناقشها المجلس.

٣- يوافق عليها او يرفضها

٤- يجري عرضها على مجلس النواب.

٥- تعود بعد موافقة النواب الى مجلس الوزراء.

٦- يصادق عليها مجلس الوزراء او يرفضها.

٧- لا تتم الاتفاقية ولا تصبح شرعية الا بعد ان تمر بكل هذه الخطوات الرسمية.

ولعل ذلك كفيل بأن يمنع التلاعب والاستغلال والمحسوبية والرشوة، كما جرى في بلاد أخرى ،ومناطق مجاورة اخرى، في انحاءالجزيرة العربية وعلى شواطىء الخليج!

هل يمكن طرح امثله؟

ان اكتشاف النفط في اليمن سيعود بالخير العميم على اليمن ويحقق النفع الملحوظ في عملية البناء والتنمية.

لقد ظهر النفط وجرى اخراجه وإنتاجه في كل من مأرب وحضرموت وشبوه، والبقية تأتي...

وهناك أراضٍ يمنية شاسعة، في شرق البلاد وجنوبها تؤكد التقارير والدراسات انهاً غنية بوجود النفط فيها، لولا ان بعض (الجيران) يعرقلون الجهود الهادفة لاستكشاف النفط في اليمن من قبل مختلف شركات النفط العالمية.

وفي هذ الموقف كل الظلم والإجحاف بحق اليمن، اي بحق دولة عربية اسلامية شقيقة لا تريد إلا ان تبني نفسها وتخدم شعبها وتنتقل من عصور الظلام والفقر ، الى حياة النمو والتقدم.

لقد كبر اليمن وتجاوز مرحلة القصور والليل الطويل، وحطم بيديه قيود الفقر والتأخر، وأصبح سيد نفسه، ومن حقه ان ينعم بخيراته الصناعية والزراعية والبترولية ايضاً...

ولا يجوز بعد اليوم ان تتعرض منطقة (مأرب -الجوف) حيث يتواجد حوض (صافر) الى أية تحرشات او اعتداءات او دسائس من احد... لا من الاقارب ولا من الجيران ولا من الدول الكبرى ولا من القبائل اليمنية المتواجدة هناك..

ان كل ريال يدخل الى خزينة اليمن ثمناً لبتروله، لن يشاركه في هذا الريال مسؤول او وزير او شيخ او مدير عام او رجل اعمال. ان بترول اليمن يبقى لليمن ،لشعب اليمن، لا للحكام ولا للمتنفذين، ولذلك كان حرص الرئيس اليمني على ألا توظف شركة واحدة، ولا تستخرج نقطة بترول واحدة الا بعد الدراسة والفحص والتأني والمراقبة وتطبيق القوانين.

إن البترول اليمني يستخرج حالياً في مساحة من الارض لا تقل عن (١٢٦٠٠) كيلو متر مربع، أضيفت اليها مؤخراً مساحة تزيد عن ٤٢٠٠ كيلو متر مربع، وبذلك اصبح مجموع المساحة الخاضعة للعمليات تزيد عن ١٦٨٠٠ كيلو متر مربع.

ومدة الاتفاقية مع الشركات المعنية محددة بعشرين سنة قابلة للتمديد لمدة خمس سنوات اضافية.

ونوعية هذ النفط اليمني، لاغبار عليها فهي من النوع الجيد الخفيف، في كثافة ٤٠ درجة بمقياس المعهد الامريكي للبترول..

ومن حوض مأرب الى ساحل البحر الاحمر، عبر أنابيب تمتد بمسافة طولها اربعمائة واربعون كيلو متر، يجري شحن البترول اليمني الى العالم..

وفي اليمن مصفاتان لتكرير النفط إحداها في مأرب أنشئت في عام ١٩٨٦ والأخرى في عدن..

ومن الاهمية بمكان كبير أن يعرف كل عربي، سواء في داخل اليمن ام في خارجه، القيمة الحقيقية لهذا (النفط) اليمني ومدى تأثيره على سياسات الدول وعلاقاتها الدولية.

فالبترول الايراني هو الذي قضى على الدكتور محمد مصدق في ايران عام ١٩٥٣م !

والبترول الكويتي هو الذي قضى على صدام حسين واوشك أن يقضي على شعب العراق في عام ١٩٩٠!

والبترول العربي -الرخيص- هو الذي اعاد بناء الحضارة الاوروبية - بل والحياة الاوروبية- عقب الحرب العالمية الثانية في أواخر الأربعينات.

إن احتياطي النفط العربي هو الذي يبقى المتحكم الأول والأكبر في صناعة العالم وفي حياته. ان نصف استهلاك العالم من البترول يأتي من البترول العربي. إن الدول الأعضاء في منظمة أوبيك تنتج يومياً اكثر من ٢٣ مليون برميل من النفط تصل حصة العرب فيها الى النصف او اكثر!

والحقيقة التي لايأتيها الباطل من جوانبها، تقول وبكل صراحة أن الدول الاجنبية، مع شركات البترول الاجنبية التابعة لها هى التي تتحكم وبكل إجحاف في اسعار البترول العربي وتتصرف مع العرب بكل غطرسة وجشع..!

فإنتاج السعودية من النفط ،يزيد عن ثمانية ملايين برميل في اليوم الواحد.. وبعدها العراق.. ثم الكويت ثم الامارات وعمان وقطر والبحرين.. ان الدخل الرهيب الذي يدخل الى هذه الدول -والى حكامها وزعمائها وشيوخها وأولي الأمر فيها من عائدات البترول يجب ان يصبح موضع حساب ونقاش ومراجعة ! وكذلك ، فإن الاسراف المذهل في انتاج البترول العربي، جرياً وراء المزيد من المال -غير الحلال- هو أمر يستوجب المحاسبة والمكاشفة.. والتدقيق ..!

وقد يكون دخول اليمن الى دنيا البترول وتبوأها مكاناً في النادي البترولي قد جاء متأخراً..

وقد يكون اليمن في تاريخه وفي حاضره، بلداً زراعياً لا يعتمد ولا يعيش على البترول وحده..

ولكن الحقيقة ايضاً أن ظهور النفط في ارض اليمن، ولو بكميات متواضعة نسبياً حتى الآن، قد اضاف الى الدول العربية المنتجة للنفط قوة جديدة وصوتاً جديداً وارادة جديدة!

لأن بترول اليمن لن يكون رخيصاً ولا مشاعاً ولا مباحاً ولا مهدداً ولا مستباحا ولا سلعة للتهريب وجمع الاموال.

إن بترول اليمن ، كأصحابه في اليمن :

– ثورة على الباطل لحساب الحق..

– وانتفاضة على المحسوبية لحساب المجموع!!

– وخدمة للناس وللبلد ، لا للافراد ولا للاصهار ولا للاشرار.

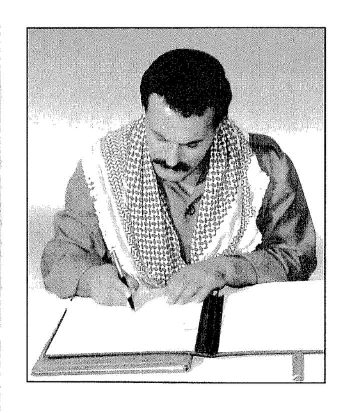
ان قصة النفط اليمني لم تبصر النور بعد.. إنها مازالت في المقدمة.. وعندما تكتب كل الفصول وتظهر كل الحقائق، سيخضع البترول العربي في كل بلد عربي الى محاسبة دقيقة ترفع من قيمة العرب، وتضع حداً للاستغلال الأجنبي.. ان قصة البترول في اليمن، هي قصة الغد العربي، كله!

وهي قصة تستحق أن تكتب بماء الذهب..!

●●●

الفصل العاشر

رجل...
وأحداث!



كان الله في عون اليمن -الواحد الموحد- على بعض احداثه، وبعض فصول تاريخه، وبعض الانعزاليين الانفصاليين من رجالاته!

وكان الله في عون هذا اليمن على بعض أشقائه، وبعض اخوانه من العرب، القريب منهم والبعيد! إذ لا اعرف بلداً يشد الصحفي أو الكاتب أو المؤلف، بكل ثوراته، وبكل آماله، طموحاته وانجازاته، كما يشده هذا اليمن.. الواحد الموحد.

وكنت اظن ان العراق أو سوريا أو الجزائر تجذب العيون الى انقلاباتها واحداثها. وكان زملائي من الصحفيين الأجانب في لندن وجنيف وباريس، يطلقون على سوريا بلد الانقلابات، وعلى العراق بلد الثورات وعلى الجزائر بلد المجازر والهزات. وعشت في مصر اكثر من عشرين سنة وانا اظن ان الثورات لا تأكل اصحابها ولاتحرق ابناءها وأن جمال عبدالناصر قد شطب الملوك والملكية من تاريخ مصر دون ان يسفك قطرة دم واحدة! ولكن الاثارة التي تترافق- أو رافقت- احداث اليمن على مدى ربع القرن الاخير قد تميزت على كل احداث دمشق وكل ثورات بغداد..

كانت الأحداث في اليمن اشبه بفصول دراماتيكية في احدى مسرحيات شكسبير..

وكانت كلها احداث غير مملة، ولا متكررة، ولا عادية. وكان الكاتب الصحفي- مهما كان لونه او طابعه- يراقبها ويسأل عن اسرارها ويكتب عنها بكل شغف واهتمام.. ولذة! ومن هنا، دعتني (صنعاء(لكي اكون واحداً من هؤلاء الذين اثارتهم احداثها، وادهشتهم فصول حياتها وليبقى شاهداً حياً على ما رأى وماسمع!

خاصة، وان البطولة التي حققها في سائر تلك الفصول المثيرة، تتعلق برجل فرد، كل ذخيرته ايمانه بالوطن، وكل اسلحته اخلاصه للوحدة وللحرية!

لذا، جئت الى اليمن..

ولذا، اكتب هذا الفصل من هذا الكتاب عن رجل وأحداث!

فقد كانت ثورات بغداد- مثلاً- تحارب على جبهة واحدة هي جبهة الانجليز.

وكانت انتفاضات دمشق أو الجزائر تحارب عدواً واحداً هو فرنسا..

اما اليمن فقد ابتلاه الله بأكثر من عدو، وأكثر من جبهة وأكثر من حرب..

فهناك جبهة الأئمة وحكمهم الظالم الحديدي!

وهناك جبهة الانجليز واحتلالهم لعدن!

وهناك اتحاد الجنوب العربي، تحت مظلة الانجليز والرجعية!

وهناك الشيوعية والاشتراكية وعملاء الحقد والعمى!

وهناك الظلم الآتي من ذوي القربى عبر الحدود..!

وآه والف آه على بلد لايهدأ ولايستقر... ولكن السماء التي سمحت بالداء، قد وفرت للناس الدواء..

وظهر على المسرح: علي عبدالله صالح!

نعود قليلاً الى الوراء:

في يوم الثلاثاء ١٧ فبراير ١٩٤٨ اغتيل الامام يحيى خارج صنعاء،

فكانت اول ثورة ضد الظلم وحكم الفرد اقامت نظاماً دستورياً استحقت بعده ان تسمى : ثورة الدستور!

ولكن ثورة الدستور فشلت بسبب ظروفها الداخلية، الخاصة، وعدم التخلص من ولي العهد السيف احمد، الذي اطاح برجال الدستور واعدم معظمهم.

وجاءت حركة ١٩٥٥ التي انتقم بعدها الامام احمد من اخويه عبدالله والعباس، واعدم قادة الثورة وفي مقدمتهم البطل احمد الثلايا.

وفي عام ١٩٦١ حاول الاحرار اغتيال الامام احمد واصابوه بعدة جروح مات على اثرها قبل قيام ثورة ١٩٦٢ بأسبوع واحد. ومثل المرات السابقة نصب الإمام المشانق واعدم قادة المحاولة.

وقامت ثورة ١٩٦٢ ضد الطغيان وحكم الائمة في صنعاء بالشمال. وفي ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ قامت الثورة المسلحة ضد الحكم البريطاني في الجنوب التي انتهت باعتراف الانجليز باستقلال الشطر الجنوبي في عام ١٩٦٧م.

وفي ٢٢ مايو عام ١٩٩٠ تحقق الهدف الخامس من اهداف ثورة ٢٦ سبتمبر بإعلان وحدة اليمن وقيام الجمهورية اليمنية. ولايمكن الا ان يكون الرجل شجاعاً بل فدائياً ومقاتلاً، عندما يترك صنعاء ويسافر الى عدن في عام ١٩٨١ للزيارة لتي اثمرت في عقد الكثير من الاتفاقيات وانشاء المجلس اليمني الاعلى واللجنة الوزارية المشتركة بين الشمال والجنوب! لقد دلت هذه الزيارة على ايمان (علي عبدالله صالح) بالوحدة،كان اكبر واعلى من الخوف على حياته أو التوجس من المفاجآت المنتظرة في عدن! خاصة وان حكام عدن كانوا يضمون مجموعة مشاغبة لاتراعي القوانين والأعراف الدولية ولاتعبأ بالفضائح، اذ لم تكن قد مرت اكثر من ثلاث سنوات على إقدامهم على اغتيال الرئيس الشمالي السابق احمد الغشمي بحقيبة ملغومة. كما أن الرئيس الأسبق ابراهيم الحمدي

اغتيل قبل يوم واحد من زيارته المقررة الى عدن.

لقد كان احتمال تصفية علي عبدالله صالح وارداً سواءً من قبل الجناح المتطرف في الحزب الاشتراكي او من قبل المخابرات السعودية التي كانت متغلغلة في اليمن، والسعودية لاتخشى شيئاً اكثر من وحدة اليمن. وقد جاءت زيارة الرئيس علي عبدالله صالح لعدن من أجل هذا الهدف الكبير ولذلك فهو يقدم على مغامرة يمكن ان يدفع حياته فيها، إلا أنه لم يتردد ولم يبال.

وكانت الزيارة، ومن بعدها الموقف الرزين الحيادي العاقل الذي اتخذه الرئيس حيال مجازر ١٣ يناير عام ١٩٨٦ في عدن، العامل الرئيسي الذي مهد للقاء القمة في (عدن يوم ٣٠ نوفبر من عام ١٩٨٩) وما نتج عنه من التوقيع على ماسميت بمعاهدة عدن التاريخية والتى بموجبها تم الاتفاق على استعادة تحقيق الوحدة واقرار دستور دولتها.. التي طالماً انتظرها الناس!

وعاد هذا الرجل وسافر الى عدن في ابريل عام ١٩٩٠م للاتفاق مع المسؤولين في عدن على الموعد المحدد لاعلان مولد الوحدة اليمنية الكبرى.

وفي ٢٢ مايو ١٩٩٠- أي بعد شهر واحد من هذه الزيارة التاريخية جرى الاعلان عن مولد الجمهورية اليمنية الموحدة في عدن، وانتخاب علي عبدالله صالح رئيساً (لمجلس الرئاسة).

وكان يوماً مشهوداً في تاريخ اليمن الحديث..

ولكن..

لم تدم هذه الفرحة طويلاً حتى بدأت السهام الطائشة المسمومة توجه الى صدر علي عبدالله صالح في توجهها الى صدرالوحدة.. حيث ظهر أن الذين وقعوا معه الاتفاق في عدن من قيادة الاشتراكي على اعادة تحقيق الوحدة انما كانوا يحاولون الهروب للأمام من المصير المحتوم الذي كان ينتظرهم اذا ماتلكؤا في عدم مسايرة ركب الوحدة الذي كانت

الجماهير تدفع اليه قياداتها وكان مصير تشاوشيسكو وزوجته وهما ينالان جزاءهما على يد الشعب وكذا مصير الاحزاب الشيوعية التى تهاوت في اكثر من بلد من بلدان المنظومة الاشراكية يشكل كابوساً امام قيادة الاشتراكي ويجبرها على الخضوع لإرادة الشعب في الوحدة.

اجل! لم يمض وقت طويل، حتى انقلب الموقف رأساً على عقب، وبدأت الافتراءات والدسائس والمؤامرات والحيل والمكايد ونبش الماضي وتجاهل القانون ونشر الاكاذيب... وكلها تصدر عن قيادات ورموز الحزب الاشتراكي الحاكم في الجنوب.

وكان ذلك بمثابة المقدمة الشريرة لاعلان الانفصال من جديد، وعودة الامور الى ماكانت عليه قبل اعلان الوحدة بكل آفات (مثل) هذه المقدمة وكل شرورها وجرائمها.!

وهنا تتجلى معاني القيادة المسؤولة عند علي عبدالله صالح. انه لم يفقد اعصابه! ولم يلجأ الى السلاح! ولم يستعمل لغة التهديد والوعيد! ولم يوزع صكوك الاتهام! لقد تحلى بأرفع واهدأ ما يمكن ان يتحلى به رجل الدولة وراح يبذل الجهد والعرق لمدة تسعة شهور كاملة في محاولات مضنية مع قادة الحزب الاشتراكي لكي يجنب اليمن سفك اي دماء يمنية!

ولكن على من تقرأ مزاميرك ياداوود!

فإلانفصاليين الاشتراكيين كانوا قد حسموا امرهم وقرروا الانفصال بدفع خارجي من قوى لاتريد لليمن الخير..!

وجمعوا السلاح! وعقدوا صفقات الشراء! وكدسوا الاموال من اعداء الثورة واعداء الوحدة واعداء اليمن للإطاحة بالثورة وبالوحدة وباليمن.. بكل الثمن !!

وانطلقت الرصاصة الاولى ضد الوحدة، بل ضد العقل والخير والشرف والانسان اليمني في ٢٧ ابريل ١٩٩٤م.ومن مدينة (عمران) بالذات!! عندما قامت قوات تخضع لسيطرة الاشتراكي من افراد اللواء الثالث مدرع بمحاولة الانقضاض على زملائهم في المعسكر من افراد

اللواء اول مدرع.

وبعد اسبوع واحد، انفجرت الاوضاع كلها في مايو ١٩٩٤ عندما اشعل الاشتراكيون الحرب في اليمن في محاولة لفرض الانفصال بالقوة ولكي يسمع التاريخ بالصوت المسموم للخائن البيض وهو يعلن الانفصال بين الشمال والجنوب!

وفشلت مساعي السلام والتعقل والمنطق ومنها وثيقة العهد والاتفاق التي وقعت في عمان تحت رعاية جلالة الملك الحسين بن طلال وقد كانت تلك الوثيقة التي صاغها الاشتركيون وحلفاؤهم بمثابة انتكاسة للوحدة وانقلاب على دستور دولتها، فقد نصت على تقسيم البلاد الى سبعة مخاليف (شبه دويلات) تضمها دولة تقع في منطقة وسط بين الفيدرالية والدولة الموحدة.

ورأي فيها علي عبدالله صالح انتكاسة خطيرة للحلم الكبير الذي صنعه في مايو ١٩٩٠م، لكنه اعتبر الخطوة التكتيكية الى الوراء أهون من التصلب والمجازفة بخطوة الى الأمام غير محسوبة.

كان اعتقاده ان الحرب تحمل مخاطر الانفصال وكانت المعلومات أمامه كافية للاستيقان مما يخطط له الاشتراكيون.

ولاشك انه شعر بمرارة لأن قضية الوحدة التي وهبها حياته تتراجع الى مستوى أدنى، إلا أنه قدر ان الحفاظ على دولة واحدة لليمن مهما كانت هلامية افضل بكثير من الانفصال الكامل. وربما كان واثقاً ان المستقبل كفيل بأن يتجاوز تلك الردة، ومن ثم تستعيد الدولة تماسكها ومركزيتها.

غير ان الاشتراكيين انقلبوا بأنفسهم على وثيقتهم. وتبين بما لايدع مجالاً لأي شك انها كانت بالونة اختبار فقط يقيسون بها مدى قدرتهم وكفاءتهم في توجيه الحوادث، وكانوا في الواقع لايريدون اقل من الانفصال الكامل.

ولعلهم تصوروا ان علي عبدالله صالح سيرفض توقيع الاتفاقية لأنهم

يعلمون مدى تشبثه بالوحدة، وعندئذ يكسبون مبرراً آخر للدفع بالأزمة الى الأمام.

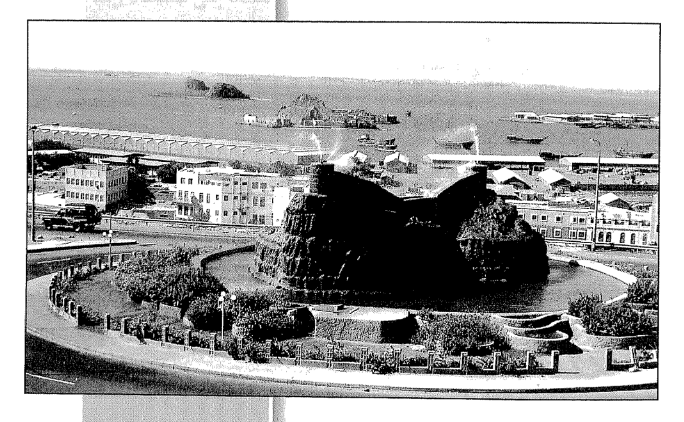
وفي حفلة التوقيع اندهش اليمنيون الذين كانوا يتابعون الحدث على شاشة التلفاز، وهم يرون ملامح الانكسار والغضب في وجه مهندس الوثيقة علي سالم البيض على عكس توقعهم بأنه سيكون مبتهجاً بانتصاره.

لقد تنكر الاشتراكيون للوثيقة عشية التوقيع عليها وأمروا قواتهم بمهاجمة قوات العمالقة المرابطة في ابين للقضاء عليها لأنها بالنسبة لهم كانت مثل الشوكة التي اقضت مضاجعهم وحالت دون تحقيق حلمهم في الانفصال فأبين هي النقطة الفاصلة بين عدن وحضرموت وكان مستحيلاً ان ينجح الانفصال طالما بقيت هذه القوات موجوده، ولهذا لم يكن هناك بد من مواجهة الواقع المر- والمؤسف بكل الشجاعة والرجولة والعزيمة المطلوبة.

وكان لابد من الدفاع عن الوحدة والشرعية الدستورية والتصدي للمتمردين الانفصاليين فكان النصر حليف الشعب والوحدة.. حيث توج بعودة عدن وحضرموت وأبين وشبوة ولحج الى احضان الشرعية وترسخت الوحدة معمدة بدماء الشهداء وبتضحيات سخية بلغت اكثر من ١٠ الآف شهيد وجريح ولكنها من اجل الوحدة تهون كما قال الرئيس صالح نفسه وكما عبر مره: (لقد كنا مستعدين ان نقدم مليون شهيد من اجل ان تبقى وحدتنا).

الفصل الحادي عشر

تعال معي الى عدن



حملتني الطائرة الى عدن. إنها المدينة التي كان الانجليز يسمونها درة الامبراطورية البريطانية.

وكان قلبي يهفو الى عدن منذ أن وصلت إلى صنعاء وقد قلت في تصريح صحفي لجريدة ١٤ اكتوبر اليمنية يوم ١٩٩٤/١١/١١م:

(إن عدن هي قاعدة الحرية والكرامة والاستقلال فقد تغنى بها الشعراء وكتب عنها المستشرقون والرحالة واعطاها العالم اهمية قصوى وهي متحف حي، وطبيعة ساحرة ،وثروة لاحدود لها، وشعب اصيل.. وقد حقق لها الله وحدتها على يد علي عبدالله صالح وعانقت صنعاء اختها عدن، والوحدة التي حققها هذا الرجل اشبه بالمعجزة التي يجب ان يصفق لها كل العرب فلاكرامة للعرب الا بالوحدة ولاضمان للوجود العربي الا بوحدة العرب).

وهناك توجهت الى دار المحافظة لكي التقي الأخ المحافظ الاستاذ ، طه احمد غانم واستمع الى حديثه عن محافظته.. وكان ذلك في يوم السبت ١٩٩٦/١١/٩م، و قد رأيت الناس في دار المحافظة مع الحراس والبنادق والخناجر ومع الصبر الجميل ينتظرون ان يطل عليهم محافظ عدن ويبحث معهم قضاياهم.

واخيرا جاء المحافظ وفتح أمامي ابواب مكتبه وعلى رفوف المكتب رأيت صورا فوتوغرافية لكثير من الشخصيات العالمية الشهيرة التي زارت عدن والتقت بالمحافظ واشادت باليمن او دافعت عن حقوقه.

ومن بين تلك الصور لمحت صورة للدكتور بطرس غالي.. السكرتير السابق للامم المتحدة وقبل ان اسأل المحافظ عن سبب وجود صورة(غالي) في مكتبه سمعته يقول لي:

(هذا الرجل اسدى لنا خدمات كثيرة، ودافع عنا، وتصدى لمؤامرات اعدائنا وتشدني إليه صداقة مخلصة جاءت نتيجة اخلاصه لبلدي.)

واختصاراً مني للحديث، دخلت الى الموضوع مباشرة، وقلت:

- حدثني اخي المحافظ عن تعريفك لهذه المدينة التي اسمها عدن؟

واجاب: (طبعاً عدن هي من أقدم المدن اليمنية حباها الله موقعاً جغرافيا متميزاً بوجود ميناء محمي حماية طبيعية بسبب احتضان الجبال منطقة خليج عدن، ولذلك فكر الاستعمار البريطاني في وقت مبكر بأن تكون هذه المدينة مركزاً لقواته وخدماته وقاعدة لحماية مصالحه في المنطقة العربية وفي جنوب شرق آسيا، والقارة الافريقية. طبعاً الانجليز اختاروا عدن بعناية لكي تكون المركز الاساسي لقيادة الشرق الاوسط البريطانية، وكانت تعتبر اكبر قاعدة جوية في الشرق الاوسط، لكن عدن بناسها واهلها وصياديها ومواطنيها لم يستسلموا من اول يوم دخلت فيه القوات البريطانية الى عدن، فدخول القوات البريطانية كان في ١٩ يناير ١٨٣٩م، واستمر الاستعمار البريطاني الى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، وتخللت فترة الاستعمار الانتفاضات الشعبية المسلحة والانتفاضات الجماهيرية المتمثلة بالاضرابات السلمية، ثم بحكم التغيير في فترة الخمسينات والستينات ايام اوج حركة التحرر الوطني العربية كان لعدن دور بارز وسمة واضحة في مقارعة الاستعمار في هذا الجزء من الوطن العربي، فعدن هي قلعة من قلاع النضال

العربي البارز في مواجهة الاستعمار البريطاني، وعدن كانت المنطقة التي أعادت الاعتبار للشعب العربي برد الصفعة التي حصلت في نكسة ١٩٦٧م وكان الاستقلال الوطني هو الانجاز الذي تحقق لشعبنا بفضل الكفاح المسلح الذي امتد اكثر من اربع سنوات؟!)

هذه عدن كموجز.

- وقلت للمحافظ : اذا سوف نتحدث عن تسلسل الاحداث!. لقد خرج البريطانيون من هنا عام ١٩٦٧م فماذا حصل بعد ذلك؟

واجاب المحافظ: بعد ذلك شكلت أول حكومة وطنية برئاسة المرحوم قحطان الشعبي واستمرت هذه الحكومة حتى ٢٢ يونيو ١٩٦٩م عندما حصل ايضاً الانقلاب على قحطان الشعبي وتمكن اليسار الموجود في الحكم من الاستيلاء على السلطة، وبدأت بعد ٢٢ يونيو، مرحلة جديدة امتدت حتى يونيو ١٩٧٨م عندما أطيح ايضاً بالرئيس سالم ربيع علي من قبل العناصر الماركسية في التنظيم السياسي الموحد. من يوم ٢٢ يونيو ١٩٦٩م بدأت الاجراءات الاشتراكية في تطوير وتحديد هوية اليمن الجنوبية كبلد تنهج النهج الماركسي، ونتيجة لذلك أمم الكثير من الممتلكات في القطاع الخاص، وعانى المواطنون معاناة كبيرة بسبب الاجراءات الأمنية المتخذة من قبل السلطات وتخللت تلك الفترة أعمال عنف وطرد وتشريد الكثير من الأسر التي كانت تقاوم هذا الاتجاه الماركسي ثم قضي على الرئيس سالم من قبل هذه العناصر لتبدأ مرحلة اخرى بتأسيس الحزب الطليعي الذي كانوا يطلقون عليه الحزب الماركسي، ومن ثم بدأت مرحلة أخرى من يونيو ١٩٧٨م وحتى إبعاد عبدالفتاح اسماعيل عام ١٩٨٠م وهو الذي كان اميناً عاماً للحزب الاشتراكي اليمني، وبعد ذلك حصلت الاحداث التالية في ١٩٨٦م وهي احداث مؤسفة راح ضحيتها

عدد هائل من المواطنين وعدد كبير ايضاً من القيادات والمسؤولين في الحزب والدولة، وبعد احداث ١٩٨٦م استمر التيار المغامر في مواصلة مسلسل الرعب والحكم الشمولي حتى جاءت الوحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠ وبدأت اليمن تتوحد وهو حلم راود الكثير من اليمنيين من بداية شعورهم بضرورة توحيد الانتماء في هذا الوطن العزيز. بعد الثاني والعشرين من مايو حاولت العناصر الماركسية ان تنفرد بالسلطة على مستوى اليمن وعملت جاهدة من اول يوم على الاستيلاء على السلطة في الوطن، أو العودة للانفصال من جديد. وتمكنت كل الجماهير اليمنية والقوات المسلحة والأمن من حسم الحرب التي اشعلها الانفصاليون منذ الرابع من مايو١٩٩٤م حتى السابع من يوليو، وبذلك تمكن شعبنا بقيادة الاخ المناضل علي عبدالله صالح من صيانة الوحدة وتعزيزها، واليوم نحن ننعم بالأمن والاستقرار، ونعمل بدأب على تحرير اقتصادنا الوطني من النهج الشمولي، وستلاحظ بنفسك حركة العمران النشطة، ومدى اهتمام القيادة السياسية بجعل عدن منطقة حرة تستعيد مكانتها ومجدها في حركة الملاحة والتجارة الدولية، وينتظر عدن مستقبل زاهر بفضل وعي القيادة السياسية لمهامها والتفاف المواطنين حولها ومثابرة الكادر الوطني في العمل من اجل تحسين الاوضاع الاقتصادية والمعيشية لشعبنا..

– قلت: من الذي اشعل الشرارة الاولى في الحرب بين الرئيس علي عبدالله صالح وبين الانفصاليين؟

واجاب: قيادة الحزب الاشتراكي الانفصالية بزعامة علي سالم البيض، أمين عام الحزب ومجموعة العناصر القيادية الخارجة على الشرعية التي كانت معه.

– قلت : تقول انهم هم الذين اشعلوا الشرارة؟

اجاب : نعم ، بالتأكيد ! هم الذين اشعلوا الحرب.
- قلت: اين بالتحديد؟
اجاب : بدأت في ذمار لكنهم قبل ذلك ايضا قاموا بمحاولات في محافظة أبين وفي عمران بمحافظة صنعاء.
واشتعلت الحرب..
- شكراً معالي المحافظ.

● ● ●

ودعت محافظ عدن، لكي ازور بقية معالم عدن.. هنا الجامعة.. جامعة عدن.. هنا، في رحاب هذه الجامعة، يلتقي شر الامس الذي أصبح ذكرى مع خير الحاضر! ففي مقر الادارة العامة لجامعة عدن وفي الدور الثالث، كان لقائي مع رئيس الجامعة

- ترى ماقصة هذا المبنى وما تاريخ هذه الدار؟

هذه الدار كانت المقر الرسمي للحزب الشيوعي اليمني- ويسمونه كذباً الحزب الاشتراكي- ولكنها بعد انتهاء حرب الوحدة، وهروب الانفصاليين ودحر الشيوعيين الذين هربوا الى حضرموت أولاً ثم الصومال والسعودية تحولت الدار الى مقر للادارة العامة لجامعة عدن.

بالأمس كانت مقراً للخراب والتآمر، واليوم اصبحت الدار مقرا للعلم والمعرفة. بالأمس كانت ملعباً للمؤامرات والتدمير والارهاب، واليوم اصبحت موئلا للدارسين والدارسات! وعندما استقبلني عميد الجامعة ودار بي على مختلف القاعات والأقسام لم أقو على حبس دموعي وانا اسمعه يقول لي من على منبر قاعة المحاضرات الكبرى في المبنى:

- هذه القاعة حولها الاشتراكيون الى كابوس للتعذيب، ثم أحرقوها بكل مافيها. أحرقوا المقاعد وأحرقوا رفوف الكتب وأحرقوا اجهزة الكمبيوتر، وأحرقوا السجاجيد والستائر.. لقد انتقموا من العلم والعلماء.. لقد دنسوا العقل والفهم والذكاء! لقد مشوا وراء حقدهم وشعاراتهم وسلطوا كيدهم على مصابيح النور واطفأوها.

وأقول صادقاً:

– لقد مررت اليوم على عشرات من غرف جامعة عدن ورأيت الشباب اليمني يجلس جنباً الى جنب مع الفتيات اليمنيات، أمام اجهزة الكمبيوتر المتطورة ويتلقى الجميع دروسا في علم الكمبيوتر على احدث الاساليب. زرت مبنى المكتبة التي سبق للاشتراكيين واحالوها الى حطام للنار. ورأيتها اليوم وقد ارتدت ثيابها الجديدة، وازدانت رفوفها بأحدث الكتب الادبية والفلسفية والعلمية، وشعرت وكأني اعود الى أيام دراستي في الجامعة الامريكية ببيروت، أو كأني اجلس وراء احد الكراسي الكبيرة وراء طاولة واسعة في المكتبة العامة للجامعة الامريكية.. في بيروت!

وغادرت جامعة عدن، لكي أجد مجموعة من سيارات الجيب العسكرية تنتظرني امام الباب الرئيسي وقد ارسلوها لكي تنقلني برفقة الصفوة من الضباط اليمنيين الكبار إلى القاعدة الجوية الضخمة التي بناها السوفيت في البلاد والتي شهدت اخطر واشد المعارك الحربية بين الوحدويين والانفصاليين.. اليمنيين..

وفي الطريق من عدن الى تلك القاعدة، كان الضباط الكبار يلقون على مسمعي فصولاً من تاريخ هذه القاعدة الحربية، وتفاصيل المعارك الرهيبة التي دارت في شوارعها وداخل اقبيتها وأمام ملاجيء الغارات فيها..

– ماهي هذه القاعدة، وما هي قصتها؟

أجابني احد الضباط.

– إنها قاعدة عسكرية جوية انشأها السوفيت لهدفين، الأول تحقيق شرط من شروط الاستراتيجية العسكرية السوفيتية التي كانت تتوازى في توجهاتها الاستراتيجية مع الاستراتيجية العسكرية الامريكية، وقد بدأ الانشاء منذ ١٩٧٤م حتى ١٩٨٢م، واختير هذا الموقع بالذات لأنه يتميز بمساحة جغرافية واسعة مستطيلة تتوسط مجموعة جبال من الصعب التأثير عليها عن طريق الطيران جوا، وبالتالي اكتسبت مقومات الأمن

ضد الغارات الجوية! وقد اقيمت منشآت عسكرية كبيرة في هذه القاعدة والهدف حسب تصوري وحسب متابعتي للاستراتيجية العسكرية أنه نتيجة للصراع الذي كان قائماً أثناء الحرب الباردة، حيث أفرزت الحرب العالمية الثانية مبدأين استراتيجيين.. الغرب يتبنى مفهوم الحرب الاستراتيجية الشاملة، يعني الحرب التدميرية الشاملة من خلال امتلاكه للسلاح النووي، ولان الروس بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كانوا يفتقرون الى السلاح النووي تبنوا مبدأ الحرب الخاطفة، ثم تطورت المفاهيم بامتلاك الروس للسلاح النووي، ثم تطورت اكثر بامتلاك الروس للصواريخ العابرة للقارات، والامريكيين ايضا حتى وصل القطبان الى الحرب الباردة واصبحت هي المسيطرة على الصراع.

كان لابد من التركيز على مواقع استراتيجية جغرافية في العالم تمكن كلا المعسكرين من بسط النفوذ والسيطرة وتهديد المصالح الحيوية للطرف الاخر، فنجد الاتحاد السوفيتي وقد تخلى عن الصومال كحليف قوي ووقف الى جانب اثيوبيا نظراً لما لها من موقع استراتيجي يسيطر على مدخل البحر الاحمر ويهدد مصالح الامريكان والغرب في منطقة الجزيرة والخليج العربي..! ولذلك بدأت في تلك الفترة ماكانت تسمى بجمهورية اليمن الديمقراطية تحتل اهميتها الاستراتيجية ولذلك انشئت قاعدة (العند) الجوية.. ولذلك نجد ان غرفة العمليات التي انشأها السوفيت في عدن من طراز من غرف العمليات العسكرية الأساسية والتي كانت تسمى بغرفة العمليات المتقدمة لحلف وارسو. يعني هذه مفاهيم نجد تفاصيل عنها في الاستراتيجية العسكرية والصراع الدولي الذي كان قائما هناك كتاب لمايك كيلر، واسم الكتاب (آفاق تطور الاستراتيجية العسكرية الامريكية في التسعينات)، سنجد في هذا الكتاب كثيراً من التفاصيل عن الصراع الاستراتيجي العسكري، وبالتالي ارتباط الموقع الجغرافي بهذا الصراع!

– قلت: وماذا عن عدن عسكرياً؟

قال: أي مساحة جغرافية تحتل اهميتها العسكرية من واقعها الجغرافي ومن مخزونها الاقتصادي أو من امكانياتها الاقتصادية! المساحة الجغرافية التي تتمتع بمعطيات اقتصادية قوية وموقع جغرافي جيد تفرض اهميتها عسكرياً، ويبدأ التفكير في السيطرة عليها عسكرياً! عدن عبر العصور كانت نقطة صراع لمجموعة دول او اتجاهات استعمارية تطمع في السيطرة عليها، فنجد أن البرتغاليين والعثمانيين والبريطانيين والفرنسيين، وكل الإمبراطوريات التي كانت تبني نفسها لتحتل وتسيطر عالمياً على مساحات شاسعة في العالم. كانت تركز على عدن كأحد اهم هذه المواقع! والبريطانيون عندما قرروا دخول اليمن دفعتهم اعتبارات كثيرة اهمها الموقع الجغرافي، والنقطة الاهم، لان عدن تقع في منطقة فاصلة متوسطة بين مستعمرات بريطانيا في اوروبا والهند وجنوب شرق آسيا. وعندما دخل البريطانيون عدن بدأوا في احتلال الميناء فقط بالقوة العسكرية وبذريعة معينة هي تأمين مصالحهم التجارية في الهند! ثم تحولت الى محاولة إيجاد نزاعات متطورة بين المشايخ والقبائل اليمنية التي كانت تسيطر على هذه المنطقة وبدأت تعقد اتفاقيات ذات مصالح معينة مع زعماء القبائل، فنجد ان اول اتفاقية عقدت بين بريطانيا والسلطة القبلية كانت في عام ١٨٥٧م ،وتضمنت هذه الاتفاقية ما يسمى بشراء جبال البرزخ/ شمسان. ثم عقدت اتفاقية تأجير مطلق بين بريطانيا ومشيخة العواذل ،واخذت فيها بريطانيا مساحات تمتد الى رأس عمران ثم جاءت الاتفاقية الثالثة عام ١٨٧٥م اشترت بموجبها بريطانيا الجزء المتبقي من منطقة الشيخ عثمان والشريط الساحلي على طريق البريقة.. حتى العند.

- شراء؟

طبعاً شراء.. هناك مجموعة من الكتب يمكن من خلالها الوقوف على هذه الاتفاقيات وهي معترف بها.!

– ما اسم هذه المنطقة؟
نحن في منطقة العند، قاعدة العند اصبح اسمها الآن معسكر (٧ يوليو).
–ويتحدث عن هذه المنطقة العميد.. محسن مسعود جزيلان..
طبعاً نحن الآن في قاعدة معسكر (٧ يوليو) قاعدة العند سابقاً، هذه المنطقة كانت تتمركز فيها قوة كبيرة أيام الانفصاليين هي ترسانة قوية من الاسلحة الخفيفة والثقيلة، ويعتبر المعسكر والمطار القاعدة القوية هناك حيث كانت تجمع المعسكرات والتدريب والمحور لبقية الوحدات وكان مايسمى بلواء عبود وعدة وحدات كثيرة.
قلت: ما قيمة المزايا العسكرية من اختيار هذا المكان؟
وهنا جرت أكبر وأعنف معركة بين الوحدويين والانفصاليين سقط فيها آلاف الجرحى والقتلى... واليوم تحولت الى معسكر ٧ يوليو.
–كم مساحة المعسكر؟ كم بلغت تكاليفه؟
لقد هدمت المباني عن بكرة ابيها في الحرب، كان هناك مطار حربي عسكري وعدةغرف عمليات. هذاا لمعسكر فكرة روسية رداً على المعسكرالامريكي في الظهران. وكان قائد القوات الوحدوية في معارك ١٩٩٤م العقيد علي محسن صالح الاحمر وعبدربه منصور هادي كان وزيراً للدفاع آنذاك. اما قائد القوات الانفصالية فكان هيثم قاسم طاهر..
– قلت: كم دامت المعارك؟
قال: دامت المعارك مدة اسبوع كامل بالهجوم على قاعدة العند وتم تصفية القاعدة خلال اسبوع.. واحد.
– قلت: وكم كان عدد القوات المتحاربة المشتركة هنا؟
قال: القوات الانفصالية جمعت كل ما كان بأيديهم، ركزوا على هذا المحور، القوى الوحدوية كانت في البداية ثلاثة ألوية، والانفصالية سته ألوية.

– قلت: كم عدد اللواء؟

قال: يقدر اللواء بألفين الى ثلاثة آلاف جندي مقاتل.

– قلت: هل استفاد الجيش الوحدوي من تجربة هذه الحرب ؟

قال: نعم، استفاد من ناحية قدرته القتالية، حيث قاتل ببسالة لهدف معين وهو الوحدة، اما الانفصاليون فلم يكن لهم هدف محدد، كانوا يريدون الانفصال، وهو هدف لا يحرض الهمم ولايقوي العزائم.

– قلت : هل استخدمتم اية اسلحة جديدة ؟

قال: طبعاً اخذنا كافة الاسلحة الحديثة التي كانت لدى الانفصاليين فقد كانوا يملكون الأسلحة الحديثة التي زودهم بها الاتحاد السوفيتي لكن كان ينقصهم التدريب الحديث في فن القتال. وهذا يثبت ان الروس فشلوا في خلق قوة عسكرية. في هذا المكان سمم الانفصاليون آبار مياه الشرب وما إن تذوقها جنود الوحدة حتى اصيبوا بأمراض مختلفة عولجوا منها فوراً، وهذا عمل يدل على انحطاط الخلق لانه يخالف قوانين الحرب فما بالك إن كانت حرباً بين ابناء وطن واحد لكن هكذا تمكن الحقد الأسود من قلوب الانفصاليين.. الشيوعيين!

● ● ●

هذا البلد كل شبر فيه يروي التاريخ! لقد جلست على شاطئ البحر، في مطعم للسمك، انظر امامي الى جبال(عدن) ، والى الموج الازرق، وأحاول ان استحضر الماضي!

هنا، في عدن، كان الإنجليز يأتون من فلسطين ايام الانتداب، يأتون لقضاء الإجازات، والتشاور مع زملائهم القادة والمسؤولين الانجليز عن احوال فلسطين واحوال عدن معاً! فالاولى تحت انتدابهم والثانية احدى مستعمراتهم!، الحاكم واحد، والضحية واحدة!.

وكدت خلال جلستي على شاطئ بحر (عدن) اتحدث الى الرمل والموج والجبال الشاهقة السوداء، واسألها عن اخبار كل اسم من الاسماء التي كنت اسمع بها وعنها خلال حياتي في بلدي فلسطين! اين السير همفري تريفليان اخر مندوب سام في (عدن) ؟؟ لقد لعب الدور القذر المشبوه قبل مجيئه الى هنا، في بغداد وفي القاهرة وفي السعودية، ولعله جاء يومذاك لكي يكمل مؤامراته في عدن! وها هو (جورج طومسون) وزير الكومنولث البريطاني يعلن في مايو ١٩٦٧ قرار حكومته بالانسحاب من عدن قبل يناير ٦٨م . كما فعل الانجليز عام ١٩٤٧م وقرروا بلسان رئيس وزرائهم (كلمنت اتلى) ووزير خارجيتهم آرنست بيغن الانسحاب من فلسطين في موعد اقصاه ١٥ مايو ١٩٤٨!

وكما تحايلت بريطانيا على العرب في عام ١٩٦٧ وارسلت ثلاثة مندوبين من الامم المتحدة - احدهم من افغانستان والثاني من (مالي) والثالث من فنزويلا - الى عدن للبحث في أي حل عاجل يمكن الوصول اليه نتيجة الاضطرابات الدموية التي سيطرت على عدن، كذلك فعلت بريطانيا في فلسطين قبيل عزمها على الانسحاب حيث اعادت القضية برمتها الى الأمم المتحدة وتركت مصير البلاد بيد منظمة دولية هزيلة ومتفككة، وجيش يهودي سري!

مرة أخرى كدت اسأل الرمل والبحر في شاطئ عدن عن النساء الانجليزيات اللواتي ذرفن الدموع وهن يودعن عدن، تماماً، كما ودع اقاربهن رمال فلسطين في مايو من عام ١٩٤٨م.

وما اشبه الليلة بالبارحة..

في مايو عام ١٩٤٨ خرجت بريطانيا من بلدي وسط القنابل والانفجارات والمظاهرات المسلحة- من العرب ومن اليهود على حد سواء! وفي نوفمبر ١٩٦٧م خرجت بريطانيا من عدن تشيعها رصاصات جيش التحرير قنابل الفدائيين العرب وسط شوارع عدن، وفي ضواحيها!

في عدن كانت اللعنات تشيع الوجود البريطاني الى غير رجعة، وفي فلسطين كانت اللعنات الحاقدة الثائرة تودع الانجليز من فلسطين!

وكانت الفتيات الانجليزيات يودعن عدن والدموع تغسل وجوههن. ومن ذا الذي لايبكي على فراق عدن بعد ان يزورها؟

لقد عاشت هذه المدينة في مخيلتي منذ طفولتي وأنا تلميذ صغير في مدرسة سان جورج الانجليزية التبشيرية بالقدس.

كان الأستاذ الإنجليزي يومذاك يدلنا على أشعار كبار الشعراء الانجليز وما نظموه عن الهند ومصر والسودان وعدن فلا احفظ من هذا الشعر الا ما كان يتعلق بعدن!

وفي جامعة بيروت الامريكية كان استاذ الادب العربي فيها جبرائيل جبور وهومن المولعين بعمر بن ابي ربيعة، كان هذا الاستاذ يدلنا على خطوات عمر في زياراته لعدن القديمة في القرن الأول الهجري ويطلب منا ان نحفظ بعض اشعاره التي كتبها في عدن، منها ما قاله في (الثريا) عند هروبة الى عدن حيث كان لابيه فيها تجارة رابحة ولكنه - أي عمر - ما كاد يصل الى عدن حتى عاوده الحنين لرؤية حبيبته في الحجاز، فأنشد من اعماق قلبه يقول لها:

هيهات من امة الوهاب منزلنا	اذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل اهلك اجياداً فليس لنـا	الا التذكر او حظ من الحـــزن

وعندما اصابت عمر الحمى في عدن عاد بعدها الى الحجاز يحدوه الشوق الى رؤية (الثريا) فقال:

لعمرك ماجاوزت غمدان طائعاً	وقصر شعوب ان اكون بها صبا
ولكـــن حمى اخرتني ثلاثـــة	محرمة ثم استمـــرت بنـا غبـا

نسيت أن اقول ان عدن كانت موطن الام التي انجبت اعظم شعراء الغزل في التاريخ العربي بأسره!

– وسألت عن ميناء عدن ووضعه الحالي، فجاء الجواب بلغة الارقام،يقول:

في عام ١٩٥٦م تم تشييد مراسي مباشرة في رصيف المعلا، وتم ايضاً استصلاح وردم مساحات كبيرة من الاراضي لاغراض الخزن وتشييد المباني السكنية، مراسي بحرية (دولفين) لتزويد البواخر بالوقود اثناء رسوها، وزاد تعميق المرفأ ايضاً الى ٣٨قدماً، وفي عام ١٩٦٧م تحقق استقلال البلادوتزامن ذلك مع اغلاق قناة السويس، وكان لهذه الاحداث اثرها البالغ على اقتصاد عدن ونشاط حركة البضائع في مينائها.

وشهد ميناء عدن تدهوراً مضطرداً للفترة من بعد الاستقلال حتى وقت قريب، ليس في عدد السفن والبضاعة الواصلة اليها فحسب وانما ايضاً في تدني مستوى الخدمات المقدمة للسفن كماً وكيفاً، ورافق ذلك الانحدار تدهوراً في المستوى الادراي والفني على كافة الاصعدة، وتزامن هذا الوضع السيء مع الظروف والملابسات الداخلية وتفجر الخلافات والصراعات المستمرة والظروف الخارجية لقد تدهور نشاط الميناء بشكل خاص والنشاط التجاري في مدينة عدن بشكل عام.

ويمكن القول ان الزمن بالنسبة لعدن توقف مع اغلاق قناة السويس حتى عام ١٩٧٥، وتغير المسار التجاري لتغيير المسار الملاحي لحركة البضائع عبر القرن الافريقي، مما دفع دول الجوار لبناء موانئها وتجهيزها بأحدث الوسائل لمواكبة ازدياد الحركة، وذلك بتشييد مراسي مباشرة عميقة تلبية لطلب السفن التي تطورت صناعتها وكبر حجمها وزادت حمولتها.

وأدركت عدن اهمية تشييد المراسي المباشرة المماثلة لمواكبة عجلة التطور العصرية في موانئ العالم وسعت جاهدة لذلك، وتمكنت من الحصول على قروض ميسرة من الدول الشقيقة لبناء مراسيها المباشرة بالمعلا.

وفي عام ١٩٨٧بدأ الشروع في تنفيذ مراسي مباشرة جديدة في

رصيف المعلا وبلغت تكلفة الاعمال الانشائية للمشروع ٤٠ مليون دولار ساهمت في تمويله كل من السعودية والكويت وابو ظبي بحصص متفاوتة وتم انجازه في اغسطس ١٩٩٠.

وكلمة عن الوضع الحالي للميناء:

أخذ حجم نشاط الميناء يتزايد بصورة مضطردة منذ عام ١٩٩٠، ومنذ عام ١٩٩٦م ارتفع النشاط بوتيرة عالية، سواء من حيث عدد السفن الواصلة اليه او من حيث حمولتها.

كما شهد الميناء تطورات جديدة من حيث المشاريع الاستثمارية والخزن الاستراتيجي، وتقوم حالياً بعض الشركات الاجنبية والمحلية بتشييد منشآتها في مؤخرة ارصفة المعلا لتفريغ وخزن مواد متنوعة مثل، الاسمنت والقمح والارز والسكر والاعلاف ومواد اخرى، مما سيترتب عليه زيادة دخل الميناء بشكل مضطرد.. بالاضافة الى زيادة حركة السلع ووصولها الى ميناء عدن عبر ناقلات متعددة الأحجام والأصناف. وسيؤدي ذلك بالضرورة الى رفع مستوى مداخيل الميناء بشكل او آخر.

- قال صاحبي ودليل عدن مفتوح على صفحاته:

كانت هذه المدينة في فترات الازدهار تعج بالاحياء والشوارع والاسواق العامرة والقصور والدور الشامخة والفسيحة والمساجد الشهيرة التي تحولت الى منارات للعلم والفقة والثقافة والأدب.

ويقر هارولد جاكوب- الذي كان في العقد الثاني من هذا القرن معتمداً في عدن- في كتابه (ملوك العرب) بأن عدن كانت في الأزمنة الماضية تحتوي على ابنية معمارية في حي كريتر ذات أبهة وجلال، وينسب هارولد الى الرحالة الفرنسي (لاراك) الذي زار عدن في عام ١٧٠٨ وصفه لحماماتها الجميلة التي كانت محاطة بكاملها بصنوف من الرخام او المرمر ومغطاة بقباب بديعة ذات فتحات ونوافذ تعلو فوق قممها وتتصدر ابراجها.

وفي مدينة عدن القديمة (كريتر) يوجد العديد من الحواري والشوارع والأزقة المعروفة.

واشهر تلك الحواري والشوارع والأزقة (الحوافي): (حافة حسين) و(حافة العيدروس) و(حافة القطيع) و(حافة الطويلة) و(الخساف) اما اشهر الشوارع والاسواق فهي: (الزعفران) و(سوق البهرة) و(شارع ابان)، وهناك مناطق اخرى مشهورة مثل (الخليج الامامي) وصيرة وحقات، وتتميز اشهر هذه الاحياء والشوارع بمعالم تاريخية منها:

حي الخساف : ويقع في منطقة شمال كريتر وهو يشمل شارع الملكة اروى حتي باب عدن (العقبة)، وهذا الشارع يضم منطقة المصارف والشركات التجارية. وابتداء من موقع سينما الحرية حتى موقع مبنى وزارة العمل التي يضم احد مبانيها الجزء القديم اول مبنى يشاد في عدن بعد الاحتلال البريطاني كمقر للحاكم الاستعماري (القبطان هينس) ثم اصبح بعد ذلك داراً للضيافة.*

حافة العيدروس: وتستمد اسمها من شهرة (مسجد العيدروس) العريق الغني عن التعريف الموجود في سفح (جبل شمسان) غرب كريتر، وهي تشمل عدة شوارع وازقة مشهورة تمتد حتى بداية حافة القطيع، ويوجد فيها ايضاً مسجد جوهر الاثري الذي يضم عدداً من رفات الادباء المشهورين منهم المؤرخ اليمني بامخرمة.

حافة القطيع: وتقع جنوباً وتضم الى جانب المقبرة الكبيرة لاهالي عدن مسجد علوي وهو احد المساجد القديمة، ومن المعالم الاثرية لعدن، وقد ورد ذكره في تقرير القبطان هينس عندما اشار الى وجود العديد من المساجد القديمة منها مساجد العيدروس وعلوي والسوق.

حافة الطويلة:وتبدأ غرباً من سفح جبل شمسان، حيث تحتضن جنباتها تلك صهاريج الطويلة الاثرية الشهيرة بحديقة الغناء، وتمتد من موقع الصهاريج لتشكل شارعين في اتجاهين تتوسطهما (السيلة)ممر المياه التي تفيض من خزانات (صهاريج الطويلة)، بحيث يمتد الشارع الاول حتى

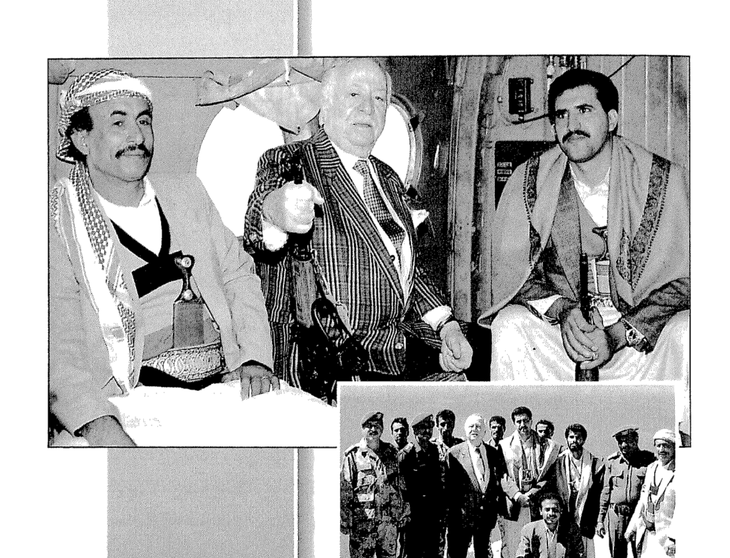
منطقة سوق الخضار والاسماك من جانب ليلتقي من الجانب الآخر بحافة حسين.

شارع ابان: وهو شارع تجاري وملتقى عدة أسواق مماثلة منها سوق البهرة، وسوق الطعام، وسوق الحراج، وسوق الحدادين، ومن اشهر معالمه مسجد ابان وهو اقدم مسجد في جنوب اليمن وقد بني سنة ١٠٥ هجرية في خلافة يزيد بن عبدالملك بن مروان، وقد زار المسجد في حوالى سنة ١٧٠ هجرية الامام احمد بن حنبل ليأخذ العلم عن ابراهيم بن الحكم الشهير بالعدني، وقبره يوجد في ناحية المسجد الشمالية.

وبعد هذا، الى اللقاء ياعروس البحار.

الفصل الثاني عشر

سلام على اليمن



قبل ان تنتهي إقامتي في اليمن، وقبل أن اودع الاحباب والخلان والارض الطيبة، رأيت نفسي تدعوني لكي امسك القلم، واكتب شيئاً.

ومن عصارة القلب، جاءت هذه الكلمات هي "سلام من اليمن! وسلام في اليمن! وسلام على اليمن.

● ● ●

زرت بلاد الدنيا كلها، وبقي ان ازور اليمن! ولست غريباً عن اسم اليمن، ولا عن أرض اليمن، فقد رأيت المتطوعين اليمنيين يشاركون الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م ضد اسرائيل، ويدخلون منطقة جبل المكبر على تلال القدس..

وعند كل ضربة اصابت فلسطين، او العرب، كانت اليمن هي الصدى المجلجل الصادق لكافة الضربات والنكسات والنكبات وكانت الهزات تتوالى فوق ارض اليمن وكان الشهداء الابرار يتساقطون على يد الحكام الطغاة من اهلها! وكانت الانتفاضات تتلاحق تعبيراً عن الألم والغضب والسخط لما اصاب مصر او فلسطين او الشام. وجاءت الانتفاضات تلو الانتفاضات وقامت ثورة ١٩٤٨م وحركة ١٩٥٥وانتفاضة (اللقية) و(العلفي) عام ١٩٦١ حتى قامت الثورة في صبيحة يوم ٢٦ سبتمبر عام

١٩٦٢م التي اقتلعت الإمامة من ارض اليمن وانتصر خلالها الشعب لارادته في الحرية والحياة الأفضل.

وفي احداث لبنان وحصار الفلسطينيين رأينا الجندي اليمني يقف الى جانب إخوته الثوار الفلسطينيين ضد العدو الاسرائيلي وضد الكيد الرسمي الطائفي العدائي.

وباختصار شديد استمرت اليمن ضمن امكانياتها درعا للعرب، وصدى لأحداث الشرق الاوسط، ويداً مباركة تشد على ايدي العرب للسير صوب الحرية والكرامة.

وانا سعيد بأن ازور ارض الشهداء، والثورات، والوحدة الكبرى التي جاءت مؤخراً.. لقد قرر شعب اليمن بقيادة علي عبداله صالح ان يتحرر من الطغيان ومن الخوف، وقال الرئيس اليمني للدنيا بأسرها: (ان شبح الخوف قد انتهى من حياة الشعب بعد ان حقق نصر الوحدة التي ناضل من اجلها طويلاً وهو مايعتبر بكل المقاييس انجازاً تاريخياً خالداً للشعب اليمني ولخير الأمة العربية والإسلامية).

وعندما قررت ان ازور اليمن جاء الكثيرون ينصحونني بعدم الزيارة خوفاً على حياتي تماماً كما سبق وجاء من يحذر الفيلسوف النابغة (أمين الريحاني) من مغبة زيارة اليمن في عام ١٩٢٣م خوفاً على حياته من الذبح ومازلت اذكر قوله في احد كتبه عن اليمن يغار اهل اليمن على بلادهم كما يغارون على حريمهم! لاحق في البلاد لغير اهلها. ونأبى الشراكة فيها كما نأباها في الحريم فنحارب ليسلم الشرف ونحارب ليسلم الوطن).

ويقول ايضاً نابغة (الفريكة) اللبنانية على لسان اهل اليمن (هذه طريقتنا في اليمن نحارب حتى اهلنا فاذا كانت هذه حال بعضنا مع بعض فكيف تكون حالنا مع الاجانب؟)

ولكني لست اجنبياً ولاغريباً ولاعاشق حرب، انا من بلد احب الثورات واعطى الشهداء ومازال يئن تحت الجراح ويعيش تحت الحراب،! انا من بيت المقدس الغالية على قلوب المسلمين و العرب وقد

جئت الى اليمن لكي افرح بانتصار الوحدة على الانفصال وانتصار الإعمار على الدمار وانتصار العلم على الجهل، وفي الماضي بكينا الانفصال السوري المصري، وقلوبنا مفعمة بالأسى على مايجري اليوم من محاولات لتفتيت ارض العراق، ترى اليس من حقنا أن نفرح لهذا النصر الوحدوي الكبير فوق ارض اليمن؟!

لقد قابلت الرئيس (علي عبدالله صالح) ثلاث مرات في اسبوع واحد. وقابلت وزراء الدفاع، والخارجية والداخلية، ورئيس المجلس التشريعي وزعماء القبائل، وتنقلت بين عدن على البحر، وريف صنعاء، على قمم الجبال، ورأيت ينابيع البترول وهي تبشر بالمستقبل الغني، كما رأيت سد مأرب، وهو يروي قصة إرادة الحاكم الذي يبني ويشيد ويحول الأرض الصحراء الى جنات خضراء، وتذكرت قصة عدن يوم كانت قلعة للاستعمار البريطاني وكنت يومذاك اكتب المقالات النارية ضد ذلك الاستعمار الكريه وانتصاراً لثوار عدن، يومذاك، نشرت صحيفة الديلي تلغراف الانجليزية صورة لي على الصفحة الاولى وقالت تحتها في سطرين اثنين (ان جنود الانجليز يسقطون قتلى في عدن بسبب مايكتبه هذا الصحفي في جريدة (الجمهورية القاهرية).

ولعل السفير البريطاني في مصر قد قرأ هذا الكلام فما ان رآني في احدى المناسبات الرسمية في القاهرة حتى بادرني قائلاً في تشنج ظاهر: (مادمت انا على قيد الحياة فان قدمك لن تطأ ارضاً بريطانية) وفعلاً صدر الامر بمنعي من الحصول على تأشيرة الدخول (الفيزا) الى بريطانيا لمدة تزيد عن عشر سنوات.

وتمضي الايام وتستعيد عدن حريتها وتصبح عروس اليمن الواحد المتحد، على بحر العرب! وتفتح لي عدن ذراعيها وتحتضنني وكأنها تشكرني على سطوري الماضية في جهاد مناصرتها، ثم لا تنسى ان تعود وتذكرني بقول امين الريحاني عنها:

(عدن مدينة اختلطت فيها الاجناس والالسن والاديان ولكنها فريدة واحدة) ثم تسألني ان كنت مازلت اذكر المثل الشعبي الذي يقول ان الايام

السعيدة في اليمن، وفي الجزيرة كلها هي: (ايام كانت الفلوس فيها عدنية ايام الايوبيين والرسوليين والطاهريين ثم تقول لي عدن بيتاً من الشعر العربي الحلو يدل على بشاشة اهلها ومازال موجودا في كتاب تاريخ المستبصر لابن المجاور يقول:

وماغريب وان ابـدى تجلـده — الا ويذكر بعد الفرقة الوطنا

إلاّ العراقي والمصري فإنهمـا — لايذكران اذا ماشارفا عدنا

ولكن ليس الفرح ولا السعادة وحدهما هما طابع حياة اليمن في هذه الأيام. هناك الكثير من القضايا الملحة التي مازالت موجودة على جدول اعمال القادة والمسؤولين في اليمن.

هناك العمل الجاد المتصل من اجل اعادة تعمير اليمن بعد الكثير من العناء والكثير من الحروب والكثير من الأهوال.

وتبقى الأزمة الاقتصادية أو الوضع الاقتصادي هو الشغل الشاغل للتفكير وللتدبير عند اولياء الامور في اليمن.

ترى ماسبب هذه الازمة؟ وهل في احتلال بعض الدول المجاورة لأجزاء من اراضي اليمن في الشمال وفي الشرق يكمن سبب الأزمة. ان احتلال اسرائيل لارض العرب مثلا في فلسطين قد اصاب الاقتصاد الفلسطيني في الصميم ترى هل الحال في فلسطين كما هو في اليمن ؟ الشيخ عبدالله الاحمر يقول: ان السبب يرجع الى حرب الخليج والى مجيء اكثر من مليون يمني طردوا من السعودية ومن دول الخليج وقد قال السفير الامريكي في اليمن ذات يوم لو ان هذا لعدد الضخم من اللاجئين غزا الولايات المتحدة لأصاب الخزينة الامريكية بزلزال مدمر.

يضاف الى ذلك ماتعرضت له اليمن من خسائر في الممتلكات والارواح نتيجة الحرب الاخيرة بين الوحدويين والانفصاليين منذ عامين والتي قيل انها بلغت حوالى ١١ مليار دولار، حيث عمد الانفصاليون المتآمرون الى حرق الممتلكات ونهب الاموال واتلاف المزروعات وتدمير املاك الدولة بلا رحمة ولاهوادة.

ورغم هذا فإن مشكلة الحدود بين دول الجزيرة العربية وخاصة بين السعودية واليمن تبقى بحاجة الى حل سريع والى مبادرة سعودية تستجيب للمرونة والحرص من قبل اليمن.

فإذا كانت اليمن قد رضت بالضيم الذي وقع عليها في اتفاقية الطائف ١٩٣٤ من اجل الاخوة العربية والجوار المشترك. إلاّ ان توحيد اليمن وخروج الانجليز من الجنوب العربي قد فتح باب الاجتهادات حول الحدود على مصراعيه هنا الربع الخالي بين عمان والسعودية واليمن .

هنا المساحات الشاسعة من الرمال المتحركة الصامتة الخرساء وهنا ايضا ثروة البترول الدفينة تحت الارض، التي حركت مطامع السعودية وجعلتها تسعى لتحريك الحدود الدولية والاستيلاء على هذه المساحات كي تسيطر على ثروة البترول وتستغل دخله على حساب شقاء جارها الجنوبي.

هناك مثلاً منطقة (شرورة) وبجانبيها منطقة اخرى تسمى (الوديعة) وقد احتل المنطقتين السعوديون من الشيوعيين الاشتراكيين في نوفمبر عام ١٩٦٩م وحولوا الأولى الى قاعدة عسكرية كبيرة. والسؤال الان هل هناك حل وسط يعيد الوديعة الى اليمن او يقنع السعوديين بالجلاء عن شرورة؟

لاشك ان النوايا الحسنة يجب ان تتوفر لدى سائرالاطراف وان تسود الرغبة لإيجاد الحل عند السعوديين كما هي عند اليمنيين تماماً.

قال لي وزير الخارجية اليمني في مقابلة معه في صنعاء:

اراهنك اننا سنصل مع السعوديين الى الحل قريباً. قولوا ان شاء الله. لكن المؤسف ان تفاؤل الوزير اليمني يتبدد في صخرة الصلف السعودي.

فاليمن بلد صغير يتطور وينمو ويسعى للوصول الى مكانه المختار تحت شمس هذا الشرق ويجب ان يحظى بمساعدة اخوانه وأشقائه وأصدقائه وجيرانه وعلى رأسهم السعودية .

ولكن الطرف السعودي لايعترف بالخرائط، بينما ينطلق من الجانب اليمني صوت واحد يقول بالفم المليان: هذه ارضنا ويجب ان تعود الينا. لقد قدمنا لأشقائنا في السعودية من التنازلات ما يكفي ولم نعد قادرين على تقديم المزيد.

● ● ●

ومع شروق الشمس زرت مدينة مأرب وسد مأرب وماتبقى من آثار الملكة بلقيس ملكة سبأ.

وغادرتها مع الغروب بينما الشمس ترمي بقية خطوطها على بقية رمال من صحراء الربع الخالي.

ويشهد الله انني تعلمت عندها وحولها الكثير من دروس التاريخ في صفحات مملكة سبأ، كما تعلمت الكثير من دروس الحاضر في جمهورية اليمن الحديث، ولم تبهرني حجارة السد القديم وعمرها خمسة آلاف سنة وانما بهرتني مياه السد الجديد وعمره لايزيد عن عشر سنوات . التاريخ من صنع اسلافنا اما الحاضر فمن صنع اليمن الحديث. التاريخ يتحدث عن سبأ و(بلقيس) اما الحاضر فيمشي صوب اليمن وقادة اليمن الحاليين.

لقد وقفت على ضفاف السد الجديد وامام بحيرة السد التي يجب ان تحمل اسم رئيس اليمن كما حملت بحيرة سد اسوان اسم جمال عبد الناصر الذي شطبه انور السادات ثم اعاده حسني مبارك ! هذا السد سيعيد رسم صورة اليمن في غده القريب .

وهذا السد سينسف الجفاف والقسوة والموت من ارض مأرب لكي يملأها بالبساتين والحقول والمدن والناس..!

ومن السد الجديد في مأرب، انتقلت عبر الصحراء الى داخل الربع الخالي حيث بدت امامي من خلال باب الطائرة المروحية، انابيب البترول مزينة بالنار المشتعلة وكأنها تدلني على مواقع الخيرات الجديدة في ارض اليمن السعيد.

هنا الخير! هنا الثروة! هنا عصب الحياة! هنا الوقود الذي يحول الأمل الى حقيقة ويطفئ الحقد والمرض والحاجة والبطالة! هنا اليمن السعيد حقاً وحقيقة..!

لقد وجدت نفسي اقول :

– أليس من حسن الطالع ان أرى هذه المعجزة في بناء السد وفي ظهور البترول الست محظوظاً لأن العمر امتد بي حتى أزور اليمن وقد حقق وحدته وفي ظل قيادته الحالية التي يتزعمها الرئيس علي عبدالله صالح.

كنت في عام ١٩٦٠، في موقع السد العالي بمصر، عندما جاء خروتشوف، مع عبد الناصر لكي يضع الحجر الاساسي لمبنى السد بالقرب من مدينة اسوان المصرية، وقد سمعت خروتشوف يحاول يومذاك التبجح والتحدي، وكان عبدالسلام عارف بين الحاضرين، سمعت الزعيم السوفيتي يقول على مسمع من الجميع ان الاتحاد السوفيتي، بهذه المساهمة الطائلة في بناء السد، سيعيد صناعة تاريخ مصر في المستقبل.

واليوم اقول، وبكل بساطة وتواضع، ان اليمن السعيد سيعيد صناعة تاريخ المنطقة بأسرها..

نعم وبكل حياة ديمقراطية حرة تسمح بالتعدد، والتنوع، والاعداد.

نعم.. ورغم ما ارتكبه من حماقة الحرب والانفصال فإن الحزب الاشتراكي اليمني اياه مازال موجودا يمارس عمله ونشاطه ويسمح لأمينه العام بأن يلقي خطابا في حفل تأبين الزعيم الراحل احمد محمد نعمان يسكب فيه دموع الحزن على الفقيد ويعرب عن المه وحزنه.

في اليوم التالي ظهرت الصحف اليمنية اليومية وفيها هذه الكلمة الجريئة التي شن فيها هجومة على نظام الرئيس علي عبدالله صالح واستخدم اقذع الألفاظ والعبارات ولكن ديمقراطية اليمن اتسعت لحماقاته.

وفي حقيقة الأمر لم يكن امين عام الحزب الاشتراكي حزينا على

النعمان وانما كان حزينا على انهيار مخطط الانفصال وانتصار الوطن والشعب ونسي او تناسى تاريخ الحزب ومنجزاته المشهورة في السحل وتفجير الطائرات برموز الوطن وقهر ابناء شعبنا وسلب حرياته في جنوب وشرق اليمن.. والمفارقة المذهلة ان الأمين العام الحالي للاشتراكي كان أبرز صناع الإرهاب ومدبري العنف أثناء الحكم الشيوعي في عدن واليمنيون كلهم يعرفون ان (مقبل) هو مهندس انتفاضة الفلاحين والرجل الذي اشرف على المذابح الجماعية في مطلع السبعينات وهاهو اليوم يستثمر مناخ الحرية لتشويه صورة بلاده، وعموما فمن محاسن الديمقراطية ان يعبر الجميع عما في فكرهم وصدورهم ليستطيع المواطن ان يعرف ماتخفيه الصدور سواء كانت حسنة ام سيئة.

وهكذا تعود حرية الكلمة مع صراع الفكر الى دنيا اليمن السياسية.

- قال لي الشيخ الاحمر ونحن في منزله:

ستجرى الانتخابات القريبة في موعدها وبكل حرية ولن يفسد الامن والاستقرار احد في الداخل او في الخارج.

وقد رحت أبحث عن اقطاب الأحزاب المعارضة وتحدثت مع كثير منهم ورأيت فيهم المنصف والمعترف بالقيمة الهائلة للتطور السياسي والديمقراطي الحاصل في بلاده، كما رأيت الذي ينكر هذه القيمة ولايتحدث إلا عن الأخطاء والنواقص. ولكنهم جميعاً يعترفون انه لايوجد سجين سياسي في اليمن وأنه لارقابة على صحفهم او مقرات أحزابهم.

انهم يعقدون الاجتماعات والمهرجانات ويوزعون المنشورات والبيانات ولكن بعضهم ينكر وجود الديمقراطية، واذا سألته عن الدليل فإنه يقول بأن الائتلاف الحكومي مسيطر على الحكومة والبرلمان وقد أصدر القانون الفلاني او القرار الفلاني دون اخذ رأي المعارضة.. وفتشت عن سبب الجحود واكتشفت ان هؤلاء يقودون أحزاباً ضعيفة لاحظ لها في المنافسة.

وتستغل بعض احزاب المعارضة الظروف الاقتصادية وتقود حملة

دعائية شرسة ضد الحكومة ويدعوهم الرئيس علي عبدالله صالح للحوار ويطلب منهم ان يتقدموا ببرامجهم الاقتصادية البديلة لبرنامج الحكومة حتى يلزم الأخيرة بها إذا وجد فيها الأفضلية ولكنهم لايفعلون بل يؤكد الرئيس استعداده لإشراك الأحزاب المعارضة في الحكم اذا قدمت برامج واضحة لإخراج البلاد من وضعها الاقتصادي.

والرئيس اليمني يعقد اجتماعات غير دورية مع قادة المعارضة ويطلب مشورتها في بعض الأمور. ومؤخراً شكل مجلساً استشارياً منحه صلاحيات واسعة في دراسة مشروعات القوانين والمعاهدات والاتفاقيات. وضم المجلس عدداً كبيراً من قادة المعارضة، اصلاحيين واشتراكيين وناصريين وبعثيين، فضلاً عن شخصيات عامة مستقلة.

ونقرأ في صحف اليمن اخباراً عن اضراب عمال احدى الشركات المختلطة ويستمر الاضراب عدة أيام ولايواجه المضربون بأي اجراء لإجبارهم على العمل ولكن الحكومة تتفاوض معهم ثم يفكون الإضراب بعد ان تلبي مطالبهم.

ونفس الأمر يفعله المدرسون في الجامعات اليمنية، وينتهي الإضراب بالحوار والاستجابة للمطالب.

لقد انفتحت أبواب الديمقراطية في اليمن على مصاريعها، حتى بقايا العهد الملكي وهم مفردات قليلة يكتبون في الصحف ويهاجمون الحكومة. والانفصاليون الفارون في الخارج ينشرون بياناتهم واخبارهم في بعض الصحف الأهلية الممولة منهم وفي صحيفة الحزب الاشتراكي (الثوري) والصحف الحزبية المتواجدة في الخارج.

ولايوجد في اليمن حظر على أي فرد من الأسرة الأمامية او ممن حاربوا مع الانفصال او من السلاطين السابقين ولكن نفراً منهم يعيشون في منافيهم الاختيارية نتيجة ارتباطاتهم بمنافع مالية او انشطة تجارية، والكثير منهم يتردد الى اليمن بين وقت وآخر.

وتنفق السعودية ملايين الدولارات على الانفصاليين الذين يتآمرن على اليمن من الخارج ونفس الشيء على الفلول الباقية من أسرة حميد الدين وابناء عمومتهم. وهم يصدرون الصحف في الداخل والخارج ويطلقون التصريحات وحملات الدعاية ضد بلادهم ولكنهم يروحون ويجيئون الى اليمن دون قيود.

وليس هناك غير ستة عشر شخصاً مطلوبين من الادعاء العام سوف يمثلون أمام القضاء ان هم امتكلوا شجاعة القرار وركبوا الطائرة الى صنعاء او عدن او اي مدينة يمنية.

ولقد رأيت امامي الاخ علي عبدالكريم، سلطان حضرموت السابق واقتصر حديثنا على ذكرياتنا في مصر ايام كان لاجئاً سياسياً وكنت انا رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية المصرية في القاهرة. وقال لي السلطان السابق ان الرئيس اليمني دعاه لمقابلته ورحب به ولم يعترض مطلقاً على علاقاته الودية مع الرياض او القاهرة او لندن وانه يتفهم الوضع -وضع السلطان تماما-.

لقد جرت الانتخابات البرلمانية واتجهت انظار الجزيرة العربية بأسرها صوب اليمن وأدرك الجميع ان اليمن الجديد بعد وحدته واستقراره لن يتزحزح عن طريق الحرية والديمقراطية والتنمية والبناء وان الدنيا بألف خير والف امن والف استقرار وفي البداية كان اليمن.

وفي النهاية يكون اليمن وبالامس كان اليمن هو ذلك المجهول واليوم اصبح اليمن هو ذلك المعلوم.

ذلك ان يمن اليوم اصبح بمثابة صفحة مكشوفة بكل ثوراته وانتفاضاته ووحدته وتطوره وحرياته! الصحافة حرة، ومناقشات البرلمان حرة، ولقاءات الاحزاب حرة، والدنيا بألف خير.

ولكن رواسب القرون الطويلة الماضية مازالت تطل برؤوسها الكريهة لكي تمنع مسيرة اليمن من التقدم الى الامام.

وعلى كل مـن يحب اليـمن من الاشـقـاء او من الدول المجـاورة او من المستـشـرقين المؤرخين المولعين بحـضـارة اليمن وتاريخ اليمن ان يسـاعـد اليـمـن النامـي للتــغلب عـلى رواسب المـاضـي، وان يمنح النـصح المخلص ويمده بالعون الوفير ويأخذ بيده - بيد هذا الشقيق النامي - الى شاطئ القوة والخيـر والمنعة والتقـدم، ففي خيـر اليمن موقـعاً وارضـاً وشعبـاً يوجد الخيـر لكل عربي في العالم.

● ● ●

الفصل الثالث عشر

هل جاء دوري كي اكتب عن اليمن؟!



عرفت الشرق الاوسط بكل افراحه واحزانه، عشت مع همومه وانتصاراته، صادقت رؤساءه وهاجمت بعض ملوكه، عاصرت انقلاباته وحملت نصيبي من نكساته ونكباته صفقت لكل وحدة سياسية تحققت وندبت كل انفصال دفن هذه الوحدة في التراب وعرفت الشيوعيين،والقوميين، والبعثيين، والاشتراكيين، والرجعيين، والمستقلين، ولم امشِ وراء احد منهم، ولم اهادن طرفاً، ولم ابايع زعيماً، ولم اركع امام ملك أو امير! ومشيت وراء خطى عبدالناصر لمدة عشرين سنة كاملة آملاً في ان يعيد لي نصف وطني الذي ضاع في عام ١٩٤٨م، فاذا به يضيع النصف الذي كان عربيا في حرب عام ١٩٦٧م!!

وكنت معه في قصر الضيافة في دمشق عام ١٩٥٨م وهو يخطب امام مليون سوري من شرفة القصر ليلة مولد الوحدة بين سوريا ومصر، وكنت اعرف ان العرب - بعض العرب - يحبون الوحدة ولكن على شروطهم، ويطالبون بها أو يحلمون بمجيئها، ولكن سعيا وراء منافعهم!. وكنت قد قرأت في كتاب اعمدة الحكمة السبعة للجاسوس البريطاني الاشهر، لورنس، ان اهل دمشق استقبلوا الملك الهاشمي (فيصل بن الحسين)، الذي اصبح فيما بعد، ملكا على العراق في عام ١٩١٨ استقبال الخلفاء

والفاتحين، والابطال، ولكنه عندما خسر معركة (ميسلون) امام القوات الفرنسية، وأرغم على الرحيل، لم يجد في وداعه عند محطة سكة حديد (درعا) بجوار دمشق سوى مطران الروم الارثوذكس!

وعندما سألني عبدالناصر، في ليلة الوحدة عن الانطباع الذي اراه في مشهد مليون سوري يجتمعون في ساحة واحدة ويهتفون باسم (جمال عبدالناصر)، والوحدة، والثورة، اجبته بصراحة:

- ولكن (لورنس) لم يعط مثل هذه المظاهرات كبير اهمية واحترام.! وخاصة هنا في دمشق!)

ثم سردت له ما سبق وكتب لورنس عن الملك فيصل الهاشمي في كتاب (اعمدة الحكمة السبعة) فقاطعني عبدالناصر بنبرة غضب:

- يا أخي.. ملعون ابو.. لورنس!

وبعد اقل من ثلاث سنوات، كان عبدالناصر يتذكر كلامي القديم عن المظاهرات الخيالية التي استقبلته في ساحات دمشق ليلة الوحدة بين دمشق والقاهرة، وكيف انقلب كل ذلك الى الضد، والى العداء، والى الشتائم، والى الاتهامات، والى الردح والتشليق، بعد وقوع الانفصال وضياع (الوحدة) مع دخان الحشيش، وليالي السمر، ومؤامرات اكرم الحوراني، وصلاح البيطار، وميشال عفلق، وعبدالحميد السراج، بالتعاون مع المخابرات الامريكية والاسرائيلية و (الرجعية).. اياها!

وقبل ان يقع الانفصال بين دمشق والقاهرة، كانت شوارع دمشق ملأى بالاتهامات ضد عبدالناصر ! وكان المواطن السوري الذي صفق قبل عامين للوحدة، ينادي اليوم بسقوطها!

وكانت مصر تتهم سوريا بالابتزاز و(الدلال) على حساب المنافع المصرية! وكان الجيش السوري يتهم عبدالناصر- بعد شهور قليلة من قيام الوحدة- بأنه ضحك على شكري القوتلي وسرق منه الرئاسة وأعطاه مجرد لقب في عبارة (المواطن العربي الاول)! وتحولت جلسات (مابعد) الوحدة في القاهرة الى سلسلة من المعاتبات والاتهامات حيث كان يتبارى

اكرم الحوراني وصلاح البيطار في خلق القصص الخيالية ضد الوزراء المصريين في حكومة الوحدة.. وضد محمود رياض، وعبدالحميد غالب، ومحمود فوزي وعبدالحكيم عامر، مع الاتهامات الجائرة بالعمالة والخوف من مواجهة اسرائيل ضد جمال عبدالناصر بالذات!

وكان عبدالناصر، يتلقى كل هذه السهام بصدر رحب وصبر عجيب حرصاً منه على هذه الوحدة التي اعطته الكثير من الامجاد والاعتبار والوزن الدولي، وأملاً في ان تصمد تلك الوحدة امام الاعاصير وتنتصر على الاعداء وتصبح مثلاً حياً لكل بلد عربي، يريد ان يتشبه بها او ينضم في وحدة جديدة مع أي بلد عربي آخر من جيرانه واشقائه!

لم تصمد الوحدة بين سوريا ومصر طويلاً.

وكان الرجل الثاني في مصر، واعني به قائد الجيش وصاحب الرقم (٢) في التركيبة السياسية المصرية، ونائب الرئيس عبدالناصر، اقول كان (عبدالحكيم) هو اول من ركب الطائرة الحربية من مطار دمشق بعد الانفصال، وهرب عائدا الى القاهرة، دون ان يكلف نفسه مشقة الدفاع عن الوحدة، ودون ان يطلق رصاصة واحدة لكي تبقى وتعيش!

وما جرى بين دمشق والقاهرة في عام ١٩٦١م! أوشك ان يجري- تماما- في (صنعاء) وعدن عام ١٩٩٤م مع الفارق الكبير بين التجربتين، فالوحدة اليمنية قامت بين شعب ووطن واحد موحد منذ الأزل ولم تجزئه سوى تدخلات المستعمرين وتسلط حكم الأئمة الغاشم حتى وإن تشطرت الأنظمة الحاكمة في الشمال والجنوب .!

كانت الأحزاب السياسية في (صنعاء) صورة لما كانت عليه دمشق في ايام الوحدة، هناك حزب (الشعب الديمقراطي)، وحزب البعث، وحزب الطليعة الشعبية، وحزب العمل، وحزب الناصريين، بالاضافة الى الحزب الديمقراطي الثوري اليمني، والمقاومين الثوريين وغيرهم.. وفي عام ١٩٧٥م اعلنت في اليمن شبه احزاب وطنية يسارية عن ميولها الماركسية .. الواضحة!

وكما جرى التآمر من بعض (الاشقاء) العرب على الوحدة السورية-

المصرية كذلك لم تنقطع المؤامرات الخارجية وللأسف من بعض الاشقاء، على اليمن منذ الشهر الاخير في عام ١٩٧٨م حتى نشوب الحرب اليمنية الاخيرة عام ١٩٩٤م!

وكما ساهم الشيوعيون في عدن، في محاولة (قتل) الوحدة التي سبق لهم ان شاركوا في رفع علمها اضطراراً وهروباً من مصيرهم الأسود، كذلك كان خالد بكداش الشيوعي السوري الشهير من اكبر المتآمرين على وحدة مصر والشام في ١٩٦١م!

ويبدو جلياً ان العرب في موقفهم من الوحدة، يتشبهون بقصة (بيجماليون) أو الشخص الذي صنع التمثال ثم حطمه.

انهم يصرون على المطالبة بالوحدة حتى تتحقق، ثم يبدأون فورا في اجهاضها! والوحدة بين الضفة الغربية في المملكة الاردنية لم تعش اكثر من ١٧ سنة، ثم مضت وانتهت! والاتحاد الهاشمي المعروف بين الاردن وبغداد، ايام النظام الملكي في العراق، مات في شوارع بغداد صباح يوم ١٤ تموز - يوليو عام ١٩٥٨م، ولاقى رئيس وزرائه الراحل ابراهيم باشا هاشم وبعض وزرائه مثل سليمان طوقان حتفهم بالقتل والتعذيب في شوارع بغداد!

ولكن وحدة اليمن، رغم الاعاصير كلها، والزوابع كلها، والمؤمرات كلها، والشيوعية كلها، استطاعت ان تبقي وان تصمد.. وان تعيش ! ذلك ان الذين صنعوا الوحدة في اليمن كانوا مستعدين للدفاع عنها والاستشهاد من اجلها، والذين ارادوا قتل الوحدة وتحقيق الانفصال بالقوة، كانوا اقل شأناً منها، واصغر وزناً من العمالقة الذين صنعوها! ان الخطوات الجبارة التي قطعها علي عبدالله صالح منذ انتخابه رئيسا لليمن في عام ١٩٧٨م، حتى قيام الوحدة كان محتماً أن تصل به وباليمن، الى هدف واحد، هو: الوحدة.. ومنذ اليوم الاول من مجيئه الى الرئاسة بانت لهذا الرجل معالم الطريق جيداً.. وعرف وجوه خصومه واسماء انصاره! وبعد اقل من عام واحد من تسلمه الرئاسة كانت ما يسمى الجبهة الوطنية الديمقراطية

التي دعمها الشيوعيون في عدن تعلن- كذبا وتحرشاً- بأنها تسيطر سيطرة تامة على بعض المدن اليمنية (الشمالية)..!

وادرك علي عبدالله صالح ان الصراع بينه وبين خصومه الشيوعيين بدأ يرتدي لباساً عسكرياً، وحمل البندقية، وأخذ يقاتل ببسالة دفاعاً عن وطنه.

وعندما بدأ علي عبدالله صالح ينفذ بعض المشاريع الاجتماعية، ويرفع اجور الموظفين ومستخدمي الدولة، اتهمه الخصوم بأنه يريد هدر اموال الدولة لكي (يشتري) رضى الموظفين والمستخدمين!

واستمر النظام الشيوعي في عدن، في اطلاق النار وفي شن الحملات الاعلامية المعادية والمسمومة على الحكم في الشمال ووقعت الحرب بين الشطرين!

وتوسطت (الكويت)، ثم سوريا ثم العراق بين الدولتين المتخاصمتين، ولكن دون جدوى! وصدر البيان المشترك في مارس ١٩٧٩م يحمل توقيع علي عبدالله صالح باسم الشمال، وعبدالفتاح اسماعيل باسم الجنوب، من اجل تشكيل لجنة دستورية يعهد اليها اعداد مشروع دستور دولة الوحدة. ووافق علي عبدالله صالح على فتح الباب امام (الجبهة الوطنية الديمقراطية في الجنوب للمشاركة في الانتخابات البرلمانية القادمة، وفي اية اعمال او نشاطات تقوم بها الحكومة).

ومضى علي عبدالله صالح، يحارب على جبهتين رئيسيتين اثنتين وكبيرتين: احداهما ترقب بحذر شديد مؤامرات النظام الشيوعي في عدن، وجبهة داخلية تمهد لنشر كل معالم الحكم الديمقراطي القوي الصحيح في الشمال اليمني!

وانتخبت الدورة الثالثة من مجلس الشعب التأسيسي.

وللمرة الاولى جرت انتخابات المجالس البلدية..

وتكررت اللقاءات بين علي عبدالله صالح وممثلي النظام في عدن،

ولم يكترث مطلقاً للموقف السعودي المناهض لأي تقارب بين عدن وصنعاء! كما لم يهتم بالقلق السعودي من جراء الاصرار على التمسك اليمني (باستقلالية) القرار اليمني بعيدا عن أية وصاية.. سعودية!

وبعد حوار وطني تم الاتفاق على اعداد ميثاق وطني جديد لليمن.. وتم التفاهم على اجراء انتخابات حرة لانشاء المؤتمر الشعبي العام كإطار جبهوي يضم كافة القوى السياسية.

ففي منتصف عام ١٩٨٠م، صدر القرار بتشكيل اللجنة العليا للحوار الوطني على اثر لقاء الرئيس علي عبدالله صالح مع ممثلي مختلف القوى السياسية والاجتماعية ومع شيوخ القبائل، تمهيداً لإعداد ما يسمى (بالميثاق الوطني) – اي الوثيقة البرنامجية للقوى الوطنية على اساس مبادىء ثورة سبتمبر ١٩٦٢م.

وقبل ان ينتهي عام ١٩٨٠م، صدر قانون الانتخابات المنتظر لانتخاب اعضاء للمؤتمر الشعبي العام..

وبعدها بشهرين اثنين فقط القى علي عبدالله صالح خطاباً امام لجنة الحوار الوطني التي عقدت جلساتها برئاسته، وقال ان المهمة الرئيسية (للميثاق) الوطني يجب ان تكون تحقيق الوحدة اليمنية..

واصدر قراراً بتوزيع نص الميثاق وطرحه على الشعب لإبداء رأيه فيه في استبيان واستفتاء شعبي.

وهكذا حقق الرئيس علي عبدالله صالح أول آماله الوطنية الكبرى في ملء الفراغ السياسي، وصهر الاحزاب السياسية اليمنية بأسرها ضمن بوتقة واحدة يتفق فيها الجميع على الحد الادنى من المبادىء السياسية الوطنية، وانتشرت نسخ الميثاق في سائر انحاء البلاد اليمنية.

ومع بداية شهر ايلول سبتيمر لعام ١٩٨١م، انتهت عملية الاستفتاء الشعبي العام على مشروع الميثاق، وادخلت عليه التعديلات اللازمة نتيجة الملاحظات التي ابداها الشعب في الاستبيان المذكور.

وصدر القرار الذي يحدد اعضاء المؤتمر الشعبي العام..

ومنحت المرأة حق الانتخاب... لأول مرة!

وشعر الناس بأن الدولة عازمة على ترسيخ الوحدة الوطنية وتوطيدها في البلاد.

وقبل ان ينتهي عام ١٩٨١م اقرت اللجنة المشتركة المؤلفة من شطري اليمن مشروع دستور (دولة الوحدة).

ان الوحدة والعمل من اجلها لم تفارق ابداً تفكير علي عبدالله صالح. لقد اقر المؤتمر الشعبي العام الميثاق الوطني بصورته النهائية في ٢٤ اغسطس عام ١٩٨٢م، واصبح الشعب ملتزماً بتنفيذ هذا الميثاق، والاخلاص له والتمسك به والاسترشاد بنصوصه.

ولما كانت الديمقراطية هي الوعي السياسي المطلوب فقد امر الرئيس علي عبدالله صالح بتنظيم الندوات واللقاءات في المصانع والمؤسسات العامة تحت اشراف المؤتمرات الشعبية الفرعية والمؤتمر الشعبي العام، بهدف رفع الوعي السياسي، ومضاعفة مساهمة الشعب في الحياة الاجتماعية والسياسية..

وانشأت الدولة معهداً خاصاً لدراسة الميثاق..

وانعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للعمال، وجرى انتخاب الهيئات القيادية للاتحاد وهي المجلس الاعلى واللجنة التنفيذية وغيرها..

ومضى الركب يسير في اتجاهين اثنين عملاقين:

اولهما: الوحدة.. في اتجاه ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م

وثانيهما: الديمقراطية والحرية صوب الرقي و المجد لليمن!

وهكذا انتهى الرئيس من اهداء الميثاق الى شعب اليمن لكي يدعو فيه الى الولاء الوطني الذي هو اشبه بالعقيدة التي تتجسد سلوكا والتزاماً في الحفاظ على سيادة الوطن واستقلاله، مع الاخلاص لمبادىءالثورة اليمنية والتفاني في سبيل الوحدة الوطنية عملاً بالحديث النبوي الشريف: (ليس منا من دعا الى عصبية) صدق رسول الله.

ولم يغفل الميثاق ان يفسر او يشرح مزايا الوحدة الوطنية القادرة على مواجهة المخاطر ، والتي هي الطريق القويم للوحدة العربية الكبرى بعيداً عن الاقليمية واطاعةلأمر الله عز وجل في قوله في سورة الانبياء:(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون).

وفي الميثاق الوطني الكثير من الاشادة والتغني بمزايا الحرية -وكأنني اكاد اسمع صوت جمال عبدالناصر ينادي بهذه الامة فور انتصار ثورة ٢٣ يوليو (ارفع رأسك يا اخي فقد مضى عهد الاستعمار).

وفي الميثاق اناشيد وانغام ترفع من قيمة الديمقراطية الى الدرك الاعلى، وهي الديمقراطية الاسلامية التي لا تسمح بالفوضوية او الديكتاتورية بجميع اشكالها، بل تكفل جميع (الحقوق والحريات في اطار ذلك الالتزام) وتمنح الشعب القدرة على اختيار ممثليه في المؤسسات الدستورية مع القدرة على مراقبتهم ومنعهم من الانحراف، وهكذا تبقى حقوق المشاركة في النشاط العام، والتمتع بكافة الحقوق السياسية والمدنية، وحق الترشيح والانتخاب حقوقا مكفولة لكل مواطن يمني).

وبعد هذا..

فإنّ من الضروري -كما يوصي الميثاق- بناء هياكل الدولة على أسس علمية نحو ماهو افضل وخلق مناخ تنموي تتعمق فيه الثقة بين المواطن والدولة..

ومن هنا، يجري بناء الدولة المركزية والديمقراطية القوية المستنيرة بكل مؤسساتها واجهزتها الدستورية والتنفيذية مع تحقيق مبدأ المشاركة على المستوى المحلي عن طريق تحقيق نظام الادارة المحلية ونشر العدل الاجتماعي والعمل على تنمية اقتصاد البلاد..

ولم يغفل الميثاق اهمية الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية موصياً بوضع خطة مدروسة (تراعي حرية النشاطات التجارية التي يزاولها القطاع الخاص.. والقطاع المختلط والقطاع العام، مركزا على ان واجب الدولة التركيز على استغلال ثروات البلاد المعدنية والبترولية ومواصلة

الجهود للبحث عنها واستخراجها.. واضعين نصب اعيننا سيادة الشعب على ثرواته الطبيعية والقدرة على ايجاد موارد كافية وثابتة تضمن رخاء المجتمع وسعادة الانسان اليمني).

وافرد الميثاق -كذلك- صفحات عدة للحديث عن التربية والثقافة - لأن التربية هي الاساس في تحديد نوع الثقافة ومسارها وابعادها، بما لها من قدرة توجيهية للفكر والضمير والسلوك.. على ان تبقى (العقيدة) الاسلامية هي الاساس وهي المحور لأن لهذه (العقيدة) فعلها في احتفاظ الشعب اليمني بشخصيته وهويته).

ويقول الميثاق في هذا المعنى :(وفي تاريخنا المعاصر ادت مدرسة ثورة ١٩٤٨م الفكرية دوراً فعالا في تحديد مفاهيم الفكر الاسلامي وفي مقاومة الاستبداد ورفض التخلف وفي معاداة الاستعمار ومطامعه، وقد امتدت آثارها لتكون شرارة التفاعل في ثورة (٢٦سبتمبر)، و(١٤ اكتوبر).

ثم يستطرد :

(... وان الاهتمام بمسألة الثقافة انما يعني الاهتمام بكيان اليمن المستقل، وطابع الشخصية اليمنية المميزة، وينبغي ان تترسخ هذه المفاهيم عن طريق استخدام وسائل التثقيف العام والمراحل التي تسبقها..)

وقبل ان تنتهي صفحات الميثاق نقرأ فيه عدة صفحات تتحدث عن السياسية الخارجية لليمن وعن الدفاع الوطني، سواء في مجالات القوات المسلحة، أو في مجال قوا ت الشرطة(لان العمل في القوات المسلحة من اقدس الواجبات) (ولان حماية امن المواطن وسلامة المجتمع، لاتقل اهمية عن حماية حدود الوطن واستقلاله..)

اما في السياسة الخارجية، فقد اوصى الميثاق بأن تبقى سياسة اليمن الخارجية واضحة ومبنية على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة مع جميع الدول، ومبدأ التعامل بالمثل.. مع التفاعل الجاد مع اماني الامة العربية.. وان يبقى اليمن السند القوي للقضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين التي تبقى في مقدمة القضايا المصيرية، مع تأييد السلام القائم على

العدل والتمسك بميثاق جامعة الدول العربية، وميثاق الامم المتحدة، وتضامن دول العالم الثالث والالتزام بمبادئ عدم الانحياز، وتحقيق المزيد من التضامن بين الدول الاسلامية،ودول العالم الثالث، وان لايمس التعامل في السياسة الخارجية بكرامة الدولة او استقلالها او وحدة اراضيها..

نعم.. هذا كلام جيد ومؤثر وجميل وكبير.

لقد تضمن الميثاق سائر المبادئ التي توحد الشعب اليمني وتربط القاعدة الشعبية بالقيادة -كما جاء في الخاتمة- في ظل النظام الجمهوري القائم على الايمان بالاسلام وبالديمقراطية وبالعدالة الاجتماعية وبالولاء الوطني وبالتنمية وبناء القوات المسلحة، والاخلاص المطلوب في تنفيذ كل بند وكل حرف من صفحات هذا الميثاق..

وستبقى حروف هذا الميثاق مضيئة ومشعة بالفخر والعزة والوئام والاستقرار في حياة اليمن، دولة وقائداً وشعباً واحزاباً.

لقد اثار الميثاق اعجابي واحترامي. ولم اكن وحيدا في هذا الشعور، فقد اثار الميثاق اعجاب عدة دول عربية شقيقة ونهجوا على منواله واقتبسوا الفكرة وقلدوها!

ويبقى الرئيس علي عبدالله صالح هو صاحب الفضل الأول والأكبر في انجاز هذا العمل الوطني الجليل الفذ: منارة العمل السياسي والاجتماعي امام كل مواطن يمني!

لقد شدتني خطوات علي عبدالله صالح -صوب المسؤولية- كي يتحملها- وصوب الديمقراطية كي ينشرها وصوب الوحدة كي يحفظها، وصوب الانفصال كي يحاربه..

لقد وقفت طويلا عند مجموعة الخطب التي القاها علي عبدالله صالح منذ عام ١٩٨٠م حتى قيام الوحدة، وحتى فتنة الحرب والانفصال، وحتى النصر، وشعرت بأنه يحكي ولا يبالغ، ويقول ولايكذب، ويعد

ولايتراجع، ويؤمن ولا يكفر، ويعطي ولا يمن!

لقداستطاع ان يتصدى لأعداء اليمن، من مستعمرين، واشقاء وابناء (يمن) وان يصبر طويلاً على كيدهم وعلى دسائسهم، وعلى تهديداتهم، وعلى مناوراتهم.. بعضهم حاربه باسم الدين، وبعضهم ثار عليه باسم الدفاع عن الحقوق، وبعضهم تطاول عليه باسم التصدي للتيار الشيوعي، وبعضهم اراد ان يستوفي المقابل للمال الذي كان يقدمه لليمن قروضا او مساعدات، وبعضهم كان يتآمر لحساب الاستعمار ويكره رئيسه لحساب الأجنبي ويناوئ ويناور لحساب امريكا او بريطانيا او اسرائيل..!

كل هذا، وكانت الابتسامة لاتفارق وجه علي عبدالله صالح، وهو يسمع ويرى ويقرأ كل ذلك. هؤلاء الاعداء، والخصوم المجبولون بالحقد، والتوتر، والكراهية، لم ينسوا لفظا بذيئاً او شتيمة حقيرة، الا ونشروها كي يسمعها ويقرأها الرئيس علي عبدالله صالح في الصحف وفي الاذاعة وفي التلفزيون، داخلياً وخارجياً!

وارادوا له الهزات لكي يتعب، ويقلق، ويخاف ويستقيل ثم يختفي!

وارادوا له الدخول معهم في (معاركهم) الجانبية الصغيرة لكي يلتهي بها عن معاركه الكبرى ضد الفقر والحاجة والاخطار الاستعمارية ومناورات اسرائيل.

ولكنه، اشاح بالوجه الرجولي العازم عنهم، وترك الكلاب تنبح، لأن القافلة -قافلته، وقافلة اليمن الجديد المتوثب- كانت تسير!

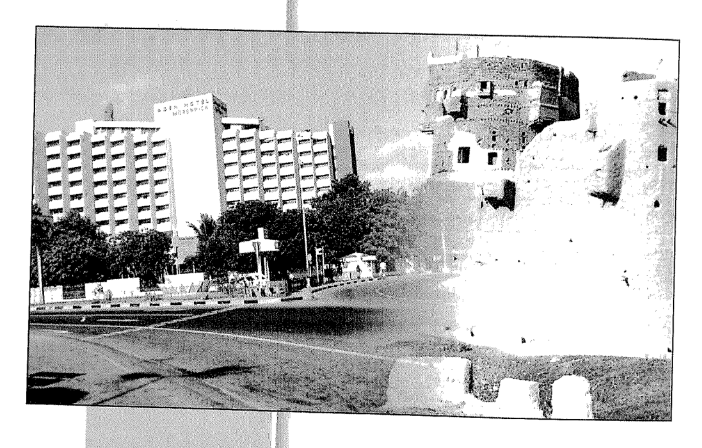
كل هذا شدني واعجبني وادهشني حتى صرت اسأل نفسي قبل ان اكتب سطراً واحداً من هذا الكتاب عن اليمن:

- ترى هل جاء دوري لكي اكتب عن اليمن؟

أجل..!

الفصل الرابع عشر

من القرون الوسطى الى القرن الواحد والعشرين



اردت ان اعرف (يمن الظلام) قبل ان اعرف (يمن النور)!

وذهبت الى قصر الامام في قلب صنعاء، وصعدت ثمانين درجة في سلم مرتفع من الحجر الاسود، وقبل ان اصل الى غرفة نوم الامام اصابني شعور بالغثيان والدهشة! وكيف يمكن لرجل ان يحكم بلدا او يرعى شعبا بينما هو يعيش في مثل هذه الغرف الحجرية السوداء التي تقبض النفس وتسكت العقل وتوحي بالموت؟. النوافذ صغيرة والحيطان نافرة والأرض رطبة والسقف مكسو بالشقوق العفنة! وفي الخارج شرفات تعشعش فوقها الغربان والقصر يطل على شوارع صغيرة متلاصقة ليس فيها الا الاتربة والغبار والأوساخ والهواء الملوث ومواكب الذباب.. وسألت نفسي للمرة العاشرة كيف كان ممكنا لمثل هذا الحاكم المتحجر ان يقدر على تحرير فلسطين -مثلا- او يعمل على تطوير الجامعة العربية او ان يفكر بمصير القدس او يصلح العلاقات بين الفئات الاسلامية المتحاربة في افريقيا وآسيا والشرق الاوسط؟

واذا كان من حق امام اليمن الراحل ان يختار نوع حياته او نوعية مسكنه، الا انه ليس من حقه ان يفرض هذا الظلام القاتل على شعبه أو ان يتذرع بالحكمة التي تقول:(من ساواك بنفسه ما ظلمك)!

لقد تسنى لي ان اكون برفقة الزعيم الفلسطيني الراحل (موسى العلمي)

عندما التقى رؤساء العرب ووزراءهم في القاهرة والاسكندرية من اجل اعداد صيغة (البروتوكول) الذي قامت عليه جامعة الدول العربية على ايام سكرتيرها الاسبق عبدالرحمن عزام. وكان هذا في اواخر عام ١٩٤٥م، وكانت المناقشات تستمر حتى منتصف الليل والاجتماعات لاتنتهي الا كي تعود وتلتئم، والمواقف الرسمية حول اهداف الجامعة العربية وهيكلها وميثاقها وقراراتها، تتضارب وتبتعد.. ويقف (رياض الصلح) ويدلي بآرائه حول موقف لبنان من ميثاق الجامعة ثم يتكلم (جميل ردم) باسم سوريا ويأتي دور (نوري السعيد) لكي يحدد المفهوم الرسمي العراقي لرسالة الجامعة العربية، وبعده توفيق ابوالهدى، وسمير الرفاعي، والامير فيصل السعودي، وكل واحد من الخطباء يدلي بدلوه في المناقشات ويستعين بأحدث واصدق ما ورد بأقلام المفكرين وفلاسفة السياسة من آراء حول موضوع (التكتل الاقليمي) ومنافعه واخطاره، مع مزاياه ومساوئه، مع ايجابياته وسلبياته..

وجاء دور اليمن لكي يقول كلمته..

واذا بمندوب اليمن يومذاك، وكان اسمه السيدحسين الكبسي يقف خجولاً ومعتذراً لكي يلقي عبارة واحدة لاتنم الا عن الكسل او الجهل، او الخوف او التأخر الفكري ويقول فيها:

- انا هنا مجرد مراقب..!

ثم يكرر:

انا هنا مجرد مستمع.!!

ثم يعيد:

- انا هنا مجرد ضيف!

وضجت القاعة بالضحك والتفت الوزراء صوب (الكبسي) يهنئونه على صراحته ولكنهم لم يهنئوا الدبلوماسية اليمنية -يومذاك، على تحجرها وفقرها..

وتمر الايام..

ونصل الى صيف عام ١٩٩٧م لكي نقرأ لرئيس وزراء اليمن الدكتور فرج بن غانم حديثاً في صحف لبنان يتحدث فيه عن نتائج معركة البناء والتنمية في اليمن، ويقول بكل دراية وادراك:

(... ان جهود الشعب تسير صوب القيام بعمليات التنمية الشاملة في البلاد.. وكل ما انجزناه خلال السنوات الثلاث الماضية يؤكد على توفر الامكانيات لتحقيق الاهداف التي نطمح اليها..) كما يبشر بتعاظم الارداة الوطنية التي تساند القرار السياسي بهذا الصدد..

وهو كلام يدل على الكثير من الفهم والاستعداد الذهني إذ اضاف رئيس وزراء اليمن قائلا:

(... ونحن نطمع في توفير المناخات الملائمة لتنفيذ برنامج عملنا.. وبعد هذا فالبرنامج المطلوب يبقى خيارا وطنيا يستلهم معطيات وحقائق الواقع اليمني، ويتفاعل مع هذا الواقع بإرادة حية وواعية والخطوات اللاحقة في البرنامج سوف تتركز في مجال الاصلاح الاداري وترشيد السياسيات الاقتصادية وتحديث الادارة بما يتفق ومتغيرات الاوضاع العامة، وبما يتجاوب وحجم التحديات الكبيرة للحاق بحركة العصر..

ثم يتحدث رئيس الوزراء عن مشاكل اليمن في البنية التحتية فيحددها ويذكرها بالاسم:

(انها المياه.. والطاقة.. والنقل.. والمواصلات)

ثم يقول فوراً: (ان المؤتمر الدولي للمانحين الذي عقد في (بروكسل) اعلن عن دعمه وتقديره للنجاحات السياسية التي حققها اليمن وابرزها الانتخابات البرلمانية الاخيرة.. الامر الذي اعاد الثقة في الاوضاع الاقتصادية ومستقبلها)! ثم يتحدث عن السوق العربية المشتركة ويقول انها : (واحدة من المفاتيح الرئيسية في مجابهة التحديات الكبرى امام العرب، الشيء الذي يجعل منها ضرورة وليس مجرد عواطف!).

ثم ينهي رئيس وزراء اليمن كلامه قائلاً عن التضامن العربي:

- (يمكن ان يستعيد العرب تماسكهم حالما تكتمل ارادتهم على حماية وتنمية مصالحهم المشتركة..)

ثم يهاجم سياسة اسرائيل ويغمز من قناة رئيسها ويشكك في تحقيق السلام ما دام التعنت والتطرف يحيطان بالموقف الاسرائيلي في عملية السلام ثم يصر مطالبا بإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف..

وهذا كله شيءجديد وجيد ومثير والمسافة بين مثل هذه الاراء في صيف ١٩٩٧م وموقف (الكبسي) - ممثل اليمن في الجامعة العربية في عام ١٩٤٥ كالمسافة بين الارض والقمر..

ان نائباً في البرلمان اليمني يصرح بدوره في تصريحات للصحف اللبنانية ان (على العرب اللحاق بركب التقدم الذي وصل اليه العالم.. وحتى يتمكنوا من دخول القرن الواحد والعشرين برؤية عربية واحدة.. يجب توفر الاجواء لبناءالاقتصاد العربي المتكامل.. والذي من خلاله نستطيع موا جهة كل التحديات التي تواجهنا).

ومرة اخرى هذا كلام جيد وجديد ومثير، لاعلاقة له بالماضي الاسود (الفقير) الذي ساد عهود الأئمة في (صنعاء) وجعل وزيرا محترماً ومؤدباً ووطنياً مثل (الكبسي) يلتزم الصمت حيال مواضيع عربية خطيرة تحدد مصير التضامن العربي بأسره في اجتماعات الجامعة العربية عام ١٩٤٥م !.

ومن حظ اليمن، ان شعبه يبقى مثالا للتحفز والتطور والترقب والمصارعة، وهذا كله يساعد على خروج البلد من الظلام الى النور. لقد تذكرت كلاماً (لابن خلدون) قاله في القرن الخامس الهجري عن مصر (... ثمة بلدان لا يعرف القلق فيها سبيلا الى قلب السلطان لندرة الثورات فيها! ففي مصر مثلاً لا تجد غير السيد المطاع والرعية المطيعة...)!!

ولكن شعب اليمن بكل ثواره وكل ثوراته وبكل رغبته في التطور، يبقى المثل الحي لخلق القلق في قلب كل سلطان جائر او حاكم ظالم، ويبقى شعبه مثالا حيا للقيام بالانتفاضات والسعي الى ماهو احسن!

وهكذا يقول تاريخ اليمن منذ خمسة آلاف سنة حتى يومنا هذا وهكذا كان من الطبيعي جدا ان ينتهي عصر الأئمة الغابر، ولا يعيش عهد الاستعمار المقوت ويسقط السلاطين والعملاء في جنوب اليمن، ولايصمد الانفصال طويلا امام هدير الوحدة وبراكين اهلها..!

يضاف الى ذلك كله السر الكبير في نفسية رئيس اليمن الحالي علي عبدالله صالح انه-حقاً- رجل سلام ولكنه- ايضا -رجل حرب، اعني انه مع السلام ما دام هذا السلام يمنحه الشرف و الكرامة والوحدة والحرية والمجد الذي يتفق مع تاريخ بلده وتاريخ حضارته! ولكنه يتخلى فورا عن رداء السلام وعن عمامة السلام عندما يرى ان ذرة تراب في وطنه مازالت تئن تحت نير الاستعمار او يشعر بأن خيرات بلده يسرقها قريب او غريب!

ان علي عبدالله صالح يختلف كثيرا -في هذا المجال- عن جمال عبالناصر او انور السادات او حتى عبدالسلام عارف او عبدالكريم قاسم، ان فكرة الحرب لم تكن عند جمال عبدالناصر مستحبة ولا مقبولة، ويقول السوريون ان معركتهم -او خلافهم- مع عبدالناصر بدأت عندما راحت اسرائيل في تنفيذ تحويل مجرى نهر الاردن التي لاتبعد الا خطوات معدودة عن الحدود السورية.. وطلبوا من عبدالناصر القيام بعملية حربية عسكرية ضد ما كانت تقوم به اسرائيل فرفض عبدالناصر ان يلبي الطلب السوري بحجة انه من السهل اشعال حرب ولكن ليس من السهل انهاؤها.. وان فكرة الحرب المهددة -كما يطالب السوريون - تبقى مجرد اسطورة كاذبة ووهماً كبير.. واضاف يقول للسوريين (انا مستعد ان اقوم بحرب محدودة اذا استطاع احدكم ان يأتيني بضمان من (بن غوريون) بانه هو الاخر سيجعل هذه الحرب حربا محدودة..!!)

اما عبدالكريم قاسم، فقد قضى سنوات حكمه كلها وهو يحصر عملية (انقاذ) فلسطين في طبع خريطة ملونة لفلسطين واصدار عملة عراقية تحمل اسم فلسطين..!

واما عبدالسلام عارف فقد اختبأ في الحمام -الملحق بمنزله في بغداد- كما قال لي صدام حسين - عندما جاءوا لزيارته في منزله لكي يخبروه بمقتل عبدالكريم قاسم وسقوط عهده!

هذا اللون من التردد المشروط، والخوف الملحوظ ليس معروفا عند علي عبدالله صالح.. وان كان معروفا -على ذمة السوريين- عند عبدالناصر وقاسم وعارف وحسني الزعيم!

وكذلك فان الجبن والخوف او الهروب من المعركة، ليس من صفات علي عبدالله صالح..

لقد سبقه الى تسلم الحكم، اغتيال ثلاثة رؤساء، ولكنه لم يخف ولم يتراجع.

وعندما ادرك ان المسمى (علي سالم البيض) امين عام الحزب الاشتراكي يعرقل سائر جهود الوساطة التي بذلتها الدول الشقيقة والصديقة بين القيادة الشرعية وقيادة المتمردين الانفصاليين من اجل الحفاظ على الوحدة، وانه يشكك بكل ما هو ايجابي في (الوحدة) ويلحق الشلل بكل مؤسسات الدولة وكل مرافقها، ويضع الشروط (التعجيزية) مقابل استعداده للتوقيع على وثيقة (العهد والاتفاق) في الاردن، ويلجأ الى الاعتكاف المصطنع في صيف ١٩٩٣م، ويذهب الى السعودية بعد الاردن بدلا من المجيء الى صنعاء، وان هناك مخططاً جاهزاً من اجل (وأد) الوحدة اليمنية ينطوي على خطف الاجانب، ونشر الذعر، والقيام بمحاولات اغتيال الشخصيات اليمنية المختلفة مع نشر المقالات على صفحات (صوت العمال) وجريدة (الثوري) الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي والحرص على اظهار الوحدة اليمنية وكأنها عامل توتر وقلق وفوضى واظهار دولة الوحدة بالضعف وتلوين الديمقراطية بالوان

الفرقة والانقسام والحيلولة دون ان يصل خير الوحدة الى ابناء المحافظات الجنوبية الشرقية التي ظل (الاشتراكي) يحكم قبضته عليها من خلال مؤسسات الدولة الشطرية السابقة التي حافظ عليها ورفض اندماجها في دولة الوحدة.. وعمل (الشيوعيون) الانفصاليون على اثارة الاحقاد والضغائن والتفاخر المزيف، ان عدن تتميز عن صنعاء بمجتمعها (المدني) بينما صنعاء ترزح تحت وطأة المجتمع (القبلي)..

الى آخره ...الى آخره!

اقول : عندما تبين للرئيس (علي عبدالله صالح) سوءنواياالشيوعيين في (عدن) وهول مؤامراتهم ضد وطن واحد وشعب واحد، ووحدة واحدة، وانهم قد قرروا ترك مصير اليمن كله، ومصير الوحدة كلها في يد حفنة من الصبيان الشيوعيين وعملاء السعودية من امثال علي سالم البيض وحيدر العطاس وسالم صالح محمد وصالح منصر السيلي، والجفري وغيرهم .. وان هناك اعمالاً استفزازية عسكرية يقوم بها الاشتراكيون ضد الوحدة حيث تم تشكيل ثلاثة الوية عسكرية تتولى حراسة علي سالم البيض، وحيث بدأت الأعتداه الحربية بمختلف الوانها واجناسها تصل من بعض الدول، استعدادا للانقضاض على الوحدة وعلى رجالها مع اتخاذ الاجراءات العسكرية الكفيلة بإخراج كل جندي من جنود الوحدة وكل محافظ او موظف كبير بعيداً عن المحافظات الجنوبية والشرقية للعودة بالبلاد الى ما كانت عليه قبل مايو ١٩٩٠م .. اقول عندما سمع أبناء اليمن بالكلام القذر الرخيص الذي تفوه به علي سالم البيض في ٢٦ ابريل عام ١٩٩٤م في الندوة الوطنية لتطوير نظام الانتخابات ضد الرئيس اليمني وضد الوحدة، وعندما وقع الهجوم المباغت والمفاجئ على اللواء الأول مدرع (في عمران) وجاءت الطائرات والصواريخ وبأوامر من (البيض) لكي تدمر مطار صنعاء وتقتل المدنيين الأبرياء من الاطفال والشيوخ والنساء.. وسمع الناس صوت (البيض) يصرخ كالمعتوه الذي امتلأ قلبه بالحقد وامتلأ عقله بالسواد قائلاً (علي

وعلى اعدائي يارب)!.

عند ذلك كله تحطم الهيكل وانفجر البركان ووقع المحظور!

هب شعب اليمن كرجل واحد للدفاع عن وحدته.. وعن كرامته.. لقد جاءت هذه الوحدة بكل الطرق السلمية والوسائل الديمقراطية ثم تعززت شرعيتها الدستورية مع ماجاءت به صناديق الاقتراع في ٢٧ ابريل عام ١٩٩٣م ولكن (البيض) والجفري كانا قد اعدا بيان الانفصال تمهيدا لاذاعته عند منتصف ليل ٢١ مايو من المكلا بحضرموت!

واستمر القتال وجاء (الاخضر الابراهيمي) مبعوثاً من الأمين العام للأمم المتحدة للتوسط ووافق علي عبدالله صالح على وقف اطلاق النار بينما رفضت القوى الانفصالية! واحتدمت المعارك في الطريق الى (المكلا) وسمع الناس صوت عبدالكريم الارياني وزير التخطيط يومذاك يقول في اذاعة لندن: (ليس في القضايا الوطنية ثمن باهظ وثمن خفيف، وان القضية برمتها يمنية..)

وفي اليوم السادس من شهر يوليو، هرب (الجفري واعوانه من عدن الى جيبوتي وهرب (علي سالم البيض) من (المكلا) الى سلطنة عمان.. وانتهت الحرب!

من اجل هذا نقول: ان علي عبدالله صالح لايفتقر الى نفسية المحارب انه اذا احب وهب واذا غضب ضرب! لايهاون ولا يخاتل ولا يجامل ولا يهرب حيث يجب عليه ان يضرب.

وهذا بالذات ما يمتاز به علي عبدالله صالح عن الكثيرين غيره من الرؤساء و(الثوريين) العرب!.

● ● ●

لقد جاء الموقع الجغرافي لليمن بمساحة من الارض لا تقل عن (٥٥٥ الف كم مربع) واطلاله على البحرين العربي والأحمر والتحكم في مضيق باب المندب الاستراتيجي، سبباً لأن يصبح اليمن اكثر دولة عربية اتصالاً مع الغرب والعالم! وبالرغم من ذلك فان اليمن بقي اقل الدول

العربية تطورا.. وسبب ذلك ان الذين حكموا اليمن سواء المستعمرين الاتراك او الانجليز او الأئمة المستعبدين، ابتعدوا جميعاً عن روح العصر وفرضوا الحصار على منافذ اليمن، وقاوموا الحضارة الحديثة خوفاً منها وخشية على وجودهم الاستغلالي الكريه.

لقد كان معظم هؤلاء الأئمة شعرون بالعظمة الفارغة ويتعالون على الشعب، وكان بعضهم يتصرف بنزعة عنصرية بحجة انه من سلالة الانبياء وكانت السفن التجارية تمر حول اليمن وتبحر عبر البحر الاحمر او باب المندب او بحر العرب متجهة الى الشرق الاقصى محملة بأنواع جمة من البضائع والمأكولات وعليها رجال الحرب ورجال المال ورجال الفكر، ولكن اليمن في عزلته المفروضة عليه، بقي معزولاً عن كل ذلك لايشعر بما يدور حوله، ولا يتأثر بمن يمر بجانبه..!

لم يترك المماليك على عكس ما تركوه في فلسطين، الكثير من حضارتهم عندما غزوا اليمن في القرن السادس عشر، فقد جاء وراءهم الغزو التركي لليمن ثم جاء الانجليز من الهند، في ١٩ يناير ١٨٣٨م مع قوة بحرية قوامها ٣٠٠ بحار اوروبي واربعمائة جندي هندي احتل الانجليز عدن..!

وسقط ستار حديدي كريه بين (الوطن الأم) اليمن وبين عدن..!

وقصص بقية الغزاة والحكام في اليمن لم تعد مجهولة على احد! وانا هنا لا اكتب تاريخا وانما احاول ان اثبت نظرية واحدة تتعلق بمدى قلة التأثير الحضاري الذي استفاد منه اليمن بوجود هؤلاء الغزاة والحكام رغم مساحته الهائلة ورغم موقعه الجغرافي الفريد..

لقد ترك الاتراك ارض اليمن بعد معاهدة (لوزان) في عام ١٩٢٣م، وبعد ان دخلوها في عام ١٨٧١م، وعقدوا مع الامام خلالها اكثر من (١٤) معاهدة سياسية تجارية واقتصادية وعسكرية تنطوي معظمها على المساعدة والحماية من طرفهم للامام.! وكان الانجليز يحمون الامام وكان الإمام يحمي ظهور الانجليز في (عدن) من اية تدخلات محتملة !

وانتصر الانجليز في الحرب العالمية الثانية، وجاء سيف الاسلام عبدالله يزور لندن بغية (تحسين) العلاقات مع الانجليز غير ان المفاجآت كانت بانتظاره، ان صحة الامام يحيى قد تدهورت.

ان الخلافات بين ابناء الامام بدأت تنخر بقوة في النظام الامامي كله! ان الامام يشكو من الشلل الشديد.. ان صحيفة (فتاة الجزيرة) الصادرة في عدن بدأت تنشر الفضائح عن حكم الامام . وحزب (الاحرار اليمنيين) خرج الى العلن وبدأ يمارس الهجوم بقوة وعنف على الامام. وحاول سيف الاسلام احمد -من خلال زيارة قام بها الى عدن- ان يعد بالاصلاحات في اساليب الحكم ويعد -ايضا- في حديث صحفي ادلى به الى (فتاة الجزيرة) عام ١٩٤٦م ان اليمن سينشىء علاقات دبلوماسية مع الدول العربية ويدعو البعثات الاجنبية المتخصصة ان تبحث عن الثروة الطبيعية في البلاد! وظهرت في عدن صحيفة ناطقة باسم حزب الاحرار (صوت اليمن) تطالب بالاصلاحات وارتفعت الاصوات عاليا ضد احتكار اسرة (الامام) للمناصب الكبرى وانضم الشعراء والصحفيون والادباء الى قافلة المطالبين بالتغيير الكبير. وجاءت ساعة الانتقام الكبير في فبراير عام ١٩٤٨ حيث استقرت اكثر من خمسين رصاصة في جسم الامام يحيى اطلقها رجال يمتطون سيارة شحن- لوري- بينما كان الامام في طريقه لزيارة مزارعه في ضواحي صنعاء واحصوا ثروة الامام من الذهب والفضة فاذا به قد اخفى في بطن الارض ثورة ذهبية لا تقل عن عشرة ملايين قطعة ذهبية!

وجاء سيف الاسلام احمد (الناصر لدين الله وحامي الايمان بالله) اماما جديداً، وبدأ الصراع بين الأئمة يبدو على السطح.. هذا سيف الاسلام ابراهيم قد عاد الى صنعاء من عدن وانضم الى كتلة عبدالله ابن الوزير..

وهذا الامام البدر ابن سيف الاسلام، احمد يعلن معارضته لوالده..وقبض على سيف الاسلام ابراهيم ولكنه توفي في ظروف

غامضة بعد عودته الى صنعاء.

واللجنة التي ارسلتها الجامعة العربية الى صنعاء لكي تتقصى الحقائق حول اوضاع اليمن بعد قيام السلطة الجديدة لم تستطع ان تصل الى اليمن، فبقيت في السويس، وتدخل الملك عبدالله بن الحسين- في الاردن- التقى مع سيف الاسلام عبدالله واعلنا تأييدهما للامام احمد.. ويظهر على المسرح امام جديد اسمه (سيف الاسلام الحسن) الابن الثالث للإمام يحيى.

وقضى سيف الاسلام ابراهيم نحبه في ظروف غامضة.

وبعده، سيف الاسلام قاسم، الابن السادس للامام!

ثم سيف الاسلام يحيى، الابن الثاني عشر للامام!

ودخلت اليمن في بحر من الفوضى والمؤامرات والاشتباكات حتى قررت الجامعة العربية ان تعترف بالامام احمد في منصبه على عرش اليمن.. وابرق الملك فاروق- اياه- الى الامام الجديد يبارك له ويهنئه ويتمنى له النصر والسعادة)!

ولم يسكن الامام الجديد، في صنعاء، وانما اختار (تعز) لانه لم يكن واثقاً من ولاء القبائل والمواطنين له في العاصمة اليمنية!

وطالب سيف الاسلام (الحسن) بأن يصبح ولياً للعهد؟!، ولكن الامام احمد، اختار ولده (البدر) لكي يكون خليفته!

واشتد الصراع بين (الاولاد) على السلطة! هنا سيف الاسلام (الحسن) يطالب بالسلطة لأنه الاخ الاكبر للامام! وهنا سيف الاسلام (محمد البدر) يطالب بالسلطة! لقد بلغ السابعة والعشرين من العمر وهو ابن الامام، وهنا سيف الاسلام عبدالله شقيقاً آخراً للامام يطالب بالسلطة ويرأس ثورة ضد العهد مع شلة من الضباط والجنود، وهنا- ومن تعز- يظهر سيف الاسلام اسماعيل شقيق آخر للامام ويقوم بالانتفاضة ضد سلطات اخيه الامام..!

وعندما حاول سيف الاسلام عبدالله ومعه سيف الاسلام العباس، الهروب من اليمن، اعتقلتهم السلطة، واعدمتهم.

وعاد الامام احمد من روما بعد فترة علاج في ربيع عام ١٩٥٩م لكي

يجد ان ابنه البدر قد قام بعدة اجراءات داخلية اعتقل خلالها المئات، وسجن المئات، وطرد مئات الموظفين من الخدمة، واعدم المئات من الضباط والمشائخ مما فتح الباب امام محاولات متعددة لاغتيال الامام احمد في عام ١٩٦٠م وعام ١٩٦١م ومات الامام احمد في (ايلول) سبتمبر ١٩٦٢م وجاء (البدر) اماماً جديداً لليمن.

وعلى الفور -وخلال اسبوع واحد فقط- قام تنظيم الضباط الاحرار بتفجير الثورة يوم ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م الذي قضى فيه على عهد الامام وعلى نظام حكمه..

وبعد يومين اثنين فقط، اعترفت روسيا ومصر، بالعهد الجمهوري الجديد في صنعاء! وعندما اعلن السلال في ١٨ ديسمبر اعترافه بجميع المعاهدات والاتفاقات السابقة التي وقعها اليمن مع الدول والحكومات، بما فيها معاهدة (صنعاء) اسرعت امريكا الى الاعتراف بالعهد الجمهوري الجديد في اليمن!

لقد بقي اليمن يئن بلا انقطاع، ويشكو التأخر والتناحر والازمات بلا توقف، فلا يكاد يخرج من ازمة حتى يدخل في حرب، ولايكاد ينتهي الصراع مع الانجليز، حتى يبدأ الصراع مع (الاشقاء) لقد مر فوق ارض اليمن اكثر من دولة غازية واكثر من حاكم اجنبي، ولكن الضيم والبلاء والشر الذي حمله بعض الأئمة، وبعض (سيوف الاسلام) وبعض القادة الاشتراكيين والشيوعيين الى اليمن، يفوق كل ماحمله لليمن الاستعمار البريطاني أو التركي!.

من هنا، كان على اليمن ان يتخلص من بعض حكامه ومن بعض زعمائه بعد ان تخلص من المستعمرين.

ولذا، جاء علي عبدالله صالح الى القصر الجمهوري في صنعاء، وجاء معه، وفي ركابه قرار العزم والعزيمة من اجل نقل اليمن الواحد الحر الموحد من عصور الظلام الى القرن الواحد والعشرين!!

الفصل الخامس عشر

الكلام الذي لم يقرأه (البيض)!



أكاد اشعر بالشك، في ان علي سالم البيض- قائد الانفصال والأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، قد قرأ او استوعب، او فهم، السطور القليلة التي سبق له ووضع اسمه وامضاءه عليها في الفترة بين ٢٤ الى ٢٧ رمضان عام ١٤١٠ هجرية، الموافق ١٩- ٢٢ ابريل عام ١٩٩٠ ميلادية حيث تم الاتفاق بحضور كافة اعضاء القيادة والرئاسة في الشطر الشمالي مع كافة القادة والمسؤولين في الشطر الجنوبي، وهم: من الشمال علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة والامين العام للمؤتمر الشعبي العام، مع علي سالم البيض الامين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، والسادة الامين العام المساعد للحزب الاشتراكي اليمني ورئيس مجلس الشورى، ورئيس هيئة اركان الجيش، والمجلس الاستشاري، وعدد من اعضاء هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ومجلس الشورى والحكومتان، واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، واللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام وكبار المسؤولين المدنيين والعسكريين، تم الاتفاق على مايلي:

مادة (١): تقوم بتاريخ الثاني والعشرين من مايو عام ١٩٩٠م الموافق ٢٧ شوال بين دولتي الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (شطري الوطن اليمني) وحدة اندماجية

كاملة تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد يسمى (الجمهورية اليمنية) ويكون للجمهورية اليمنية سلطات تشريعية وتنفذية وقضائية واحدة.

مادة (٢): بعد نفاذ هذا الاتفاق يكون مجلس رئاسة للجمهورية اليمنية لمدة الفترة الانتقالية يتألف من خمسة اشخاص ينتخبون من بينهم في اول اجتماع لهم رئيساً لمجلس الرئاسة ونائباً للرئيس لمدة المجلس ويشكل مجلس الرئاسة عن طريق الانتخاب من قبل اجتماع مشترك لهيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى، والمجلس الاستشاري، ويؤدي مجلس الرئاسة اليمين الدستورية امام هذا الاجتماع المشترك قبل مباشرة مهامه.

ويمارس مجلس الرئاسة فور انتخابه جميع الاختصاصات المخولة لمجلس الرئاسة في الدستور.

مادة (٣): تحدد فترة انتقالية لمدة سنتين وستة اشهر ابتداءً من تاريخ نفاذ هذا الاتفاق، ويتكون مجلس نواب خلال هذه الفترة من كامل اعضاء مجلس الشورى ومجلس الشعب الاعلى بالاضافة الى عدد (٣١) عضواً يصدر بهم قرار من مجلس الرئاسة، ويمارس مجلس النواب كافة الصلاحيات المنصوص عليها في الدستور عدا انتخاب مجلس الرئاسة وتعديل الدستور.

وفي حالة خلو مقعد أي من اعضاء مجلس النواب لأي سبب كان يتم ملؤه عن طريق التعيين من قبل مجلس الرئاسة.

مادة (٤) : يصدر مجلس الرئاسة في اول اجتماع له قراراً بتشكيل مجلس استشاري مكون من (٤٥) عضوا، وتحدد مهام المجلس في نفس القرار.

مادة (٥) يشكل مجلس الرئاسة حكومة الجمهورية اليمنية التي تتولى جميع الاختصاصات المخولة للحكومة بموجب الدستور.

مادة (٦) يكلف مجلس الرئاسة في او اجتماع له فريقاً فنياً لتقديم تصور

حول اعادة النظر في التقسيم الاداري للجمهورية اليمنية بما يكفل تعزيز الوحدة الوطنية وإزالة آثار التشطير.

مادة (٧) : يخول مجلس الرئاسة اصدار قرارات لها قوة القانون بشأن شعار الجمهورية وعلمها والنشيد الوطني، وذلك في اول اجتماع يعقده المجلس كما يتولى مجلس الرئاسة في اول اجتماع له اتخاذ قرار بدعوة مجلس النواب للانعقاد وذلك للبت فيما يلي:-

أ - المصادقة على القرارات بالقوانين التي اصدرها مجلس الرئاسة.

ب- منح الحكومة ثقة المجلس في ضوء البيان الذي ستقدمه.

ج- تكليف مجلس الرئاسة بإنزال الدستور للاستفتاء الشعبي العام عليه قبل ٣٠ نوفمبر ١٩٩٠م

د- مشاريع القوانين الاساسية التي سيقدمها اليه مجلس الرئاسة.

مادة (٨) : يكون هذا الاتفاق نافذا بمجرد المصادقة عليه وعلى مشروع دستور الجمهورية اليمنية من قبل كل من مجلسي الشورى والشعب.

مادة (٩) : يعتبر هذا الاتفاق منظما لكامل الفترة الانتقالية، وتعتبر احكام دستور الجمهورية اليمنية نافذة خلال المرحلة الانتقالية فور المصادقة عليه وفقا لما اشير اليه في المادة السابقة وبما لا يتعارض مع احكام هذا الاتفاق.

مادة (١٠) : تعتبر المصادقة على هذا الاتفاق ودستور الجمهورية اليمنية من قبل مجلسي الشورى والشعب ملغية لدستوري الدولتين السابقتين.

تم التوقيع على هذا الاتفاق في صنعاء بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٠هـ

الموافق ٢٢ ابريل ١٩٩٠م

علي سالم البيض	**الفريق/ علي عبدالله صالح**
الامين العام للجنة المركزية	رئيس الجمهورية القائد
للحزب الاشتراكي اليمني	العام للقوات المسلحة الامين العام
	للمؤتمر الشعبي العام

يبدو ان علي سالم البيض لم يقرأ سطرا واحدا من هذه السطور التي وضع اسمه وتوقيعه عليها..

وكذلك يبدو ان علي سالم البيض لم يقرأ سطرا واحدا من السطور التالية حول اتفاق الائتلاف الثلاثي بين المؤتمر والاشتراكي والاصلاح.. والتي تقول بالحرف الواحد:

الحمد لله القائل (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

وبعـــــد:

فان الاحزاب والتنظيمات السياسية الموقعة على هذا الاتفاق ادراكا منها لأهمية تضافر الجهود والفعاليات في هذه المرحلة التي يقف فيها شعبنا على اعتاب عصر جديد يتطلع فيه الى ترسيخ الديمقراطية والتعددية الحزبية ومبدأ التداول السلمي للسلطة وصولا الى ما يصبو اليه من أمن واستقرار الوطن وتقدمه وازدهاره على أسس تسود فيها مبادئ العدالة والمساواة وتجسيد ذلك قولا وسلوكا وعملا على مستوى اجهزة الدولة ومؤسساتها الدستورية.

وايمانا من الاطراف الموقعة ادناه بأن تحقيق آمال وطموحات شعبنا يوجب على الجميع في هذه المرحلة بالذات التعاون والتكاتف وتضافر الجهود المشتركة وتكاملها، واقتناعا منها بان تحقيق الاصلاحات الدستورية والتصدي للمشاكل الاقتصادية وتصحيح الاوضاع المالية

والادارية يتطلب العمل بروح الفريق الواحد تحقيقا للمصلحة الوطنية العليا، فقد تم الاتفاق على ان يقوم بين هذه الاطراف ائتلاف حكومي وتنسيق برلماني بناءً على الأسس والالتزامات والإجراءات التالية:-

اولا : الأسس :

١- الايمان بالله والدفاع عن الوطن والثورة والتمسك بالعقيدة الاسلامية الغراء وشريعتها السمحاء.
٢- التمسك بالديمقراطية والتعددية السياسية كركن اساسي من اركان النظام السياسي في البلاد.
٣- تأكيد حق المعارضة في ممارسة دورها البناء في اثراء وترسيخ الممارسة الديمقراطية .
٤- الالتزام بميثاق العمل السياسي الموقع عليه من قبل الاطراف المؤتلفة.
٥- الاتفاق على اعداد مشروع الاصلاحات الدستورية.
٦- الاتفاق على الموجهات الاساسية لبرنامج الحكومة الائتلافية.
٧- التقيد بالسياسة الاعلامية التي يتفق عليها، وتحكم العلاقة بين الاطراف المؤتلفة.

ثانياً: الالتزامات :

١- تشكيل حكومة ائتلافية يشترك فيها اعضاء الائتلاف يراعى في تشكيلها مقتضيات المصلحة الوطنية العليا ومقدرة اعضائها على تنفيذ السياسات المقرة وسرعة العمل على حل القضايا الاساسية العاجلة ذات الصلة بحياة المواطنين ووضع الخطط والبرامج لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة على ان يؤخذ بعين الاعتبار ثقل كل طرف في الائتلاف حسب نسبته الى مجموع الاطراف المؤتلفة.
٢- الالتزام بالمسؤولية الجماعية للحكومة امام مجلس الرئاسة ومجلس النواب في أداء مهامها وتنفيذ سياساتها على ان يتحمل

كل وزير المسؤولية الشخصية في ادارة شؤون وزارته وفقاً للانظمة والقوانين النافذة وعلى ان يمكن من ممارسة صلاحياته القانونية.

٣- التقيد بنصوص قانون الخدمة المدنية ولائحته التنفيذية، فلايجوز لأي عضو في الحكومة ان يخضع الجهاز الاداري التابع له لأي اعتبارات حزبية اوسياسية او ان يسخر المال العام لمصلحة التنظيم الذي ينتمي اليه.

٤- في حالة عدم توفر الانسجام والتعاون بين الوزير المختص والمسؤولين القياديين في الوزراة فعلى الوزير رفع الحالة الى رئيس الحكومة الذي يقوم بدوره باجراء المشاورات اللازمة والتوجيه باتخاذ الاجراء المناسب.

٥- حرصاً على انسجام وتعاون اعضاء الحكومة يعمل رئيس مجلس الوزراء على التوصل الى وفاق واتفاق حول المسائل السيادية والقضايا الاساسية الهامة المرتبطة بالسياسة والتوجهات العامة للدولة، وعند تعذر الوصول الى اجماع حول موضوع معين فان من حق عضو الحكومة ان يسجل موقفاً باعتراضه شفاهة أو كتابة مع الالتزام بالسياسة الاعلامية المقرة وان لايؤدي ذلك الى تعطيل القرار.

٦- على اعضاء مجلس الوزراء التقيد بتوجيهات رئيس الحكومة في اطار القوانين والانظمة واللوائح النافذة.

٧- تشكيل لجنة تتولى التنسيق بين كتلة المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني وكتلة التجمع اليمني للاصلاح على مستوى مجلس النواب وفقاً للائحة تنظم ذلك بما يعزز التعاون والتكامل بين المؤسسات الدستورية في اطار مبدأ الفصل بين السلطات وبمالا يخل بصلاحيات مجلس النواب المنصوص عليها في الدستور.

٨- تلتزم الاطراف المؤتلفة بعلنية جميع الاتفاقيات والوثائق التي

تتوصل اليها.

٩- تلتزم الاطراف المؤتلفة بعدم تبني مواقف معارضة للسياسات المتفق عليها.

١٠- تتقيد الاحزاب والتنظيمات الموقعة على هذا الاتفاق بالسياسة الخارجية للدولة ويقتصر نشاطها الخارجي على العلاقات التنظيمية مع الاحزاب الاخرى.

ثالثاً: الإجراءات :-

لوضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ يتم تشكيل اللجان التالية:-

١- لجنة لوضع لائحة نظام عمل المؤتلفين في مجلس الوزراء.

٢- لجنة لوضع لائحة التعاون والتنسيق بين الاطراف المؤتلفة على مستوى مجلس النواب

٣- لجنة من اعضاء الحكومة الائتلافية لوضع برنامج الحكومة على ضوء الموجهات الاساسية المقرة.

ختاماً فان من حق أي طرف موقع على هذا الاتفاق اذا وجد انه لايستطيع مواصلة المشاركة في الحكومة ان يقدم الاسباب الموجبة لذلك الى رئيس مجلس الوزراء الذي يقوم بدوره بإجراء الحوار مع الطرف المعني وصولاً الى إزالة تلك الاسباب فان تعذر الوصول الى اتفاق، جاز للطرف الراغب في الانسحاب من الائتلاف اعلان انسحابه موضحاً الاسباب والمبررات وتعلن في وسائل الاعلام بنفس الطريقة التي يعامل بها هذا الاتفاق وفي اطار محتوياته، وفي جميع الاحوال لايجوز الانسحاب قبل مرور عام على تشكيل الحكومة كما لا يجوز الانسحاب قبل موعد الانتخابات النيابية بسته اشهر.

التجمع اليمني للاصلاح **الحزب الاشتراكي** **المؤتمر الشعبي العام**

وهذا نص محضر اتفاق الائتلاف.

تنفيذاً لاتفاق الإئتلاف الحكومي والتنسيق البرلماني بين كل من المؤتمر

الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني والتجمع اليمني للاصلاح المؤرخ بتاريخ ١٩٩٣/٥/٢٤م.. الذي قام على اسس والتزامات محددة كان من ضمنها الاتفاق على اعداد مشروع الاصلاحات الدستورية وذلك في البند(٥) من الاسس التي يقوم عليها الائتلاف.. وحيث سبق للاطراف المؤتلفة من خلال الكتل البرلمانية ان انجزت طلب تعديل الدستور الذي قدم وفقاً للدستور من قبل اكثر من ثلث اعضاء مجلس النواب وأقره مجلس النواب من حيث المبدأ بأغلبية اكثر من نصف اعضائه، وحيث سبق انجاز معظم الصيغ الدستورية للتعديلات المقترحة، وبقيت بعض القضايا التي وجدت بشأنها وجهات نظر مختلفة.. فقد عقدت عدة اجتماعات للقيادات العليا للاحزاب المؤتلفة، تم التوصل في نهايتها الى الاتفاق على ما يلي:-

اولاً:- الاتفاق على الصيغة الدستورية لمشروع التعديلات التي تعكس الاهداف والمبادئ والاعتبارات التي اقر مجلس النواب مبدأ التعديل في ضوئها والمرفق مع هذا الاتفاق.

ثانياً:- التزاماً بالشرعية الدستورية وترسيخا للممارسة الديمقراطية وحيث ان الاقرار النهائي للتعديلات الدستورية امر يخص مجلس النواب وفقاً للدستور.. فقد تم الاتفاق بين الاطراف المؤتلفة على التنسيق البرلماني بين الكتل البرلمانية وذلك بما يكفل انجاح الاصلاحات الدستورية الذي يعتبر ضرورة وطنية تقتضيها المصلحة الوطنية العلياء، وفي ضوء ذلك تلتزم قيادة كل طرف بتبني مشروع الاصلاحات الدستورية المرفقة كل من كتلته البرلمانية وعقد اجتماع معها لشرحه وتكوين القناعة بها، الى جانب التنسيق بين الكتل البرلمانية الثلاث وبقية اعضاء مجلس النواب وتوسيع قاعدة المشاركة في مناقشة التعديلات وتوضيحها واجراء الحوار حولها مع الاحزاب والتنظيمات

السياسية الاخرى والمنظمات الجماهيرية والشخصيات المستقلة.

ثالثاً:- الاتفاق على تشكيل لجنة لرعاية الائتلاف من قيادات الاحزاب المؤتلفة وتتكون من رؤساء الاحزاب الثلاثة واربعة اعضاء قياديين عن كل حزب.. حرر بتاريخ ١٨/٨/١٩٩٣م.

عبد الوهاب الانسي	**سالم صالح محمد**	**عبد العزيز عبد الغني**
الامين العام للتجمع	الامين العام المساعد	الامين العام المساعد
اليمني للاصلاح	للحزب الاشتراكي اليمني	للمؤتمر الشعبي العام

وبعـــد :

لو ان علي سالم البيض، قرأ هذه السطور، وادرك قيمة كل حرف فيها او انه التزم بها بعد ان وضع اسمه عليها، او انه ادرك ابعادها وآثارها على حاضر اليمن ومستقبله، لما أقدم على ارتكاب جريمة واحدة من جرائمه التي ارتكبها في حق الوحدة وفي حق اليمن وفي حق الرئيس علي عبدالله صالح .

ولو ان علي سالم البيض، اخلص ولو ذرة واحدة لمعاني (الوحدة) ونتائجها الطيبة على شعب اليمن، وعلى وزن اليمن الدولي، وعلى سمعة اليمن في مختلف انحاء العالم، وعلى تطور اليمن، وتنميته وانتقاله من عصر الظلمات الى عصر النور، لما افترى على الله وعلى الناس وعلى العروبة وعلى الاسلام، ولما أقدم على كل ما أقدم عليه منذ يوم الثاني والعشرين من شهر مايوعام ١٩٩٠م حتى نهاية حرب (الانفصال والوحدة). وأن الحقيقة المفجعة، أن علي سالم البيض، لم يكتف باقتراف جريمة الحرب والانفصال، بل - وكالمجرم الذي فقد عقله وفقد ظله وفقد كرامته وفقد وطنيته وفقد هويته- راح يبرر هذه الجريمة للعالم عن طريق اقتراف جرائم جديدة بعدها!

والحقيقة الاولى ان علي سالم البيض- رغم التهويل والتطبيل للوحدة- لم يكن في قلبه ذرة حب لهذه الوحدة- او أستعداد لقبولها، او

حماس للمحافظة عليها! لقد علمنا التاريخ المعاصر أن الشيوعي لا يرضى ان يشاركه في السلطة او في النفوذ احد! هكذا كان الحال في سوريا عندما قال الزعيم السوري الشيوعي خالد بكداش، لرئيس الوزراء السوري- حينذاك- السيد صبري العسلي- ان الشيوعيين سيملأون شوارع دمشق بالدم اذا حيل بينهم وبين السلطة، او منعوا من الانفراد بالحكم او تطورت الامور حيث يجري ابعادهم عن تسلم المسؤولية. وقد هرع لفيف من الضباط السوريين- يومذاك- وقبل ان تتم الوحدة بين دمشق والقاهرة، ونقلوا الى الرئيس عبد الناصر تفاصيل ما سمعوه من الشيوعي خالد بكداش وطلبوا منه ان يقبل (عرضهم) باتمام(الوحدة) كي لايتمكن بكداش من تنفيذ تهديداته، ولكي ينقذ دمشق من حمامات الدم المذكورة!

وعندما تمت الوحدة بين دمشق والقاهرة، كانت موسكو اول دولة تشتم هذه الوحدة وتعارضها وتقول بلسان خروتشوف (ان عبد الناصر مازال صغير السن ولم ينضج سياسياً بعد!!)

والشيوعي السوري الذي رفض الوحدة في دمشق في عام ١٩٥٨م، ليس بعيداً عن الشيوعي اليمني الذي رفض الوحدة في اليمن عام ١٩٩٠م كلاهما تغنى بالوحدة وكلاهما تنكر للوحدة وكلاهما جعل من الوحدة سلماً كي يصل الى اهدافه او لكي ينقذ نفسه او لكي يمارس سلطة النفوذ وعندما تحقق له ذلك، جعل من الوحدة عدواً له ولمبادئه ولحزبه ولوجوده.

تعالوا نفتح بعض صفحات التاريخ القريب حول (بعض)ما جاء على لسان (البيض) من اقوال، وبعض ما جاء على يديه من افعال واعمال:

رفع الستار عن مسرح الجريمة عندما بدأ (البيض) يمارس لعبة الاعتكاف والمرض، والسفر تهرباً من المواجهة او الملاحقة او التنفيذ!

وسافر في رحلة علاج الى امريكا، وسرها الحقيقي الالتقاء مع انصار الانفصال واعداء وحدة اليمن.

والرجل الذي رضي ان يردد على مسمع العالم اللحن الشيوعي في الداخل وفي الخارج، لم يكن بحاجة الى من يهمس في اذنه، بأن النصر

الذي حققته الشيوعية الدولية في فيتنام عام ١٩٧٤م والذي ادى الى توحيد فيتنام، لن يتكرر بنفس الطريقة في اليمن، بحيث ينتصر الصوت الشيوعي على كل صوت سواه، وتتم الوحدة بين صنعاء وعدن على الأسس التي تمت فيها الوحده بين فيتنام الجنوبية وفيتنام الشمالية! ان التاريخ لايكرر نفسه والوحدة اليمنية لايمكن ان تكون وحدة الشيوعيين وانما وحدة الشعب كله

ولكن سقوط الاتحاد السوفيتي المفاجيء ومن بعده المنظومة الاشتراكية لم يمر دون ان يترك آثاره الجلية في عقل (الجماعة) الشيوعية في عدن، وينذرهم بان ساعتهم قد دنت! لذا، تراهم قد بدأوا يبحثون لأنفسهم عن اطواق النجاة في بحر تتلاطم امواجه وتزمجر رياحه. ولماذا لا تكون الوحدة مع الشمال هي هذا الطوق؟لماذا؟

وجاء اعلان الوحدة في ٢٢ مايو عام ٢٩٩٠ ورضي علي عبدالله صالح ان يتقاسم مع هؤلاء الشيوعيين نصف المناصب الرئيسة الهامة في الدولة. ألم يكن غريباً ومفاجئاً ان يقبل علي عبدالله صالح بأن يكون نائبه -وهذا العمل ليس دستورياً- رجل مثل (البيض) وان يرأس (حيدر ابو بكر العطاس) - الاشتراكي- اول حكومة يمنية في ظل الوحدة، وان يأتي (هيثم قاسم) -الاشتراكي- كوزير للدفاع في هذه الدولة الموحدة، وان يتولى ياسين سعيد نعمان عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي رئاسة البرلمان، بالاضافة الى وزارات البترول والاعلام وغيرها..

ولكن علي عبدالله صالح المعروف بكياسته المطلقة وصبره الطويل وطول نفسه قد رضي بالمكروه وقدم التنازلات الكبيرة لكي يحقق حلمه الاكبر في قيام الوحدة.

وكان على علم تام بكل ما كان يخطط له الاشتراكيون، وكان على علم تام بكل النوايا والاتجاهات لديهم..

ان الاشتراكيين قد رضوا بالديمقراطية والتعددية السياسية (كغطاء شفاف) للمزايدة واثارة الضغائن وهتك كل العوامل الايجابية التي تدعو الى الوحدة او تؤيدها..!

لقد مضوا يثيرون النعرات الطائفية والمذهبية والمناطقية والدينية.. لقد اطلقوا الانذارات التي تحطم معنى الوحدة، وتجردها من كل ميزة من مزاياها، لقد تركوا اكثر من اربعة مليارات دولار من الديون المترتبة عليهم، الى دولة الوحدة لكي تسددها! لقد تركوا للحزب الاشتراكي مهمة الاشراف الكامل على شؤون الدولة.. وهكذا اصبح الحزب هو الدولة مع كل ما يعني ذلك من تضارب مع مصلحة الوحدة او سياستها او وجودها! كما قاموا بتهريب الملايين من اموال الدولة الشطرية السابقة في الجنوب- التي اصبحت جزءاً من اموال (الوحدة) الى المصارف في دول اوروبا الشرقية ووضعوها بأسمائهم السرية. لقد سمحوا لرئيس وزراء(الوحدة) الجديد- العطاس- أن يتطاول على هذه الوحدة وأن يقول- جهاراً نهاراً لاصدقائه: بأنه سيقنع كل (يمني) بكراهية هذه الوحدة خلال فترة قصيرة لا تتعدى العام الواحد!

ولم تتحقق الوحدة في يوم وليلة، ولم يقدمها التاريخ الى علي عبدالله صالح على طبق من ذهب ! لقد طاف (علي عبدالله صالح) في اطراف الارض، وزار فرنسا والمانيا وبريطانيا وامريكا وجميع الدول العربية لكي يشرح للناس مفهوم وحدة اليمن، وضروراتها، واهدافها وحاجة الشعب اليها واهميتها للأمن والاستقرار في المنطقة.

ولكن التخريب والهدم يبقيان دوماً اسهل من البناء إلا أن قدرة (البيض) على الهدم لم تفق قدرة علي عبدالله صالح على البناء!

وعندما رضي جمال عبدالناصر، ان يحقق الوحدة مع دمشق اشترط على السوريين- وعلى ميشل عفلق واكرم الحوراني بالذات- حل جميع الاحزاب السورية- بما فيها البعث والشيوعيون. ولكن الحزب الاشتراكي في عدن- وكان مفروضاً ان يختفي بمجيء الوحدة- قد بقي

على قـيد الحياة يمارس مـهامـه السرية والعلنيـة بكل نشاط ومـقدرة.. ووقاحة!!

واوشكت سنوات الفترة الانتقالية ان تنتهي، وبقي الحزب قائماً!

وثم تحـديد ٢٧ابريل من عـام ١٩٩٣م موعـداً لاجـراء الانتـخـابات البرلمانية ودق الجرس في مكاتب الحزب الاشتراكي في عدن لكي يعلن بدء موسم التخريب والتفجير واشعال الحرائق في مدن اليمن، وهكذا وقبل ان يحتفل العالم بنهاية عام ١٩٩٢م كانت الحرائق قد اشتعلت في اكثر من مدينة واحدة في اليمن.. وكانت اصابع الاشتراكيين وخططهم واموالهم تقف من ورائها.

ورغم الحـرائق ، ورغم الخـراب والتـخـريـب ،، جـرت الانتـخـابات البـرلمانيـة في مـوعـدها المحـدد. عند ربيع ١٩٩٣م... وبالتـحـديد يوم ٢٧ابريل من العـام المذكور.. وكانت تلك الانتخابات- وبشهادة الجميع- انتخابات حرة ونزيهة، ولم يبخل المراقبون الدوليون بشهاداتهم الايجابية عنها وحولها.

وجـاء حساب البيدر يختلف قليلاً عن حساب القرية، كما يقول المثل الشعبي عند الفلاحين في بلدنا. فقد جاءت نتيجة الانتخابات على عكس ما كـان يشتـهي الاشتراكيون، وحاز المؤتمر الشعبي على ١٤٣ مقعداً، كما اثبت حزب الاصلاح وجوده بصورة جلية.

وكما ينص الاتفاق، فقد قام الائتلاف الثلاثي بين المؤتمر والاصلاح والحزب الاشتركي، وقامت في اليمن ولأول مرة حكومـة وحدة أئتلافية ترأسها- وللعجب - العجاب - حيدر العطاس من الحزب الاشتراكي.!

ورغم ذلك لم يرض علي البيض وسعى للنكوص عن الوحدة والتنكر لنتيجة الانتخابات!

وراح ينـدد ويهـدد وينذر ويلوم قـائلاً ان الوحـدة قـد (سـرقت من الجنوب الارض والشعب والثروة)!

وبدأت عمليـة التنكر لكل ما هو وحدة ولكل من هو وحدوي، ولكل من

له علاقة بالوحدة.. في دس ومكر وتآمر يهدف الى اعادة الامور الى ما كانت عليه قبل ٢٢ مايو عام ١٩٩٠م!

وقرر السيد (البيض) ان يهرب من المعركة تحت ستار المعالجة الطبية في امريكا في يوليو١٩٩٣م ، وعاد بعد شهر الى عدن على طائرة معينة كان لشركتها الدور المشؤوم في مناصرة الانفصاليين خلال الحرب، لكي يضع الشروط العنترية التي لاسبيل الى التنازل عنها اذا اريد للوحدة اليمنية ان تبقى وان تعيش!

هل من المعقول ان يشن نائب الرئيس في بلد ما هجوماً قذراً على رئيسه ويذيع هذا الهجوم في سائر اجهزة الاعلام في بلده؟

الجواب الطبيعي: لا.. ولكن البيض اقترف الجريمة ورأس انفصالاً غير معلن وهاجم رئيسه بالاسم.. وهل من المعقول الا يندمج الجيشان في مؤسسة واحدة هي جيش دولة الوحدة؟

الجواب الطبيعي: لا! ولكن (البيض) اصر على ان يبقى الجيش والقوات المسلحة جيشين وان يبقى الأمن أمنين في دولة واحدة.

وهل من المعقول بعد ان تقوم الوحدة الكاملة بين شطري وطن واحد او في بلدين وان يعود احد من المسؤولين للحديث عن مزايا الكونفدرالية او الفدرالية بدلاً من الوحدة التامة، وقد جرى استفتاء شعبي قال فيه الشعب نعم لدستور دولة الوحدة التي قامت على اساس اندماجي.

والجوا ب الطبيعي: لا! ولكن البيض ومن معه اصروا على القول : اما الوحدة الفدرالية او العودة الى الانفصال!

وهل من المعقول ان يلجأ المسؤول في شطر دولة عربية اندمج مع شطره الاخر في دولة عربية موحدة الى الاستعانة بدول خارجية حتى ولو كانت شقيقه ضد الدولة التي اصبح جزءاً منها؟!

والجواب الطبيعي: لا! ولكن البيض مضى الى السعودية وإلى الكويت وإلى بعض دول الخليج لكي يطلب المال والمعونة والدعم

والسلاح ضد اليمن وضد الوحدة اليمنية التي اشترك بنفسه في تكوينها ووضع اسمه على وثيقتها!

وهل من المعقول ان تقرر قيادة الحزب الاشتراكي حجز كل اموال دولة الوحدة العائدة الى الميزانية العامة المشتركة وتدخلها في حساب ميزانيتها الخاصة؟

والجواب الطبيعي: لا! ولكن البيض قرر منع توريد اية عائدات من السمك او الطيران او البترول او ايه عوائد اخرى للدولة من المحافظات الجنوبية والشرقية إلى خزينة الدولة اليمنية الموحدة!

وهل من المعقول ان يعمد مسئول كبير في جزء من دولة واحدة الى هدر اموال الدولة كلها لحساب نشاط حزبه او نشاطه او مصلحة الحاشية والانصار.

والجواب الطبيعي: لا، ولكن البيض وجماعته انفقوا الملايين من اموال الدولة اليمنية على الانصار وعلى التمهيد لضرب الوحدة.

واخيرا هل من المعقول ان يتمترس رئيس الوزراء في دولة واحدة معينة ويعزل نفسه عن عاصمة بلده ويعيش في مدينة اخرى بعيدة كانت الى الامس القريب ترمز الى العزلة، والفرقة ، والشطرية البغيضة؟

والجوا ب الطبيعي: لا! ولكن رئيس الوزراء حيدر العطاس تمسك بالبقاء في مدينة عدن ورفض ان ينتقل الى عاصمة الوحدة صنعاء ضارباً عرض الحائط بكل الاتصالات والتوسلات من هنا ومن هناك!

وفي ٢٢ مارس عام ١٩٩٤م قال البيض بالفم المليان ولكل من يريد ان يقرأ أو ان يفهم (ان الوحدة اليمنية التي تحققت في عام ١٩٩٠م لن تستطيع الاحتفاظ بشكلها الحالي).

وبدأت الترتيبات الحربية والتحرشات العسكرية لفرض الانفصال بالقوة.

وانعقدت الاجتماعات واعدت التقارير والخطط. وجمعت الاموال

وتبرع وزير البترول في دولة الوحدة -ابوبكر بن حسينون- وهو من انصار البيض ومن حاشيته - بإعداد جيش خاص بأسماء وهمية واهداف خيالية بينما الرسالة الحقيقية لذلك الجيش هيّ الاعداد لمعركة الانفصال القريبة القادمة!

وبدأت الأسلحة تتدفق على عدن وتحمل المعونة اللازمة من بعض دول الخليج المعروفة بمناهضتها للوحدة اليمنية! مدافع ! طائرات! قنابل! اسلحة فتاكة مدمرة...الخ!

وأوامر من السيد البيض الى كبار المسؤولين في المحافظات الجنوبية والشرقية، بحيث يعطي الشخص الموالي للوحدة امراً بالطرد.، ويعطي الموالي للحزب امرا بالترقية!

وفي ١٦مارس عام ١٩٩٤م قامت الدبابات الانفصالية بتطويق مبنى المحافظة وادارة الأمن العام في محافظة شبوه لطرد المحافظ والاستيلاء على المحافظة وبسط السيطرة عليها خارج نطاق السلطة الشرعية.

وتبرعت صحيفة (الشرق الاوسط) السعودية اللندنية بنشر تصريحات متتالية للسيد علي سالم البيض ومنها (ان اتفاقية العهد في عمان لا تعتبر نهاية للأزمة او حلاً لها).

كان البيض فيما مضى يتغنى بأن الديمقراطية هي الدعامة الكبرى للوحدة، ثم اذ به وكأنه المريض بداء الشيزوفرانيا- يتنكر للديمقراطية وللوحدة معاً!

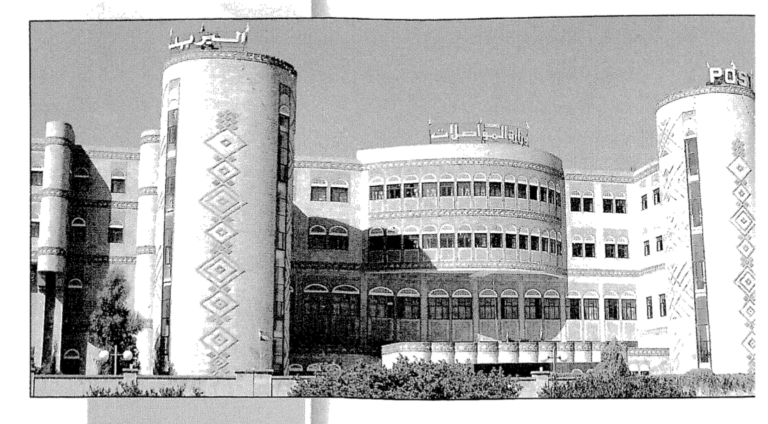
ووقع المحظور وسقطت القنابل.. وجاء العدوان الفاجر العاهر! ووقف(نيرون اليمن) على تلال عدن يضحك ساخراً ويعيد الى الاذهان صورة نيرون الديكتاتور -نيرون روما- وهو جالس فوق احدى تلالها يعزف على الناي ويغني، بينما روما امامه تحترق!

وياويل بعض الناس من حكم التاريخ..!

● ● ●

الفصل السادس عشر

اليمن .. الدخول الى العصر



قبل ان ابدأ عملية المقارنة بين يمن الامس ويمن اليوم، او بين الجمود الفكري من جهة وبين النمو والتطور الثقافي من جهة اخرى، يحلو لي ان استشهد، طرباً، بالكلام الذي ورد بقلم الاستاذ الشاعر والمؤرخ عبد الله البردوني في الصفحة ١١٧ من كتابه (اليمن الجمهوري) قال:-

(لا يقضي على سلطة الماضي شيء كما تقضي عليه كثرة الكتابة عنه، لان الماضي الذي يعتصم بجلال القدم والصمت تنتسب اليه من الرهبة والخرافات ما يجعله شديد السيطرة، وبالكتابة عن هذا الماضي تتجلى حقائقه كتاريخ كان حياة،او حياة آلت الى تاريخ.

ويضيف قائلاً (من هنا اصبح تاريخ الماضي علاقة صلة بين العصور، لا علاقة جلال تحجب الرؤية عن دقائق التشابة وغوامض الفروق، لأن كل عظيم مهما جسمته الكتابة، تخفف من جسامته كتابات اخرى ، بانتقال التاريخ من التسجيل الى التحليل ومن التحليل الى نظر عقلي، ولعل العقود الثلاثة الاولى من عصرنا كانت أحفل اهتماماً بالحركات التأريخية، او بتأريخية الحركات سواء كانت حركات فكرية او حركات دموية، لأن فترة الحركات ادعى الى تقصي الخلفيات، لاكتشاف الثوابت الفكرية، والتيارات المتحولة. ولقد ادى الاعتناء بحركات الماضي الى اقتتال جدلي

عن كيفية الكتابة عن هذه الحركات، اذ لا خلاف في الكتابة عن كل الحركات، ولكن الاختلاف المشتجر عن كيفية الكتابة).

(.. هل يمكن أدلجة الحركات القديمة ولا وشيجة لها الى الايديولوجيات؟

(.. هل الحركة التقدمية في الماضي تلحق بالحركات التقدمية في العصر عن طريق الصيرورة؟

(.. هل نحلل التاريخ لاكتشاف المحجوب من أغواره وآفاقه، او لكي نخلع عليه رداءً معاصراً؟

ان الجدلية القائمة حول كيفية الكتابة عن حركات الماضي من أنضج ثمرات ثقافتنا المعاصرة، لان الذين كتبوا عن الماضي من مطلع النهضة الى بدء الثمانينات نحوا منحيين..

الاول تقديس الماضي كما لو كان ملكوت ملائكة، او كما لو كان اقصى غايات الكمال.!

اجل! ولكن اليمن السعيد الذي كان سعيدا في ماضيه سيبقى سعيداً! في حاضره وفي مستقبله! لقد انقضت ايام الفقر والشقاء، وجاءت ايام الثروة والتنمية والبناء.

يصف الاستاذ عبدالله البردوني في الصفحة ٥٧ في كتابه (اليمن الجمهوري) معالم القراءة والكتابة.. والحياة الادبية والصحفية في صنعاء في الاربعينات والخمسينات في كلامه التاريخي المشوق، التالي:

الا تختلف الخمسينات عن الاربعينيات بمقدار اختلاف الاجيال ؟ لان كل تغير في المكان ناشئ من تغير الناس لان الاسواق لاتستورد الا المطلوب ومثل تعز صنعاء فقدحلت الصحافة فيها محل القصائد التي كانت مدداً للحماس ومحل الكتب الصفراء ولم يعد هناك اهتمام بالشعر الا بمقدار اهتمام الشعر بهموم تلك الفترة، ولعل اختلاف ثقافة الخمسينات بمقدار اختلاف ذلك الجيل عن الاربعينيين والثلاثينيين اذ كان المثقف الاربعيني يجنح الى اي كتاب مطبوع بغض النظر عن مذهبية مؤلفه لا

فرق بين (خالد محمد خالد)و (محمد الغزالي) وبين (علي الطنطاوي) و(مارون عبود) وبين (الأميري) و (نزار) وبين (نازك الملائكة) و(كولن ولسن). كان يهم القارئ اليمني في آخر الاربعينات ومستهل الخمسينات وقوع الكتاب المطبوع في يده فكان كل كتاب ينتقل من يد الى اخرى ومن مدينة الى ثانية بدون اختيار النوع الثقافي لان الاختيار ينبثق امام الكثرة اما الندرة فتفرض نفسها لانعدام غيرها، اما بالنسبة الى الداخل فقد قل الاقبال على (دار العلوم) بصنعاء لانها (حملة عمائم) وسلفية التعليم واستعر التوق الى الثانوية بصنعاء والى المدرسة الاحمدية بتعز جرياً وراء الحداثة دروسا واساتذة واكب هذا انتشار ثلاث صحف (الايمان) التي نشأت في منتصف العشرينات كخليفة لصحيفة صنعاء التركية و(النصر) المعبرة عن العهد الاحمدي من بداية عام ١٩٤٩ ميلادي و(سبأ) التي صدرت بعدن تحت اسم الشباب عام ١٩٤٧م ثم انتقلت من (عدن) الى (تعز) وسميت (سبأ) في صحوة الخمسينات ولو لم تختلف مهمتها في تعز عن مهمتها في عدن لانها نشأت هناك كمناوئة (لصوت اليمن) التي كان يصدرها الأحرار. هذا في ظاهر امر صحيفة سبأ اما في الباطن فقد كانت (سبأ) تنطوي على صراع بين (الشرجبيين) والنعمانيين او بين جماعتين جمعية الشباب برئاسة الشرجبيين وجمعية اليمن الكبرى ومن رؤوسهم النعمانيون فلم تكن (سبأ) شعبية كما يتراء ى للمرء أول وهلة وانما هي احمدية شرجبية وكان نشوءها ونشوء تنظيمها من ثمرة زيارة الامير (احمد) لعدن عام ١٩٤٦ ميلادي غير ان الصحف الثلاث كانت شديدة البؤس ثقافة وصحافة وامكانية لانها كانت تصدر عندما يمكنها الصدور فهي احياناً اسبوعية وأحياناً نصف شهرية واحياناً شهرية واحياناً لا تتقيد بميقات الا بمناسبة عيد الجلوس فقد كانت صحافتنا في الخسمينيات تشبه صحافة الاحزاب بمصر والسودان وسوريا في العشرينات والثلاثينيات من حيث مواقيت الصدور غير ان صحافتنا كانت اكثر رسمية وأبأس مادة لانها كانت اخبارية وبالاخص صحيفة (الايمان)

فقد كانت اخبار القصر والامطار المحلية والاحداث العالمية اغلب موادها حتى بعد فوات الاحداث باسابيع فكان اليمني يعرف من صحيفة (الايمان) وقوع انقلاب في (سوريا) بعد اسابيع ويعرف هطول المطر على (المحويت) بعد ايناع المرعى وكان مديرو المناطق المسؤولين عن ابلاغ الصحف بانهمار الامطار في مناطقهم وغزارتها او شحتها ولا شك ان هذا كان من اهم الاخبار الا ان تأخره عن حينه يفقده البشارة ثم ان قراء الصحف في الغالب من غير المزارعين وان كانت الزراعة مرتزق الجميع في القرية والمدينة لاعتماد المدينة على رخاء الريف استهلاكاً للسوق وواجبات للدولة التي كانت تصرف لموظفيها وجنودها مرتبات من الحبوب تتفاوت بتفاوت المنصب الوظيفي، اذن فإخبار الامطار ذات هموم معيشية وذات طابع اقتصادي اما اخبار العالم فكانت تتوخى تمجيد (العهد الاحمدي) لاستقراره ونوم الاحداث فيه فكان ينتهي كل خبر بالدعاء للامام حامي الامن والايمان وكانت وسائل الصحفيين في استقبال الاخبار الخارجي هي اجهزة (الراديو) التي يوفرها المقام مهما كانت تلك الصحف متواضعة، فقد استثأرت الحس الكتابي وعدوى الكتابة من متصف الخمسينات، فبدأت صحفنا تنشر القصائد غير الرسمية والموضوعات الادبية حتى ولو كانت منقطعة عن مناسبة رسمية..)

ترى في اي عصر دخل اليمن في أواخر السبعينات وبدء الثمانينات في النواحي الادبية والاجتماعية والسياسية ؟

على هذا السؤال يجيب الاستاذ المؤرخ والشاعر عبدالله البردوني في كتابه (اليمن الجمهوري) فيقول:

(.. المسألة اهم من دخولنا نحن العصر او خروجنا من غيره اذ لا يمكن ان ندخل العصر الا بعد ان يدخلنا من كل مسام جلودنا فلكي نخرج الى العصر بلا (عكاكيز) يجب ان يدخلنا العصر لكي ينبثق منا فنحسن قيادته بدلاً من ان نلتمس ابوابه لان العصر ليس مقهى ولا سوقا وانما هو عالم مجهول نرتاده بخيال الأمل ونخلقه حلماً لكي نبدعه عالما فإذا كانت آمالنا هي الخيال الذي يفتتح عالم الغد تصورا فان افكارنا تحمل صورة

الغد، لكي يتجلى حقيقة من صنع افكارنا وهاجس أحلامنا وارتياد اخيلتنا ولانمتلك هذه الوسائل الا باعتصار انقى خبرة الأجيال وامتلاك القوة المادية لان عصرنا الراهن عصر تجارب كل العصور.. أليست مذاهب عصرنا الراهن على اختلافها واتفاقها من حصاد القرن الثامن عشر والتاسع عشر ولم يضف العصر الا قدرة الممارسة العملية الالية والاضافة على هداها والتجريب على ايماءاتها؟

ان اطروحة (الوادعي) اهم حلقات جدلياتنا المعاصرة لانها نقلت الجدلية الى نقطة اكتشاف انفسنا لكي نتحسس هل دخلناالعصر لكي ندخله؟

وأي عصر نريد؟ عصر الامبريالية، عصر الليبرالية ؟ عصر الاشتراكية واي اشتراكية؟ وايها تقبل التوطين وتصبح جزءاً من الوطن؟ فاذا كانت الديمقراطية قد اصبحت ديمقراطيات والحرية حريات والاشتراكية اشتراكيات فان العالم على شدة تقاربه قد اصبح عوالم وبات العصر عصورا والمسألة.. أي عصر دخلنا لكي ندخله ؟ واي عصر اخرجنا لكي نخرج منه؟

المسألة..كيف نملك الاختيار وكيف نحقق حسن الاختيار القائم على القابلية المحلية التي روضتها التجارب. ان الخصومةالجدلية التي تعاقبت من شروق الخمسينات الى ضحى الثمانينات، برغم اشعتها وظلالها قد تحولت الى خصوبة ثقافية وكل ما فيها من المزايا فهي من واقعنا وكل ما فيها من المعايب فهي من افراز واقعنا، والجميل اننا نحاول التجاوز بل ونحقق اجتيازاً تلو اجتياز).

انتهى كلام البردوني..

وبعد:

اذا كانت كل الطرق تؤدي الى روما- كما يقولون- فان كل الحركات والانتفاضات والتحولات تؤدي الى عام واحد معين والى رجل واحد معين والى حد ث واحد معين والى ان يتولى زمام الامور علي عبدالله صالح .

افتحوا النوافذ لكي يدخل الهواء النقي..!

ان اليمن مازال يتطور وينمو ويكبر!

ان اليمن السعيد قد تخلى عن الهموم والديون والكسل!

ان اليمن السعيد الذي كان سعيدا وعاش سعيدا قد قرر ان يبقى سعيدا!

الفصل السابع عشر

حديث عند سفوح الجبال!



لم اعرف منازل تتسلق الجبال وتجلس على القمم إلاّ في ريف اليمن ! ولم اعرف شبابيك حجرية تطل من أكام الجبال وتكاد تفتح حواراً مع القادمين، إلاّ في تلال اليمن ! ولم اعرف كيف تكون الطبيعة العذراء التي رضي الله عنها فأبقاها نظيفة لامعة براقة خضراء الا في وديان اليمن! ولم اعرف الهواء النقي الشفاف المليئ بأسباب الصحة والعافية والنشاط الا عندما تنشقت هواء التلال التي تحتضن صنعاء ! ولم اعرف عظمة الهندسة في شق الطرق التي تتمايل على الشموخ الجبلي وتقهره وتضمن للسيارة ان تصل بسلامة وللانسان ان يطمئن الا عندما حملتني سيارة الجيب او (اللاندروفر) من صنعاء الى (المحويت) عبر (الطويلة) غربا وشمالا لكي تتركني وسط فندق سياحي لا يقل روعة ونظافة ونظاما عن افضل فنادق الجبال السويسرية عند (سان مورتيز) و(فيلار) و(مونتانا).

في ذلك الفندق المتربع على قمة جبل والمواجه لمدينة (المحويت) بكل منازلها المحفورة في الصخر وكأنها نسخ جديدة من مدينة (بتراء) في الاردن جلس الشيخ المتمرس بماضيه الدبلوماسي والسياسي بجانبي لكي يسألني بهدوء:

- هل اعجبتك اليمن؟

وعندما هززت رأسي بالايجاب عاد يسألني:

- هل اعجبك كل شيء في اليمن؟

ثم راح يكرر:

كل شيء؟ كل شيء؟؟

- قلت ونظرتي تحدق في المنازل المحفورة امامي في الصخر:

اجل كل شيء

قال: لو كنت مكانك لجعلت الرأي عندي مبنيا على الحقيقة وليس على العاطفة!

- قلت: الا تعتقد ان العشرين سنة الماضية من عهد (قائدكم التاريخي) قد نقل اليمن بكل معاني وجوده وكل ظروف شعبه من القلق الى الاستقرار ومن الخطر الى الأمان ومن التفتت الى القوة ومن الحاجة الى النمو والتقدم والازدهار؟.

قل لي: اليس للثورات اخطاء ولماذا نكرر العودة في احاديثنا الى الخمسينات والستينيات ولانحاول ان نرى اليمن الصاعد الجديد في أواخر التسعينات غدا يا صديقي يدخل اليمن القرن الواحد والعشرين وهو واثق الخطى وكأنه المعني في شعر ابراهيم ناجي في قصيدة الاطلال قوله: واثق الخطوة يمشي ملكا!

ثم أكملت:

- نحن اليوم في اواخر التسعينات ودع عنك الحديث المر عن الخمسينات والستينات..

قال: انا لا اتحدث عن سلبيات الماضي. ان الرئيس علي عبدالله صالح قد تحدّث في صيف ١٩٩٣م عن الدروس التي خرجت بها القيادة السياسية في اليمن خلال الفترة الانتقالية..

فقال بالحرف الواحد: (ان الفترة الانتقالية قد رافقتها سلبيات كثيرة نتيجة كيانين دوليين ونظامي شطرين في كيان دولي ونظام واحد وكنا نتوقع من القيادة اثناء التوقيع على اتفاقية الوحدة ان تحصل بعض

السلبيات لكن ليس بالصورة أو بالحجم اللذين حدثا فيه خلال الفترة الانتقالية. لقد كانت هناك انعكاسات سلبية للتقاسم ابرزها الاتكالية وتحميل طرف للطرف الآخر المسؤولية رغم مشاركته في المفاصل الاساسية لاجهزة السلطة لكن البعض كان يتنصل من تحمل هذه المسؤولية .

- قلت مقاطعاً ان حديث الرئيس ينصب على الأمس القريب حيث بدأت الازمة السياسية بعد ٢٢ آيار -مايو- ١٩٩٠م بين الحزب الاشتراكي من جهة وبين المؤتمر والاصلاح من جهة اخرى .

وانتهى الحوار..

وعدت الى غرفتي في (صنعاء) لكي استعيد قراءة الصفحات التي تروي لي سلبيات هذه الثورة بعد أن سمعت الكثير عن ايجابياتها، ويشهد الله أنني لم اعثر على سلبيات الثورة وانما عثرت على سلبيات نائب الرئيس السيد علي سالم البيض.. رمز الانفصال..

بعد نحو شهرين على توقيع (وثيقة العهد و الاتفاق) في العاصمة الاردنية عمان في العشرين من شباط/ فبراير ١٩٩٤م، اعرب نائب رئيس الجمهورية اليمنية الامين العام للحزب الاشتراكي اليمني علي سالم البيض عن اعتقاده بوجود رغبة بالانفصال. فبعد ان كان من المنتظر ان يفتح التوقيع على الوثيقة، صفحة جديدة في الحياة السياسية اليمنية، بدت الشروط التي وضعت على طريق العمل من قبل الفرقاء المعنيين على تنفيذ بنود الوثيقة غير مؤاتية. اذ طالب المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للاصلاح بضرورة التئام المؤسسات الدستورية وعودة القادة الجنوبيين الى صنعاء كشرط اولي للبدء في تنفيذ الوثيقة.

وفي المقابل طالب الحزب الاشتراكي بضرورة البدء في تطبيق الوثيقة كشرط لعودة قياداته الى صنعاء والتئام المؤسسات الدستورية.

وموازاة للمسار السياسي المتعثر والمتأزم، تأزم الوضع الامني في البلاد ووصل الى ذروته في الصدام العسكري عندما قامت قوات تابعة

للحزب الاشتراكي وقبل ان يجف حبر التوقيع على الوثيقة بمهاجمة قوات (العمالقة) المرابطة في محافظة ابين في محاولة للقضاء عليها..

وفي ظل التأزم السياسي والأمني، تدهورت الاوضاع المعيشية في البلاد وتراجع سعر صرف الريال اليمني امام العملات الاجنبية وتم بيع الدولار في السوق السوداء بأكثر من خمسين ريال. وكان العجز في موازنة الدولة قد زاد بنسبة تسعة وخمسين في المئة ليصل الى ٣,٥ مليار دولار. وعاد السؤال المهم والتساؤل الأهم، هل ان الوحدة اليمنية التي كانت حلم كل يمني ومازالت قد انتهت، وهل ان اليمني لم يعد باستطاعته المحافظة على وحدته. وعاد التساؤل لمن الولاء الحق في اليمن، (هل للقبيلة ام للحزب ام الدولة)؟

ومابدأ يحصل في اليمن من اقتتال بين ابناء الشعب الواحد يعتبر قمة المأساة والفصل الاخير في بكائية قصة الوحدة العربية من نهاية الحرب العالمية الاولى، الى اليوم، وعاد التساؤل من جديد، اذا كانت الوحدة بين ابناء الشعب الواحد والتاريخ الواحد والارض الواحدة صعبة فإن الوحدة بين بلدين عربيين ستصبح مستحيلة.

ثم الى تفاصيل الاشتباكات العسكرية:

نيسان / ابريل ١٩٩٤

١٩٩٤/٤/٢٧م

مع حلول الذكرى السنوية لاجراء اول انتخابات عامة في اليمن بعد توحيد البلاد، تفجر الوضع العسكري مجدداً بين طرفي الصراع في اليمن بعد هدوء امني استمر منذ شباط الماضي.

حيث دارت اشتباكات بين وحدتين مدرعتين احداهما من الوحدات التي انتقلت من الشطر الجنوبي بعد الوحدة وظلت موالية للحزب في الجيش اليمني قرب مدينة عمران شمال صنعاء اوقعت عشرات القتلى والجرحى. وأفادت مصادر في صنعاء ان عشرات من المدنيين والجنود سقطوا في هجوم شنته عناصر من الحزب الاشتراكي اليمني في تلك

الوحدة العسكرية على جنود وضباط اللواء الأول مدرع ومصنع الاسمنت في المدينة. ولم ينف الحزب الاشتراكي في عدن وقوع الحادث.

وصرح ناطق باسم وزارة الدفاع في صنعاء ان الهجوم وقع الساعة الاولى والنصف بعد الظهر بالتوقيت المحلي (١٠,٣ بتوقيت غرينتش) ونفذته عناصر من الحزب الاشتراكي مستخدمة عشر سيارات مجهزة برشاشات وبدعم من اللواء الثالث مدرع التابع لسيطرة الحزب الاشتراكي والمتمركز في عمران. واضاف ان الهجوم (تسبب في خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات وسقط نتيجة هذا العمل الجبان الغادر والطائش عشرات الشهداء والضحايا الابرياء الذين لم يحصر عددهم بعد).

وأوضح ان المهاجمين كانوا بقيادة ضابط سابق في الجيش يدعى.. يحيى داحش عليان (وهو عضو في الحزب الاشتراكي وضابط سابق تم طرده من القوات المسلحة لقيامه باعمال تخريبية تضر بأمن الوطن واستقراره).

١٩٩٤/٤/٢٨

اتسعت (الحرب اليمنية) وانذرت بالتفتيت الشامل، حيث عكست الاشتباكات العنيفة التي جرت بين قوات تابعة للحزب وقوات تابعة للحكومة بالقرب من العاصمة اليمنية صنعاء شكوكاً حول الاحتمالات الباقية لانقاذ الوحدة، وقد تحدثت مصادر اشتراكية عن حصول قوات الاشتراكي على تأييد القبائل المحلية في المنطقة، الا ان الوقائع والأحداث لم تؤكد مازعمته المصادر الاشتراكية.

استمرت الاشتباكات بالدبابات والمدفعية بين وحدات عسكرية متنافسة في شمال صنعاء يوماً ثانياً موقعة اعداداً كبيرة من القتلى واجمعت مصادر صحافية ودبلوماسية على ان حدة المعارك خفت لأن (قوات الاشتراكي اندحرت) بعدما خلفت عدداً غير محدد من الضحايا والخسائر. وقالت مصادر يمنية مستقلة ان المعارك في منطقة عمران على مسافة ٥٠

كيلو متراً شمال صنعاء حيث تتمركز وحدات حكومية وأخرى تابعة للمتمردين الاشتراكيين اوقعت اكثر من مائة قتيل و ٢٠٠ جريح في حين قدرت مصادر اشتراكية عدد القتلى بنحو مائتين. وافادت مصادر دبلوماسية عربية ان عدد القتلى لايقل عن ١٢٠ بينهم ٢٠ مدنياً وعدد الجرحى اكثر من مائتين ووقع ٩٠ جندياً في الأسر. الا ان مصادر دبلوماسية غربية اوردت رقماً اكبر بكثير اذ قالت ان عدد القتلى يصل الى ٨٠٠ والجرحى نحو الف. وقالت مصادر اللجنة العامة لحزب المؤتمر المنعقدة في اجتماع طارئ ان (الاشتباكات استؤنفت عند الساعة الثالثة فجر الخميس ١٩٩٤/٤/٢٨م، واستخدمت فيها مختلف انواع الاسلحة الثقيلة والخفيفة) وأوضحت ان (الاشتباكات تسببت في تدمير عدد من المنشآت المدنية المجاورة لمحور الاشتباكات لكنها لم تستطع تقديم اية ارقام عن عدد القتلى والجرحى).

وشوهدت في صنعاء سيارات اسعاف تنقل مصابين الى (مستشفى الثورة) في غربي العاصمة. وفي عدن قالت مصادر عسكرية موالية للحزب الاشتراكي ان (معارك طاحنة تدور منذ فجر امس بين قوات اللواء الثالث المدرع المرابط في منطقة عمران وبين قوات اللواء الاول المدرع تسانده قوات من الفرقة الاولى المدرعة التي وصلت لتوها من صنعاء).

وقال احد المصادر (هذا يعيد الى الاذهان حروب السبعينات. الجانبان يتصرفان كما لو كانا لايزالان دولتين منفصلتين بينهما عداء).

ورحم الله اتفاقية العهد.. والاتفاق.

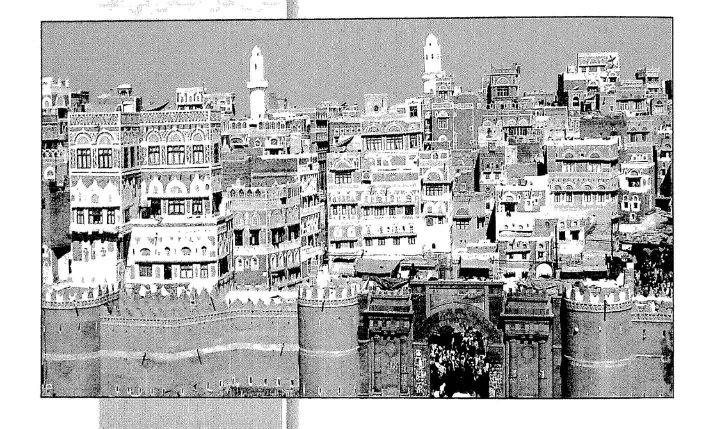
التي هكذا كان اسمها.

الخيانة الاشتراكية.. والفراق.. والشقاق!!

● ● ●

الفصل الثامن عشر

رحلة الأحداث!



منذ عام ١٩٧٨م حتى اليوم، كانت المرحلة مليئة بالأحداث. لقد جرى اكتشاف البترول.

بالأمس كان بعض الجيران يعارضون حق اليمن في البحث عن بتروله، وفي عام ١٩٨٧م، بدأ تصدير البترول، الأمر الذي كان له ابعد الأثر في حياة الشعب اليمني.. وجاء جورج بوش يزور اليمن ويعلن للعالم ان علاقة اليمن بالعالم قد اصبحت علاقة (مباشرة)! وانشئت اول مصفاة في مأرب. وفي عام ١٩٨٦م، انتهت عملية بناء سد مأرب، وتابع علي عبدالله صالح خطواته نحو تحقيق وحدة الوطن.

وكنت اجوب دكاكين الشارع التجاري الذي يحمل اسم (جمال عبدالناصر) في قلب العاصمة صنعاء، بحثاً عن دور بيع الكتب، لكي اتزود منها بمجموعة من الكتب الحديثة عن اليمن. فوجدت كتاباً شدني عنوانه، واعجبني اهداء المؤلف بداخله. اما العنوان فهو (رصاصات في كبد الاخطبوط) واما الاهداء فهو - بإيجاز شديد - قد رسم الصورة الحقيقية لشخصية الرئيس علي عبدالله صالح. قال المؤلف في اهدائه الكتاب:

الى الزعيم الوحدوي الرمز الفريق علي عبدالله صالح الذي اكتسب

ثقة الجميع وبالتجربة الحية المتوالية كربان ماهر قاد (سفينتنا اليمن) بتحد صلب لكافة العواصف والأنواء متجاوزاً بنا الزمن الصعب ليثبت اقتداراً دون غرور، وحنكة بتواضع عبر المسيرة الميثاقية وماتقحمها من احداث جسام صهرت معدنه لتعزز فيه عراقة المواطن الأصيل القادم من اعماق الريف اليمني المرتبط بتربته، وفي الوقت الذي تجاوز فيه الادعياء واقعهم، وتنكروا ليتخلوا عن طموحات الوطن وخصوصيات اهله، وعند ان اسفروا عن وجوههم القبيحة بإعلان الانفصال كان علي عبدالله صالح يعلن (الوحدة او الموت) ليقف موقفاً فولاذياً مع هذا الوعد الذي قطعه على نفسه مؤكداً ان وعد الحر دين، وعسى أن يترجم وعده وبنفس الصلابة لاستئصال الدماء الملوثة قبل ان تفسد الجسد اليمني برمته.

وبعـــد..

لست متشائماً، ولا متجاهلا، اذا وضعت يدي على قلبي وصرخت مشفقاً على الوحدة اليمنية من اعدائها، ومن بعض اصدقائها وبعض جيرانها!

لقد احببت هذه الوحدة، وصفقت لها، وتغنيت بها، ولا اريد لها ان تختفي. ان علي عبدالله صالح الذي يتمتع بالقلب الكبير، والتسامح، والغفران، والذي يؤمن بالحوار والعقل والمنطق، هو حامي هذه الوحدة وراعيها وقائدها، ولكن اعداء الوحدة لايؤمنون بالحوار ولا بالمنطق ولابالعقل، بل لعلهم يستغلون القلب الكبير لدى علي عبدالله صالح للتآمر على الوحدة، تمهيداً للقضاء عليها.!

انا لا اقلل من قيمة الشخصية الفولاذية التي يتمتع بها الرئيس، ولا أتناسى قدرة الشعب اليمني على التصدي للمؤامرات، ولا أغفل الصفحات المجيدة التي خطتها الثورة اليمنية في القضاء على الرجعية، وعلى نظام الإمامة الكهنوتي المستبد وعلى الاستعمار. وصورة الخطوات الجبارة التي قطعها علي عبدالله صالح من اجل تحقيق هذه الوحدة ما زالت عالقة امام نظري، ولكنني مع كل ذلك ورغم كل ذلك مازلت اضع يدي على قلبي واشفق على وحدة اليمن من اعداء وحدة اليمن.. في الداخل وعلى

مقربة من الحدود!!

اجل.. لقد اطلق (علي عبدالله صالح) عبارته الشهيرة في التمسك بالوحدة والدفاع عنها، قائلاً: (الوحدة او الموت) ولكن القوى المعادية لاتريد لهذه الوحدة ان تعيش! والاستعمار لايريد لها ان تعيش! والكيانات العربية المهترئة الواقفة على الرمال لاتريد لها ان تستمر! ان الوحدة في نظرهم ناقوس خطر يدق فوق رؤوسهم! ولذا، سيوظف المال الذي لديهم لمحاربة الوحدة اليمنية، سيثيرون النعرات ويجددون الخلافات، ويبعثون سائر المشاكل المعلقة من جديد، رغبة في الانفصال! اما الشاعر الذي يتغنى بالعطف والتسامح والتغاضي عن لؤم بعض الناس هذا الشاعر لا مكان له اليوم في معركة الحفاظ على تراث الوحدة اليمنية الكبرى.

في عام ١٩٦١م، وقبل ان تنفصل الوحدة بين دمشق والقاهرة، التقيت في باريس بالمليونير اللبناني الشهير اميل البستاني، وكان اميل البستاني صديقاً حميماً للرئيس جمال عبدالناصر، وكان عبدالناصر يستشير البستاني في الكثير من القضايا العربية. وفي تلك المرة التي التقينا معاً في باريس، اخذني البستاني امام فندق (بلازا اتينه)، وهمس في اذني قائلاً: (عندما تعود الى القاهرة، قل للرئيس عبدالناصر على لساني بأن وحدة سوريا ومصر لن تدوم طويلاً وان اعداءهذه الوحدة قد شمروا عن سواعدهم وبدأ المشوار للقضاء عليها! ان اسرائيل لا تريد لهذه الوحدة ان تعيش، ولا تريد لجيش الوحدة ان يصل الى خنادق (الجولان) لكي يشرف على بحيرة طبريا ويهدد سلامة اليهود.. وكذلك فان اكثر من ملك عربي واكثر من رئيس عربي واكثر من (زعيم) عربي قد عاهدوا انفسهم ووحدوا جهودهم للقضاء على الوحدة المذكورة.. ان (الطابور الخامس) العربي قد بدأ يحارب هذه الوحدة في قلب دمشق. ان الامدادات المالية والاعلامية بدأت تتسلل من لبنان الى دمشق عبر الحدود السورية- اللبنانية، والأموال بدأت تصل الى (عملاء) داخل صفوف الجيش السوري لكي تنهار الوحدة على فوهة البنادق! قل للرئيس عبد الناصر ان هناك اكثر من تنظيم سري انفصالي قد اصبح يعمل بكل نشاط لكي يحطم

الوحدة ويأتي الانفصال.. قل له ان اعداء الوحدة يتنقلون من دمشق الى بيروت في افخم السيارات وعلى الطائرات الصغيرة الخاصة بعد غروب الشمس ويعودون الى بيروت مع ساعات الفجر....)

وأطال اميل البستاني في تحذيراته وفي كلامه المشحون بالحزن والقلق ثم قال لي:

-(قد تتوالى الأحداث سريعاً ويأتي الانفصال قبل ان تعود انت الى القاهرة. ان الانفصال سيأتي خلال ايام قليلة وفي هذا الشهر بالذات!

وانتهى كلام البستاني..

وفعلاً ، قبل ٢٨ سبتمبر، ولم اكن قد وصلت بعد الى القاهرة، او استأنف عملي في رئاسة تحرير جريدة الجمهورية القاهرية، كان عبدالحكيم عامر، قائد الجيش المصري قد ركب الطائرة الى القاهرة هارباً من دمشق..

اعوذ بالله.. استغفر الله.. لا قدر الله..

ولكن الوحدة لا تحارب خصومها بالحب السماوي ولا تحمي نفسها من كيدهم بالغفران البابوي! يجب ان نتعلم – من اجل وحدتنا وثورتنا وتراب اليمن الغالي عندنا – كيف نحقد، وكيف نكره، وكيف نحارب، وكيف ندافع، مستشهدين بشعر زهير بن ابي سلمى :

وما الحروب الا ما علمتم وذقتم ... وماهي عنكم بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر اذا ضريتموها وتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
تغل لكم ما لاتغل لأهلها ... قرى بالعراق من قفيز ودرهم

وعلى ضوء اقامتي القصيرة في اليمن، ودراستي للظروف السياسية والاقتصادية التي تحيط بالوحدة الكبرى ارى ان اعداء هذه الوحدة سيجدون السلاح المطلوب في محاربتها في الدكاكين التالية:-

– الفقر والبطالة والتطرف الاشتراكي وشطحات المعارضة،والمال الحرام المتسلل سراً من وراء الحدود الى جيوب الجواسيس والعملاء، مع الاتكالية، والتسامح، كلها تبقى السلاح المنشود في يد اعداء الوحدة، يستعملونه للقضاء –لاقدر الله– على هذه الوحدة.

لا مكان في دولة الوحدة (للاغلبية الصامتة) ان تبقى طويلاً في صمتها ..

ولا مكان في دولة الوحدة للاستغلال والكسب الحرام.

ولا مكان في دولة الوحدة للجهل والكسل واللامبالاة.

لقد اقامت ثورة (٢٦ سبتمبر) تمثالاً خالداً وابدياً للانسان اليمني وحررته من سائر رواسب عهود الظلام، فلا خوف بعد اليوم ولا ذل ولا قهر بعد اليوم. ولا تسكع ولا امية. لقد بنت الثورة كل المرافق العامة لخدمة الاعلام والثقافة والشؤون الاجتماعية وجاء القرار ٣٨ لعام ١٩٦٤م بإنشاء وزارة الاعلام والارشاد القومي مكملاً ومتمماً للآمال الشعبية في اقامة منبر صادق يقوم بتوجيه الشعب صوب الحق والحقيقة.

والى جانب ذلك، فقد انشأت الثورة المجلس (الاعلى لرعاية الشباب)* وكذلك الاتحاد الوطني الرياضي، تجاوباً مع تطور البلاد ونمو مجتمعها.. واصبح المواطن العربي في دمشق او بيروت او القدس يسمع بأن في اليمن قانوناً حول التأمينات الاجتماعية وقانوناً آخر ينظم مؤسسة التأمينات الاجتماعية وذلك لتأمين سلامة وحقوق العمال وتحقيق العدل الاجتماعي!

وحتى عام ١٩٦٠م لم يكن في اليمن شيء اسمه كهرباء!

وجاءت الثورة وانتشرت الانوار في انحاء صنعاء، وامتدت الاسلاك الى القرى والارياف.

وقبل الثورة، كان المواطن اليمني يشرب من المياه الملوثة بالجراثيم،

* الآن وزارة الشباب

غير الصالحة للشرب، ثم جاءت الثورة وحفرت الالاف من الآبار الجوفية والآبار (الارتوازية)ثم انشئت (المؤسسة العامة للمياه والمجاري و الهيئة العامة لكهرباء ومياه الريف) واصبح في وسع المواطن اليمني ان يشرب مياهاً نقية وصحية وخالية من الجراثيم.

وقبل الثورة لم تكن هناك طرق ممهدة أو مسفلتة، عدا طريق الحديدة – صنعاء التي نفذتها جمهورية الصين الشعبية قبل الثورة بعامين، وبعد الثورة اصبح هناك ثلاثون طريقاً رئيسياً مسفلتاً تربط بين المدن بمسافة لا تقل في مجملها عن ثلاثة آلاف كيلومتر!

وقبل الثورة لم تكن هناك في اليمن وزارة للمواصلات، كان الامام يحيى–رحمه الله ولا يجوز على الميت سوى الرحمة– قد اختار احد اشقائه كوزير للمواصلات السلكية واللاسلكية ومارس (الوزير) مهمته بنشاط (أسري) وحصرها في التلغراف المهترئ القادم من قبل التاريخ.. وترك عملية توزيع البريد للحيوانات وخاصة الدواب.

لقد اصبح المواطن اليمني بعد الثورة وبعد ان تولى الحكم في اليمن رئيسه اليمني علي عبدالله صالح ينعم باحدث وسائل الاتصال وبأحدث وسائل النقل محلياً ودولياً، حيث انشئت في ظل الثورة العديد من المؤسسات الخدمية في هذا المجال ومنها:

– المؤسسة العامة للنقل البري.
– المؤسسة العامة للموانئ والنقل البحري.
– الخطوط الجوية اليمنية.
– الهيئة اليمنية العامة للطيران المدني والارصاد.
– المؤسسة العامة للمواصلات السلكية واللاسلكية.

وانشئت عشرات من المطارات الجوية الحديثة في صنعاء، الحديدة، تعز، الجوف، مأرب، البيضاء، صعدة وغيرها.

وقبل الثورة كان الجيش اليمني يتكون من (مجاميع الجندرمة) التي

ورثها الامام عن الاتراك.. والتي كانت مثار هزأ الناس وسخريتهم..
كان الجندي اليمني لايملك الحذاء في قدمه ولا الطعام في معدته وكان سلاحه يعود الى ايام ثمود.

ولم تكن هناك مدارس عسكرية ولا مايحزنون.

ثم بدأت الثورة في بناء الجيش الوطني، وفتحت عدداً من المدارس العسكرية - مدرعات - مشاة - شرطة عسكرية- وغيرها.. ثم انشأت الكليات العسكرية والأمنية المتخصصة.

وقبل الثورة كان الشعب يتطلع ويناضل من أجل الحرية والديمقراطية.

ثم قامت الثوة ومعها اهدافها (الستة) التي جعلت من الديمقراطية هدفها الأكبر.

وقد كانت الحرية مع الحفاظ على دستور البلاد في قاموس (الامامة) المظلمة خيانة عظمى الى ان جاءت ثورة ١٩٤٨م تستهدف الاصلاح والحد من الحكم الفردي الظالم وبعدها ثورة ١٩٦٢م التي اطاحت بشجرة الظلم والظلام واقتلعت الامامة المتحجرة من صخورها.

ففي عام ١٩٦٣م صدر اول دستور مؤقت للجمهورية العربية اليمنية، ثم صدر الدستور الدائم في الشهر الخامس من عام ١٩٦٥م، ثم صدر دستور دائم في عام ١٩٧٠م، ثم جاء ستور دولة الوحدة الذي ادخلت عليه تعديلات بعد هزيمة الانفصاليين كفلت توسيع الحريات وتحديد مدة رئاسة الجمهورية بفترتين واقرار التعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة.

وعقدت المؤتمرات الشعبية المتتالية لكي تؤكد على (قداسة) الدستور، واحد في عمران عام ١٩٦٣م وواحد في (خمر) في مايو ١٩٦٥م ومؤتمر علماء اليمن في عام ١٩٦٨م ثم مؤتمر الشباب في عام ١٩٦٩م وكلها مؤتمرات دعت وقررت كل ما من شأنه التمسك بمبادىء الثورة والحرية والديمقراطية.

وفي عام ١٩٧١ جرت اول انتخابات شعبية لانتخاب ثمانين في المائة من اعضاء مجلس الشورى تولت الرئاسة تعيين ٢٠ في المائة من الاعضاء.

وفي عام ١٩٧٤م صدر القرار بتعليق الدستور الدائم وتجميد مجلس الشورى الى يوم صدور الاعلان الدستوري بتشكيل مجلس الشعب التأسيسي عام ١٩٧٨م.

وفي صيف ١٩٨٥ جرت اوسع عملية انتخابات لاختيار نائب واحد عن كل خمسمائة شخص في مدن اليمن وقراه لعضوية المؤتمر الشعبي العام، وظهرت النقابات المختلفة للعمال وللصحفيين والاطباء واتحاد الادباء وغيرهم، وتكونت الاتحادات الكبيرة كاتحاد الطلاب والاتحاد العام لنقابات العمال واتحاد الحقوقيين ونقابة المحامين ونقابة الصحفيين ونقابة الاطباء والصيادلة واتحاد المقاولين ونقابة المهندسين بالاضافة الى نقابات الفنون والمهن الطبية والمهندسين وجمعيات المرأة وغيرها..

وصدر قانون الصحافة والمطبوعات، وهو من ارقي القوانين التي تضمن حرية النشر وتكفل حرية الرأي.

وجاء دور التنيمة..

وفي الدليل الضخم الذي اعدته واخرجته وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية تحت عنوان (ربع قرن من المجد الثوري) يقول الدليل في الصفحة ٢٠٥ ما يلي: (هل يمكن الحديث عن اطر واشكال للتنمية في اليمن قبل الثورة التي انطلقت شرارتها يوم السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م.

يبدو من المضحك طرح مثل هذا التساؤل في الوقت الذي يستعيد فيه المرء بعض صور البؤس والحرمان، بل حتى ان كلمة (تنمية) لم تدخل قاموس التداول لانها كانت بمثابة الامر الترفي قياساً الى الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي اوجدته الامامة، ذلك الوضع الذي اوضح جوانبه المظلمة السوداء كتاب الاستاذ (محمد انعم غالب) (التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن) حيث كانت الحقائق التي تضمنها

الكتاب بمثابة الصرخة المدوية لوضع قلّما ورثته ثورة من الثورات او حركة من حركات الاستقلال.

وقبل الثورة لم يدر بخلد اليمنيين ان بامكانهم الوصول الى أية مرحلة من مراحل العمل التنموي القائم على البرمجة والتخطيط العلمي في ظروف لم يكن هناك وجود أصلاً لأية هياكل ادارية او اقتصادية او تشريعات او نظم، فحتى التجارة المحدودة لبعض الافراد القلائل من الخارج لاستيراد بعض السلع الضرورية(كالكيروسين والكبريت والصابون وبعض الحلوى) لم تكن محكومة بأية قوانين او تشريعات لتنظيم التجارة الداخلية والخارجية، فأول سجل تجاري يعني بهذا الموضوع صدر بعد قيام الثورة مباشرة.. وأول مصرف يمني ايضا انشىء بعد قيام الثورة.. واول دعائم اقتصادية لتنظيم الجوانب المالية والتجارية والاقتصادية والضريبية والجمركية انشئت هي الاخرى بعد الثورة بحيث تبدو القوانين والتشريعات والقرارات التي صدرت خلال الاعوام من ١٩٦٣ وحتى الان كلها ضمن عملية بناء الدولة التي اضطلعت بعبء ايجاد مقوماتها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة.

لقد كان اليمن قبل ثورة السادس والعشرين من سبتمبر يعيش داخل اسوار التخلف الرهيب منذ ان تولى السلطة الامام يحيى بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في اعقاب الحرب العالمية الأولى، ثم تلاه ابنه الامام احمد بعد فشل انقلاب ١٩٤٨م الذي قتل فيه الامام يحيى بتحريض من زعماء حركة الاحرار اليمنيين الذين كانوا يهدفون الى اخراج اليمن من عزلته وتخلفه.

ويمكن القول ان رياح التغيير التي هبت على الوطن العربي بعد قيام الثورة المصرية في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م اجبرت الامام احمد ان يفتح بعض النوافذ التي اطل منها اليمن على حلبة القرن العشرين في بداية النصف الثاني منه، فوقع في عام ١٩٥٧ اتفاقية مع الاتحاد السوفييتي

لتشييد ميناء الحديدة واخرى مع الصين الشعبية في نفس العام لشق وتعبيد الطريق بين الحديدة وصنعاء (٢٢٤) كم وثالثة مع وكالة التنمية الامريكية لشق الطريق من المخاء الى تعز وصنعاء (٣٧٥) كم، وفيما عدا ذلك يمكن القول ان اليمن كان وحتى قيام الثورة في سبتمبر عام ١٩٦٢م يعيش في غياهب القرون الوسطى، ولا يكاد ابناؤه يعرفون شيئاً مما يدور في عصرنا الحديث، عصر الكهرباء والقطار والتلفاز والجامعات والطائرات النفاثة الى آخر ذلك من مظاهر حضارة القرن العشرين التي كانت مع بداية النصف الثاني من هذا القرن قد غزت ادغال افريقيا واجزاء من غابات الامازون. بينما لم تصل الى شعب هو من اقدم الشعوب الانسانية حضارة..

وبعد قيام الثورة في عام ١٩٦٢م، اندفعت اليمن لتقاتل على جبهتين.. الجبهة الأولى جبهة الدفاع عن الثورة والجمهورية.. والجبهة الثانية وكانت جبهة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعلى الرغم من ان جبهة القتال ظلت مفتوحة حتى نهاية الشهر الاول من عام ١٩٧٠ الا ان القيادات السياسية لم تأل جهداً في الباس هذا البلد العريق الذي اكتشفه العالم فجأة من خلال مأساته ثوباً عصرياً.

وخلال تزامن حرب الجبهتين اعطيت جبهة التنمية الاقتصادية اهمية استثنائية فصدرت العديد من القوانين والقرارات الجمهورية والوزارية بانشاء وتأسيس الوزارات والمصالح والمؤسسات.. والقطاع العام والمختلط والخاص والتعاوني.. وصدرت قرارات بتعيين وزراء لها ورؤساء ووكلاء ومدراء وعموم مجالس ادارات.. الى غير ذلك، مما تتطلبه الادارة الحديثة.. ولم يكن مستغرباً ايضاً ان هيكل الجهاز الاداري الحديث كان نقلاً عن تجارب بعض البلاد العربية.. ويستطيع المرء قياس باقي القضايا على هذا النمط.

ولقد ادركت الثورة ان الخروج من اسر وقيود التخلف يتطلب الأخذ

بأسلوب التنمية المبرمجة والأخذ بأسلوب التخطيط الحديث، وهكذا فقد كانت البدايات الاولى بعد ان رمت الحرب اوزارها تتعلق بضرورة ايجاد الاطر الكفيلة بخلق مؤسسات ترعى الجانب التخطيطي باعتباره رأس الحربة الاساسي في الانطلاقة نحو مرحلة جديدة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ظل اجواء سياسية محلية ودولية ملائمة.

هذه بعض ثمرات الثورة، التي توِّجت بالوحدة التي عادت على اليمن شعباً وارضاً واسماً وقادة، بالخير العميم.

ألم يعد من واجب كل يمني بعد هذا ان يحرص على ثورته ويحتضن وحدته ويردد عبارة القائد (علي عبدالله صالح).

- الوحدة او الموت !

قل لهم ياصديقي ان السماء ملبدة بالغيوم، ولكن عزيمتهم الصادقة ستشق في السماء برقاً هادئاً!

لكي تبقى الثورة

.. وتبقى معها وامامها وحولها : الوحدة !

● ● ●

الفصل التاسع عشر

الشعر من أجل الوحدة



انا اشهد ان اليمن هو بلد الشعر والشعراء، وعندما يتعلق الأمر بالحرية او الثورة او الوحدة فان شعراء اليمن عندئذ، اشعر شعراء العرب.

وليس في لبنان من تغنى بلبنان مثل ما تغنى شعراء اليمن ببلادهم! وليس في العراق او سوريا او الاردن او حتى فلسطين، من احالوا تراب وطنهم الى قصائد، وجعلوا من ثورة بلادهم كلاما بالوزن والقافية والعاطفة والحكمة، مثل شعراء اليمن!.

أكاد استأذن الاستاذخالد محمد القاسمي، واستعير منه الصفحات التالية من كتابه الرائع الذي ضمنه مختارات شعرية في خدمة الوحدة والثورة:

يقول الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن) كما ورد في كتاب (الوحدة اليمنية في مواجهة التحديات) صفحة (٢٤٢) للاستاذ خالد القاسمي، هذه السطور التي انقلها كماهي دون حاجة للزياردة او النقصان.. او التعليق:

وفي جنوب البلاد كانت بريطانيا تحكم، لا الإمام كان الشعراء هناك يعانون من حيرة مزدوجة، او على الأخص من خوف مزدوج. فالاستعمار يكمم الافواه ويستعدي عليهم الإمامة، والإمامة تعداي هجوم عليها او تعريض بأوضاعها ومنهم بخاصة هجوماً او تعريضاً بالاستقلال

الذي تتمتع به المملكة السعيدة.

الاانه مع نمو الحركة الوطنية في شمال الوطن، ونضالها المرير ضد الحكم الامامي، وخروج الأحرار الى عدن، خرج الشعراء الى حريتهم بعد ان تكشف لهم بوضوح مساوئ الحكم الامامي، وهاهو الشاعر لطفي جعفر أمان يوجه التحية الى صحيفة (صوت اليمن) تحت عنوان (انا حامي الضمير) وهو عنوان يشير الى مدى توحد الشاعر مع اخوانه المناضلين في شمال الوطن، والذين يصفهم بالأهل والأسرة الواحدة. وقد بدأها:

حملوا مشعل الهدى لشباب   مستكين في ذله وهوانه

الى ان يقول معرضا بالاستبداد في الشمال والاستعمار في الجنوب:

أكذا يجرم الطغاة بأهلينا   ويشقى الشريف في اوطانه

أيها العابثون.. بالحق مهلاً..   ليس نصرالقوي في طغيانه

والشاعر في هذه الأبيات يتهدد ويتوعد قوى الطغيان، سواء في الجنوب او الشمال، بدنو الثورة التي ستقودها (الجموع) الجماهير المضطهدة كي تضع حداً لإجرام الطاغي في الشمال وشقاء الانسان (الشريف) في وطنه المحتل.

ومع تنامي النضال الوطني واحساسه الوحدوي ظهر ان قضايا النضال في الشمال والجنوب لم ينفصل بعضها عن بعض، فتحرير البلاد من الحكم الرجعي في الشمال لم يكن- بالنسبة للجنوب- بأقل اهمية من تحرير الجنوب نفسه من الاستعمار البريطاني.

وكذلك كان تحرير الجنوب من الاستعمار- بالنسبة للشمال- هدفاً وطنياً لايقل اهمية عن هدف الإطاحة بالحكم الحميدي) اضافة الى تنامي المد القومي وحركات التحرر التي اججتها ثورة مصر العربية، تعمق وعي الشاعر اليمني وأخذت قضية الوحدة اليمنية تتجسد وتتبلور ملامحها في ذلك الإحساس الوحدوي.

ويستمر المؤلف الاستاذ خالد القاسمي، في الاستشهاد بالقصائد والمقالات الصحفية والادبية التي انطلقت تؤيد الوحدة والحرية في اليمن،

حيث يقول:

وفي قصيدة (صوت الضمير) (للشاعر ادريس حنبلة) نستطيع ان نلمس موقف الشاعر والتزامه تجاه قضايا وطنه، فهاهو يعري تلك السياسة:

قل للعميل محنط الأفكار مهلاً فصوت الشعب كالإعصار
صوت يطيح بكل وضع فاسد ينهي عهود مذلة وصغار
صوت الحياة لكل شعب مؤمن بمبادئ الأشراف والأحرار

ويخاطب العملاء ساخراً، اولئك الذين (يبيعون قضايا الوطن وهم في الحقيقة لايبيعون سوى انفسهم).

بعت القضية بالنقود وجئتنا بـ(وريقة) من صنع الاستعمار
ياليت امك لم تلدك وليتها ماتت بعسر ولادة بحمار

وكما أدان الشاعر ادريس حنبلة من الجنوب تلك السياسة الاستعمارية التي ينفذها العملاء، يأتي صوت الشاعر عبدالله البردوني لايقل ادانة ورفضاً وسخرية، لتعكس وحدة المشاعر والاحساس وعمق تفاعلها، فتوحدت استجابات الشعراء الرافضة من تلك القضية سواء في (صنعاء) او في (عدن) ففي قصيدة (بشرى النبوة):

ارض الجنوب دياري وهي مهد ابي تئن مابين سفاح وسمسار
يشدها قيد سجان وينهشها سوط، ويحدوخطوهاصوت حمار
تعطي القياد وزيرا وهو متجر بجوعها فهو فيها البائع الشاري
فكيف لانت لجلال الحمى عدن وكيف ساس حماها غدر فجار

ثم يقول:

أشباه ناس وخيرات البلاد لهم ياللرجال وشعب جائع عاري!
اكاد اسخر منهم ثم تضحكني دعواهم انهم اصحاب افكار

ويعد الشاعر عبد الله البردوني واحداً من ابرز الشعراء الذين جسدوا وحدة التراب والدم والتاريخ قبل الثورة، وتحرير جنوب الوطن

والدعـوة الى الكفـاح والنضـال ضـمنه العـديد من قصـائده بمافـيـهـا تلك القصائد التي مدح بها الامام.

ففي قصيدة عودة الغائب التي كتبها عام ١٣٧٧هـ يبدو فيها محرضا الإمام على تحرير الجنوب ليعود الوطن الموحد الاباء والأجداد، وخاصة اذا عرفنا (ان الامام احمد اراد عام ١٩٥٦م ان يبدو عدو الاستعمار وفاتحاً للجنوب فسلَّح افراداً لايملكون النزوع الى الحرية، وليس لهم من سوابقهم مايجذرهم في تربة الارض وصميم القضية لكنه أنفق اسلحة وأموالاً من قبيل السخاء الملكي، لامن دافع العمل التحرري. فقد كان يجند اناسايقبضون النقود ويحولون الاسلحة الى نقود بسفر يوم وليلة، واذا بالبنادق التي سلمت اليهم في تعز تباع في الجوف وخولان بأقل أثمانها وقال المواطنون فليبشر الانجليز بطول السلامة.

واتضح من ذلك الحين، فشل الفتح واخفاق نية التحرير).

ارض الجنوب وانت نخوة ثأرها	ظمأى نحن الى الصراع الأحمر
ارضي ودار ابي وجدي لم تـزل	في قبضـة المتوحـش المتنمـر
تطوي على حلم الجهـاد عيونهـا	وتئن تحت الغاصـب المستهتـر
متجبر واصم لم يسمـع سـوى	وهج الجديد المـارد المتجـبر
فازحف اليه يابن بجدتهـا عـلى	لجج السـلاح الفاتح المتهور

وفي قصيدته (البعث العربي) التي قالها بعد لقاء الزعيم جمال عبد الناصر والملك سعود والامام احمد، مستمدا من ذلك اللقاء الذي اتخذه الامام ستارا لتغطية حكمة المهترئ والمتداعي، القوة والثقة، فينطلق متوعدا ومهددا بريطانيا بهذا التنظيم الركيك.

يابريطانيا وقد هيئ الميدان

هيا الى العراك العنيد

انما نحن في امة تبذل الأرواح

في ذمة العلا والخلود
تفتدي المجد بالنفوس وتشفي غلة الثأر من جراح الشهيد
فتخلي عن الجنوب وخلي (مكران) المصون حر البنود
دون ماتبغين صاعقة الموت وبرق القنا وقصف الرعود

في عيد الجلوس التي نشرها عام ١٩٦٧ يتحول ثأر (الجنوب المحتل) الى برق يسكن القلب ويشعله نضالا وكفاحا بقدوم اليوم الذي سوف تؤرخه دماء الشهداء:

لا، لم ينم ثأر الجنوب وجـرحه كالنار يبرق في القلوب ويرعد
بين الجنوب وبين سارق ارضه يوم تؤرخه الدمـاء وتخلـــد
وستعرف الدنيـا وتعرف انـه شعب على سحـق الطغاة معود

كما ارتفع صوت شاعر آخر وهو عبدالرحمن قاضي، يستنهض الهمم ويستحث الضمائر:

لاح يابن الجنـــوب فجـــرالكفـاح فاهجرالنوم لاتكن غير صاح
وانطلق ثـــورة على الغاصب المحتل وانقـض كاللظى اللفـــاح
كالمنايا، كالبرق، كالهول، كالإعصـار كنـار غضبه كـالريـــاح
واثرها على الغـــزاة جحيمـــا وراحا ثخينة في جـــراح

ثم يوجه استفهامات استفزازية عاكسا تلاحم المشاعر وتوحدها:

أيعيش الغزاة والحر منا يتلظى جوعا من الحرمـــان
ايعيش الغـــزاة فينـــا واحرار جنوب تساق العيدان

اما الشاعر ادريس حنبلة فهو يستمد صورة الوحدة بين الشطرين من حقيقة وحدة التاريخ في الماضي وحتمية المسقبل، مستندا الى الجماهير(المواكب)الزاحفة في مهمة تحقيقها:

ان الفروع الى الاصول مردهـــا والفرع نحو الاصل حتماً يرجع

ولسوف نزحف في الطريق مواكباً ترنو الى الهدف الكبير وتطمـع
للوحـــــــدة الكبرى لأنبل غـايـة اسمى وأجدر بالحياة وأرفـــع

ثم يضيف المؤلف في بحثه الشيق عن الشعر والوحدة في اليمن قائلاً في الصفحة ٢٤٨ من كتابه المذكور:

وخـلال هذه ا لفترة – والى يـومنا هذا– ظل الشـعـراء يرسمـون حلم الوحـدة.. من افق بشـائر التـقـارب السـيـاسي، او من خلل داكنـه الظلام والدخـان، اللذان مـهمـا تكثـفـا ومـهمـا حـاولا تشـويش الرؤية وحـجب قمم شمسان ونقم. فانهما يعجزان عن زحزحـتهمـا قيد انملة، وقـد عبر الشـعر عن وجدان الامة وضميرها ذلك الوجدان الذي لم يعتـرف بالتجزئة ولم يقر الانفصـال عبر عن ضمير الامة الذي يدرك بعبقرية وحدس صـادق، ان خيره وسعـادته هما في وحـدته التي يعيشـهـا بنبضـه وروحه، بأوشـاجه المتدة في التراب الواحد منذ آلاف السنين. وعلى الرغم من تباين وبروز الفـروق النوعيـة بين الشـعـراء إلاَّ ان مـحـورا مـشـتـركا يظـل يربط بين ابداعـهم، وهو حب الارض اليمنيـة الذي يبلغ قمـة توهجه عنـدما يأخذ بـعد الوحدة.

وسـوف نتـوقف عنـد عـدد من شـعـراء القـصـيدة العـمـوديـة لنتـأمل هذه الظاهرة وليكن الشـاعر مـحـمـد سـعيـد جـرادة المحطة الاولى في قـصـيـدته (وجه صنعاء).

عند الرجـوع الى ديوان الشاعـر، وجدنـا ان تاريخ هذه القـصـيدة يعـود الى نوفمبر ١٩٧٢م، ولاشك ان لهذا التـاريخ دلالة مـوحـيـة، لذا فقد بدأ وجه صنعاء من خلال ذكرى بعيدة، ليشير الى واقع الانفصال المؤلم.

وجه صنعاء والسمات الفريدة لاح لي من خلال ذكـرى بعيده
حين كانت صنعاء كاعبة بكرا بها تعلق القـــــلوب العمـــيده

ثم يشـدو ابياتا غنائيـة موضـحـاً الأثر الذي تركـه لقاء الوحـدة على نفسه وعلى الارض.

هـــزني من ربات صوت حبيب كهزاز الربيــع غنى وروده
وحـــدوي الصدى يعانقه القلب حفيا مباركـــــا ترديــده
ان هـــــذا اللقاء عودة تاريخ اراده الأعـــداء ان لانعيده
غاب قرن الخلاف، وارتفع السور الذي اغلق اللثــام وصـــيده
هم أثارو ا الشقاق بين الاشقــاء وخبوا واوضعوا في المكيـده
غير ان السحاب في يمن الثورة لا تمطر السمـــوم البليـــده
والسماء الجلواء في افقها الزاهر لاتخنق النجوم الوليـــده
والرياح التي تهب على خضرائها لاتضل فلكا مريـــــده
يمنيون ما هـــدمنا نظـــاماً وثنياً لكي نقيـــم نديـــده
لم تغير وجوهنـــا انها تلك الوجوه الكريمة المعهـــوده

وهكذا نجد ان السحب والسماء والريح وكل ما يرتبط بالارض اليمنية يتميز بالتناغم والانسجام، وبالروح الثورية الوحدوية التي تشع من تلك الارض.

اما الشاعر ابراهيم الحضراني، فان احساسه الوحدوي ينفذ من خلال قصيدته (اغنية مغترب) تنساب لغته الشعرية بعذوبة وتلقائية حتى ينسينا اننا امام قصيدة تجسد الوحدة ليجعلنا نعيش (حالة توحد):

الهوى كل الهــوى للوطـــن والمنى في نسمات اليمـــن
يادواء القـــلب في علتـــه يابلادي يا شفاء الحـــزن
نحن في الذكرى وفي الذكرى لنا شجن اعظم به من شجـــن
أين من نسمـــات السحـــر من سفح صنعاء وربا عـــدن
وحقول البن تزهـــو في الربى وشذى المسك بـــوادي تـــبن
يابلادا نبت العـــــز بهـــا وروى الامجاد عن ذي يـزن
نحن أكبرناك صــــوتاً عالياً وشموخاً صامـــداً لم يهـــن
غلب الدهــــر على قسوتـه وتحدى كبرياء الزمـــن

واذا كانت القصيدة الاولى قد أنستنا ان أمامنا قضية مصيرية عندما

استوعبتنا داخل نسماتها الوحدوية تاركة وراءها عبقاً يتضوع في وجدان الانسان اليمني نسمات (بن) وشذى (مسك) فان القصيدة التالية للشاعر نفسه، وان كانت تتسم ايضاً بالنفس الرومانسي الغنائي، الاانها تشد وعينا، وتيقظ استغراقنا الحالم بالوصل وعذوبة اللقاء لتضعنا امام مسؤوليتنا التاريخية في تنفيذ الوحدة:

ياشعر نحن اليوم في عـدن	لما تفيض بسفحـــــها حبـــا
رق الحبيب فطرت من فرح	حتى نسيت اللـــوم والعتبا
وخبأت للاجيــال اغنيـــــة	من ذا سيعزف لحنها العذبا

اما الشاعر الثالث، فهو الراحل عبدالله عبد الوهاب نعمان، الذي تحولت احدى قصائده الى (سلام وطني) في جنوب اليمن والتي، وان كان يصعب اختيار مقطع منها وترك آخر حيث تشكل نسيجاً نفسياً ووجدانياً في الضمائر، فالمقطع التالي يرسم طريق الوحدة:

وحدتي يانشيدا خالدا يملأنفسي
أنت عهد عالق في كل ذمة
عشت ايماني وحبي سرمدياً
ومسيري فوق دربي عربيا
وسيبقى نبض قلبي يمنيا

وفي القصيدة التالية، التي لم تنشر في حياته، يجسد الوحدة هما ومسؤولية تاريخية مشتركة:

ياشمالا يحمـــل الهـــم بنا	مطرقا يصغي الى هم الجنـوب
وحدة الشطرين في اعـراقنا	نغماً تعزفه نبـض القلـــــوب
فهي في الزفـرة من اشواقنا	انها لقيـــــا حبــيب بحبيب
وهي ايماء الى اشراقنـــــا	لن نلاقي بعدها وجه غــــريب
وبها تصرخ في اعمـــاقنا	ذمة التاريخ في صـوت رهيب

فاذا ظلت على اوراقنـــــا كلما يذري على وجه الـدروب

فستمضي النار على احراقنا ابداً توقدها كف الغـــــريب

ويمضي الاستاذ القاسمي في حديثه الشيق عن هذا الشعر والادب قائلاً:

يقول د. عزالدين اسماعيل في كتابه (الرؤية المعاصرة، في اليمن):

تختلف الرؤية الواقعية الفنية عن الرؤية الرومانتيكية في انها لاتلغي الواقع وتبحث عن بديل مثالي له، بل تتصل بالواقع اتصالاً مباشراً، ولكنها تختلف في صلتها بالواقع عن صلة الرؤية الكلاسيكية. فاذا كانت الرؤية الكلاسيكية ترى الواقع من وجهه الظاهري وتقترب منه من اقرب الطرق، ثم تسجله كماهو ماثل للعيان، فان الرؤية الواقعية تبصر بالواقع بوصفه حركة مضطربة تموج بالجدل، حيث تشارك عناصر وروافد كثيرة ومتجانسة ومتخالفة في صنعه انها تتبصر به حركة في التاريخ الانساني الطويل الممتد من الماضي الى المستقبل، وهي لذلك لاتستطيع ان تقف عند مجرد تسجيل ظاهرة، بل تجد نفسها تغوص في اعماقه لكي تستكنه حقيقته، على انها لاتصوغ لنا حقيقته صياغة مباشرة. بل تستغل كل وسائل الاداء الفني من الرمز التاريخي او شبه التاريخي من الأسطورة المشعة بالمغزى والدلالة، ومن عمليات الترابط المعنوي بين الابنية والتراكيب وغيرها من الوسائل. وقد يضاف الى كل هذا انها رؤية (ملتزمة) بمعنى انها تحرص في تعميقها للواقع وكشف ابعاده على ان تقول كلمتها فيه، بما تراه تحقيقاً لصالح الجماعة وسعادة الانسان.

يمكننا تناول القصيدة الجديدة والنظر الى الرؤية الوحدوية في اليمن بشكل عام من هذا المنظور، ومن هذا المنطلق نستطيع القول بأن الوحدة اصبحت هما سياسيا وفلسفيا وفنيا خلاقا، اذلم يعد التعبير عنها يتم بعفوية ومباشرة وبساطة، وهو الامر الذي يعني ان (العلاقة بين حركة الوعي وحركة الواقع الاجتماعي علاقة افقية ومسطحة وطليقة). بل يصبح التعبير عنها يقتضي الوعي بالواقع الاجتماعي وبالتناقضات الجدلية التي

تبرز في سياق التحولات الثورية من خلال رؤية تتسم بالشمول والعمق والصدق الموضوعي.

لقد تمكنت القصيدة الجديدة من الخروج على النمطية والقوالب الضيقة واستطاعت ان تتطور باستمرار. فاختفت العلاقات البسيطة في بنية اللغة لتحل محلها علاقات لغوية اكثر تركيباً وتعقيداً. وانعكس ذلك في تشكيل الصورة، وفي بنية القصيدة واستخدامها للرمز والحوار والمونولوج... الخ. لذا، فقد اصبحت اكثر مرونة وقدرة على التعبير عن المتغيرات، واستيعاب حركة العصر والواقع الاجتماعي الجديد، فكيف عبر الشعر عن قضية الوحدة من هذا المنظور؟

قصيدة اليمن (الدم والتراب).

يبدأ الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح بمطلع غنائي رومانسي شفاف، ولكنه واقعي النسغ والجذور اذ عبر عن انفعاله بالواقع الحي الذي تمازجت فيه الذات بالموضوع، والموضوع بالذات. لينطبق عليه ماقاله المفكر العربي الراحل حسين مروة (هذا اللقاء الحميم بين واقعية الشعر ورومانسيته يمكن تقديمه، مرة اخرى برهاناً حيا على ان الواقعية بطبيعتها تحتل ازهى الوان الرومانسية، بل هي ضرورة لها).

في لساني يمن
في ضميري يمن
تحت جلدي تعيش اليمن
خلف جفني تنام وتصحو اليمن
صرت لااعرف الفارق مابيننا
أينا يابلادي يكون اليمن ؟

انه هنا يشير الى اليمن الطبيعي، التي تعمل عناصر الشر والظلام على تمزيقه مصوراً ابعاد الصراع وشراسته والايدي الملوثة التي تحركه.

(من الرمل تمتد خاصرة الشمس حرفاً من المسند العربي، من ترى صيرالحرف حرفين فاغتال اعلاه صيره اعجميا؟.

تجيد التلاعب بالبنكنوت.

في موكب (العم سام) يطأطئ هامته ويسير بلا رأس..

ويمضي في تصوير محاولات تمزيق الجسد الواحد وتقطيعه حتى صارت مجزأة القلب، مكسورة الوجه.

صار اسمها في المحافل (صنعاء يوماً، ويوماً عدن) الاانه على الرغم من شراسة قوى الظلام وسعيها لتمزيق الأوصال بالسكاكين او بالرصاص، اذ ان كتابة هذا القصيدة تعود الى نوفمبر ١٩٧٢م على الرغم من ذلك فوحدة اليمن وحدة الدم والتراب اللذان شاء الله لهما ان يمتزجا منذ آلاف السنين قد تحولا الى ماهو اكثر صلابةوقوة من تلك السكاكين ليجعلا من الوحدة حقيقة متجسدة الميلاد خالدة واذا بالموت الذي يصدره لنا (الاعداء) قد تحول الى انبعاث وميلاد.

لااصدقهم وهي واحدة كلما اثخنت في التراب السكاكين وادمى التراب السكاكين واندمل الجرح..

واسترجع الجسد اليمني الممزق أبعاده

شكله واستدارته

نهضت من خرائبه المقفرات اليمن

وفي قصيدة (اكتمالات سين) وسين إله القمر الذي عبده اليمنيون يجسد الشاعر محمد حسين هيثم التوق الى الوحدة وهو يستدعي الثائر علي بن الفضل ويعود بنا الى زمن تصارعت فيه القوى المستغلة مع المستغل.. تصارع فيه الفقر والغنى.. الظلم والعدالة، عبر تلك التحولات الاجتماعية الجذرية التي قادها علي بن الفضل ليعود بنا عبر الماضي ليسقطه ايجابيا على الحاضر فالتحولات الثورية لاتتم الاعبر اصطدامها بالتناقضات وتجاوزها وتأسيس مملكة الجنتين وتأسيس الوحدة لاتتم الى عبرها:

لك الخضرة المجتلاه
البلاد التي تستفيق على مهل
والخطى العاثرات
تؤسس مملكة الجنتين
مأرب البيت ندخله آمنين
مأرب النشوة الرازقية يذهب فيها
اليماني حتى نهاياته
فاتناً لايطال.

اما الشاعر حسن اللوزي فالحب لدية هو المعادل الموضوعي للثورة التي تلتحم بذات الشاعر وتمتزج بتكوينه النفسي والعقلي والوجداني ومن خلالهما تصبح الوحدة جزءاً لا يتجزأ من تلك الذات الواحدة المكتملة والمتوهجة يألف التمرد على التمزق ورفض المسافات وتعرية وفضح الرمال الخائنة.

لقد وصف الشاعر في قصيدته (هنا الطقوس.. وهذا جسد المملكة) (الفن الدرامي) الذي يستند الى اساسين وهما (الفعل والحركة) والفعل في المسرح يعني الحدث النامي تدريجياً والذي يتطور باستمرار حتى ينتهي. اما الحركة فهي تعني بلورة موقف البطل من خلال (الصراع والتضاد) في المواقف بينه وبين الآخرين او بينه وبين ذاته.

ومادام ثمة صراع فلابد من توافر اصوات غير صوت البطل، لان الصراع يعني وجود قوى اخرى تقف موقف الضد غالبا ما تنوب عن الشخصيات بأصوات داخلية متضادة تنهض بمهمات الصراع وتطوير الحدث.

يافيض الهوى الممتد في جسد النخيل
حبيبتي الاولى، واحلامي الى الاتي،
واحلام الجياع لزهرة الشمس وخبز المستحيل

فمتى ستختزل المسافات القصية؟
او تعانق ذروة الفيضان امواج الرحيل؟
صوت جماعي:
كل المسافات القصية سوف يأكلها الرماد الدود يوما، حين تشتعل الخيول
وكل اقدام الحفاة برقصة البرق المدمى فوق عرش الرفض:
حين يصير وجه الارض في حجم الفراشة
والمشيئة خاتما في اصبع الفقراء
منذ بداية الجموع في مفاوز الطريق.. الرمل خانني
الرمل دائما يخون!!
الليل لم يدلني
الليل دائما يمزق الشارات في العيون!!
وغار وجه نجمة الهواء التي اعطيتني
النجمة التي رشقت سهمها في قفصي الصدري لم تعد تضيئني
هل انثني؟
وانا اريدك ان تكوني شارتي
جلداً على لحمي
لحماً على عظمي
وان تكون اشارة الوطن المفدى في الطريق لمركز الدوران في الارض الجديدة ان تكون دفقة الاخصاب في رحم الذي يأتي يخلصنا، يخلصني).
كانت عيون الشرطة الليلة العمياء مشدوداً عليها النوم
مسكون انا بالرعب
مكتوب على القتل (توسيطا) بين الكاهن الوثني

كيف لكائن مثلي الخروج ورفض تعميد الكهانة؟

ان الشاعر اذ يطرح هذا التساؤل انما يدرك ان الطريق للخروج من (الرعب الليلي) لن يتم إلا بالتمرد والقضاء على الكهانة، التي تتمثل في الكثافة اللزجة للترسبات التي افرزتها عصور التخلف والركود، وهو طريق وعر وشاق، وكما ان رائحة (المر) التي تنبعث من قمم شمسان وشذى البن في صنعاء، يذلل الصعاب ويهزم المستحيل، فان احلام الجياع والفقراءوالسواعد القوية المبعثرة في الصحراء تدفع ايضا الى الايمان بانتظارها، وقدرتها على تحقيق الوحدة.

تقدمي مني
يستغويني المر الذي يفوح منك ياحبيبتي
يزرعني مشاتل من زهرات البن
تقدمي مني
يسقط عشب ظلي الجديد في عينيك
يؤرق في (النين)
يعطيه لونا رائقاً كلون حلم الفقراء
يمسح من اصدافه اتربة الحزن
تقدمي مني
ممزق انا بأحلام الجياع يا اميرتي
منصرع بجوعهم اليك
مدي الى مجاعة القرى بداخلي يديك
توغلي، ياموكب الحنطة في اعماقها
وللمي من ربقة الصحراء اشلائي المبعثرة
ولتوقفي قوافلي المهاجرة!!
ولتتركي البرق الذي يسكنني.. يسكننا معا
نصير شيئا وحدا.. انسجة واضلعا

يقول د. (رجاء عيد) في كتابه (رؤية نقدية) صفحة (١٠٤) (يتوحد الطرفان، المرأة والوطن ليصبح الحديث عن المحبوبة هو الحديث عن الوطن بل ان التوحد يتخذ سمة الحديث المباشر الى امرأة وتخلق لغة الحب لغة الوطن حين تنبع الثانية من الأولى، حيث تكتسي بنعومتها الادائية وقاموسها اللغوي).

فها هو الشاعر القرشي عبدالرحيم سلام يتحدث الى اليمن الحبيبة حديث محب الى حبيبه يتوهج الق الوحدة، هما وجرحاً ، بعدا وقربا.

احبك.. معذرة لا احب انشقاق جبينك
شرخ العذاب يشوه وجهك
يحفر في غصة الجرح وجهي المهاجر
في الوطن (السندويتش) والسفر الصعب والاسئلة
احبك وجه الشتات المزق وجهك يتألق الآن
وأشقى عناقك والحب مشطورة الوجه والنهد والجنتين
احبك وحدك الدم والهم والسفر الصعب
يا أجمل الاغنيات الحزينة
ياوطن الجنتين

انها صرخة من الاعماق تحمل نسمات حب وحدوية حزينة وسط تلك التناقضات وذلك التمزق والحزن الدامي، لتعمق احساسنا بالوحدة، وقد جاءت عبارة يا وطن الجنتين (بعد هذا السياق لتهز الضمائر الحية وتدين الميتة منها).

اما الشاعران عبدالرحمن ابراهيم وجنيد محمد الجنيد، وشعراء آخرون لم يتسع المجال لذكرهم فان تناولهم للمرأة والرمز ذلك (الجسد الاخضر) الذي يمتد من حضرموت الى صنعاء ينطبق عليهم الى حد كبير ما قاله المفكر حسين مروة عن الشاعر جعفر بن عليه الحارثي ١٢٥هـ: (كافح بشعره وسلاحه معاً، وهو من الشعراء القلائل في العصر

الاسلامي، الذين رفعوا الموقف السياسي الى مناخ وجداني التقى فيه الحب والموقف ليعطي كل منهما بعدا جديدا ويؤكد علاقته بذات الشاعر في معادلة انسانية صحية متوازنة)

وهاهو الشاعر عبدالرحمن ابراهيم تمتزج في اعماقه المرأة الحبيبة بالوطن الذي تحول بينه وبين لقائهما علاقات اجتماعية مهترئة وعقبات تزرعها قوى متخلفة.

اغنيك كل المواويل جرحى
وصوتي يموت احتجاجا لجرح المواويل
عفوا سأبقى اغنيك سرا
واعلن صمتي.. وبوح انتمائي اليك
لأن اقتراب المحبين اضحى من العار
في عرف تلك القبيلة

الا ان الشاعر يعلن اصراره وعدم استسلامه ليظل حلم الوصل متوهجاً في دمه حتى يتحقق اللقاء.

سأبقى اغنيك حلما قريبا بعيدا
قريبا
بعيدا
لأنك روعة عمري
يسير دمي خطوة خطوة
وآتيك رغم القيود التي حرمتني
وامضي
اعيد انتشاء الزمن الجديد غيوما
لألقاك انت (.......) امامي
والقاك انت جميع الاماني
وحلمي الوحيد الوحيد الوحيد

يقول د. عبد العزيز المقالح في كتابه (بدايات جنوبية) عن الشاعر جنيد محمد الجنيد واعتقد ان هذا القول ينطبق على جميع الشعراء في اليمن، (كل قصائد ديوان الشاعر ترحل الى الوطن) اما (المرأة او الفتاة التي تطارد الشاعر او يطاردها، ليست سوى اليمن ذلك الجسد الاخضر الذي يتألق بين منعطفات الزمان).

وسأتوقف عند قصيدته (لافتة حب الى غجرية) ولعل كلمة الغجرية ترمز الى النزوع الى الوحدة والعودة بها الى ينابيعها وصفائها الأول ونقائها.

التقينا هذه الليلة قلبين على شلال حب
وتبللنا اخضرارا
كانت الكأس التي بين يدي ترقص للقلب
عرف النبع لنا عمرا وغنى قائلا:
انني عاشقها الاول.. قبلي لا احد
انني عاشقها وحدي.. وبعدي لا احد
انني القابع وحدي
وهي بيني
بيننا هذا المساء

ومن خلال الحوار يكشف لنا عن قوى خفية تحيل اللقاء الى خوف يثير الرعب مشيرا الى (الاسود) الذي يلتف محاولا خنق الحياة والميلاد.. محاولا اغتيال الخصب وتشويهه، والذي تحمله دلالة (الثدي الأمين):

وتجيئين على خيط من الرعشة.. يهفو
وعلى عينيك شيء
انه الاسود ممتد من العنق.. يغطي
نهدم الامين.. يلقي الرعب فينا
هل تحبين حكايا الرعب؟
لا .. لكننا نمتد في ارضية الرعب حزانى

اننا نبذل جهد الانبياء
ربما تمضي الى واجهة في المستحيل
اقتربنا
فرأينا البسطاء
يرسمون عملاقا على الوجه ا لجميل
وينهي قصيدته.

وقد يسند الى البسطاء صياغة التاريخ واعادة الأمل ليتدفق شلال الحب والحياة ويغمرنا ضياء واخضراراً.

ويرسم الاستاذ حسن عبده قاسم، صورة رائعة للشعر الثوري اليمني في محاربة عهد الظلام والتنبؤ بالمصير المظلم الذي ينتظر) الامام) كما جاء في شعر الشاعر الاستاذ العبقري (عبدالله البردوني).

ما اروع شاعر اليمن الأكبر (عبدالله البردوني) حين خاطب الطاغية (احمد) وهو يحمل فراشه على كتفه.. عارفاً انه لا محالة سيدلف السجن وهي اكثر عملقة وشموخاً من هذه الابيات ازاء الجلاد:

لماذا لي الجوع والقصف لك	يناشدني الجوع ان اسألك
واغرس حقلي فتجنيه انت	وتسكر من عرقي منجلك
لماذا وفي قبضتيك الكنوز	تمد الى لقمتي انملك
وتسرق عيشي وتدعى النزيه	وهل اصبح اللص يوماً ملك
غداً سوف تلعنك الذكريات	ويلعن ماضيك مستقبلك؟

نعم وحقت نبوءة الشاعر الضرير، ولم يمت الامام حتف انفه، بل قتل برصاصات الأبطال: اللقيه والهندوانة.. والعلفي..

ثم ينقل المؤلف سطوراً من مقالة ادبية نفيسة كتبها الاستاذ (شوقي عوض) بعنوان: ثورة سبتمبر والموقف المتقدم من الشعر والثقافة الوطنية يقول فيها:

والبردوني في رائعته بعد احداث انقلاب ١٩٤٨م، حين اقتيد هو

الاخر ورفاقه الثلاثة (العمى) و(القيد) و(الجرح) كان قد بعث بهذه الصرخة:

هدني السجن وأدمى القيد ساقي   فتعاييت بجرحي ووثاقي
واضعت الخطو في شوك الدجى   والعمى والقيد والجرح رفاقي
في سبيل الفجر ما لاقيت   رحلة التيه وما سوف الاقي
سوف يفنى كل قيد وقوى   كل سفاح وعطر الجرح باقي

(ومثلما تنبأ الشاعر، فقد تحطمت وتلاشت قوى السفاحين وانبثقت من جوف الظلام ثورة ٢٦ سبتمبر وفي هذا اليوم العظيم خرج من السجن خمسة ملايين هم كل ابناء اليمن في ذلك الوقت، ومن بينهم الشاعر عبدالله البردوني. وتحت اضواء عهد الثورة تألقت اشعار الزبيري و الدكتور المقالح وعلي بن صبرة ومحمد الشرفي وعلي عبدالعزيز نصر ومحمد انعم غالب وابرهيم صادق وعبدالله سلام ناجي ويوسف الشحاري ولطفي أمان ومحمد سعيد جرادة وعبده عثمان ومحمد الفتيح وادريس حنبله وعبدالله هادي سبيت،والقائمة طويلة لو اطلنا البحث او الحديث عن مسار تطور الحركة الشعرية والثقافية في اليمن، وما مثلته في ثورة السادس والعشرين من سبتمبر من تطور قبل وبعد الثورة حيث نجد الرؤية الواقعية والمضمون الفكري، قد اتسعا واصبحا يمثلان الجماهير، كما هو الحال مع قصيدة المقالح (صورة الطاغية) التي رسمها لنا المقالح بنكتته الابداعية والادبية قبل انبلاج شمس النهار بدقائق استطعنا ان نحصل على هذه اللقطة.

لا اسميه فأنتم تعرفونه
كل يوم فوق اجفان الضحايا تقرأونه
في المقاهي تبصقونه
في الزوايا
عند اكواخ اليتامى تلعنونه
او قوله كما يتخيله بلسان الشعب :

لا اسميه على افواهكم ينضح مره
وعلى اجفانكم يرقد شره
شعبكم شعب له والعصر عصره
وكبير الامر في عالمكم ياقوم أمره
قوله عدل وحكمه
ظلمه رفق ورحمه
مهده خصب ونعمه
هل عرفتم بعد اسمه؟

ان المقالح في هذه القصيدة يصور بصورة خاصة قمة التزمت الذي بلغ في الإمام أحمد ويرسم من خلال صورته (الطاغية) الذي يتوهم من انه الخليفة في الارض وكل شيء يأتي بفضل بركاته ورضائه وقد استخدم المقالح في هذه القصيدة تسجيلاً فنياً مشيراً الى الاساليب التي كان الامام يتبعها مع الشعب، وكأني بهذه القصيدة اليوميات التي وصف بها المقالح حركات الامام يحيى وتصرفاته حين هبت الجماهير اليمنية للقيام بثورتها المظفرة.

ومثلما كتب الشعراء بدمائهم القصائد لثورة السادس والعشرين من سبتبمر تغنى الشعراء ايضا لثورة ١٤ اكتوبر وها هو الشاعر عبده عثمان يقول في احدى روائعه الشعرية :

(كنت ادري
ما على ردفان يجري
كنت ادري
ان اخواني واهلي
أذرع تحتضن النور وارواح تصلي
في طريق الراية الحمراء والشمس الأسيرة)

وحقاً اثبت الشعراء ما قالوه من انهم جنود في معركة الشعب -شهداء

في سبيله ضيوف على السجون من أجله – فالحرف عندهم سلاح يقاتلون به المستعمر ويصارعون به المستبد.

وبعد..

وكما استأذنت الاستاذ القاسمي في نقل صفحات عدة من كتابه القيم عن الشعر والوحدة او الشعر والثورة، او الوحدة في مواجهة التحديات اسمح لنفسي مستأذناً (القاسمي) مرة أخرى لكي انهي كلامه عن قصائد الشعراء، بسطر او سطرين ختم بهما الفصل قائلاً:

ان الوحدة اليمنية على الرغم من كل ذلك، لازالت الهاجس اليومي لدى الشعب اليمني، فهي حديثهم في كل مقيل او محاضرة او ندوة بل هي حديث كل فرد وكل بيت .

ولا يخلو الادب اليمني من ترديد هتافات وشعارات الوحدة، فصنعاء وعدن نكاد نلمسهما في اعماق كل شاعر، وهل هناك اروع مما قاله المقالح :

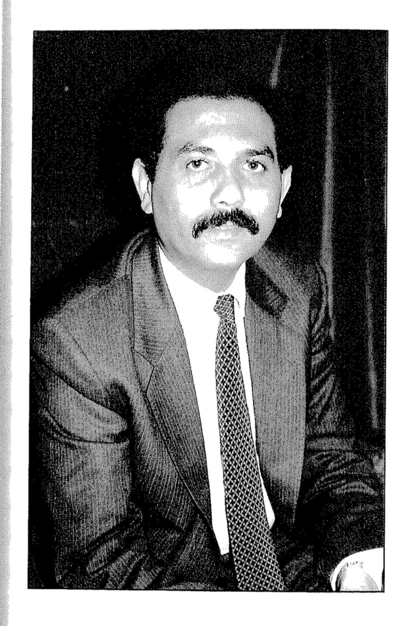
في لساني يمن

في ضميري يمن

وبمثل هذا الشعر الصادق العبقري، جاءت ولادة الوحدة اليمنية في موعدها في انصع صفحات التاريخ..

الفصل العشرون

الوحدة وجدت لتبقى !



اليمن ليست سوريا! و(علي عبدالله صالح) ليس (عبدالناصر) ولا (عبدالحكيم عامر) ولا (عبدالحميد السراج) ولا (اكرم الحوراني) ولا (صلاح البيطار)!

الفرق كبير بين البلدين، والفرق كبير بين الرجل واولئك، والفرق أكبر وأكبر بين الظروف هناك في سوريا أو القاهرة وهنا في صنعاء أو في عدن!

وسألت الصديق الإستاذ حسن أحمد اللوزي سفير اليمن في الأردن ونحن نتحدث عن الوحدة، والديمقراطية في اليمن وقلت له:

- ماذا كانت خطوات الرئيس علي عبدالله صالح من أجل تشييد بنيان الوحدة.. وماذا يصنع لكي يحميها؟

قال السفير الذي كان وزيراً للإعلام خلال سنوات الحرب اليمنية:

- ان تحقيق الوحدة اليمنية كان هدفاً استراتيجياً للثورة اليمنية (٢٦ سبتمبر- ١٤ اكتوبر) ومن اجل هذا الهدف قدم الشعب اليمني أغلى التضحيات،كما ان عملية التحضير لـ(الوحدة) كانت طويلة المدى وشملت على مراحل متعددة من العمل الوطني الدؤوب بداية من إمتصاص حالة التوتر الشديدة التي اعقبت آخر حرب

داخلية بين شطري الوطن اليمني عام ١٩٧٨م والعمل على إعادة تنشيط وتشكيل لجان الوحدة اليمنية عقب لقاء القمة اليمنية في الكويت في مارس عام ١٩٧٩م، وكذا في حرص الأخ الرئيس علي عبدالله صالح على تفعيل أعمال لجان الوحدة اليمنية والإستفادة من نتائج أعمالها التي استمرت بعضها أكثر من سبعة عشر سنة من بعد إتفاقيات طرابلس الوحدوية.. وكذلك من خلال جعل هدف الوحدة في مقدمة اهداف العمل الوطني في الساحة اليمنية وتكريس الجهود الإعلامية والسياسية في اتجاه تهيئة كل الظروف في الوطن اليمني من أجل الوحدة بما في ذلك تبني اللقاءات والمؤتمرات والمهرجانات الشعبية المكرسة لقضية الوحدة في كل المحافظات والمناطق اليمنية؛ وقبل كل ذلك وضوح الرؤية تجاه أهمية وحتمية الوحدة اليمنية وعلى الصعيد الخارجي العربي والدولي.. ومع انجاز اهم الإتفاقيات الوحدوية دأب الاخ الرئيس على استغلال كل لقاء له وكل زيارة خارجية لعملية الشرح والإيضاح لأهداف الوحدة اليمنية والإقناع بها بهدف الحصول على التأييد والمؤازرة للوحدة اليمنية، وعلى مشارف عام انجاز الوحدة، وفي الشهور الأولى من عام ١٩٩٠م سافر الرئيس الى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض عواصم أوروبا الغربية يطلب التأييد الدولي ويقابل الرؤساء ويحدثهم عن الوحدة اليمنية ويطلب منهم التأييد والمناصرة للجهود الوحدوية اليمنية.. والتأكيد بأن هذه الوحدة انما تخدم خير اليمنيين كلهم، وانها ليست لشطر او لمدينة وإنما هي للشعب اليمني بأسره وهي لخير المنطقة.. وللأمن والإستقرار في الجزيرة العربية وجزء من هدف تحقيق الوحدة العربية.

واسترسل السفير يقول :

- وهكذا تمت عملية تعبئة الجماهير -نفسياً- من خلال القيام بالخطوات الجادة في كافة لجان الوحدة وفي اللقاءات الشعبية

والمهرجانات الوحدوية وغيرها بتهيئة كل الأسباب الكفيلة بانجاز الوحدة الإندماجية كما يطمح اليها الشعب اليمني كله وخاصة بعد ان تمكنت اللجان الوحدوية من إكمال المهمة الموكلة اليها بفضل التوجيه المباشر من الرئيس علي عبدالله صالح وفي مقدمة تلك اللجان انجاز أعمال (اللجنة الدستورية) عام ١٩٨١م وكان ذلك مؤشراً للخطة الأكثر حسماً مع تهيئة كل الظروف مما اتاح الفرصة التاريخية العملاقة والخلاقة لإحالة مشروع دستور دولة الوحدة الى السلطتين التشريعيتين في صنعاء وعدن وإقراره في الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٨٩م وشكل ذلك تمهيداً عملياً ودستورياً لإعلان الوحدة اليمنية في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م حيث صهرت الدولتان في دولة واحدة تسير بموجب دستور واحد بعد إقرار مشروع الدستور من السلطة التشريعية المختصة في الشطرين انذاك.

- سألته : ولكن -عندي ملاحظة- عندما اقام الرئيس هذه الوحدة ألم يكن على علم تام بأن الإشتراكيين في الجنوب ليسوا راغبين في الوحدة، وانهم في داخل نفوسهم يعارضونها ..؟ بمعنى هل كان الرئيس يعلم ماكان في داخل نفوس هؤلاء الناس.. هل كان يسايرهم..هل هي مجرد هدنة بينه وبينهم؟؟

أجابني السفير الصديق :

- الله وحده هو الذي يعلم مافي داخل النفوس ولكن الرئيس كان يعلم علم اليقين بأن الوحدة هي قدر ومصير الشعب اليمني بأكمله لذا كانت الوحدة هي همه الأول والقضية الرئيسية لديه تتصدر دوماً سائر تعهداته في سائر خطبه السياسية الهامة امام الشعب بكل فئاته وقطاعاته وامام السلطة التشريعية وفي توجيهاته للحكومة وكذا في كل خطواته العملية. لقد كانت الوحدة في مقدمة كل خطاب رئاسي قبل وبعد انتخابه للرئاسه فقد كان التزامه وتعهداته بالوحدة جهاراً نهاراً!! وكان الرئيس يعلم أن مجرد

قيام الوحدة بالطرق السلمية يعني التفاف الشعب بأسره حولها والدفاع عنها. ولذا عندما تعرضت الوحدة للخطر انبرى الشعب اليمني كل الشعب اليمني من أقصى شماله الى اقصى جنوبه ومن غربه الى شرقه.. للدفاع عنها وليس فريق دون فريق، او جانب دون جانب.

– قلت : ولكن تقرير الرئيس الذي قدمه الى المؤتمر الشعبي العام في الدورة الخامسة قد كشف للناس كيف بدأ الشيوعيون او الاشتراكيون في الكشف عن نواياهم وان هؤلاء الإشتراكيين قد رضوا بالوحدة انقاذاً لأنفسهم من المصير الأسود الذي لقيه الشبوعيون في المانيا الشرقية ورومانيا وفي غيرهما! نحن نعلم أن السوفييت في عهد الرئيس السوفييتي (جورباتشوف) عندما استقبلوا مجموعة من الزعماء الاشتراكيين الجنوبيين نصحوهم قائلين لهم :

«ليس أمامكم من حل سوى القبول بالوحدة مع الشمال»!

ومضى السفير يقول : الأخ الرئيس يعرف جيداً بأن قيادة الحزب الاشتراكي لم تقبل بالوحدة إلا بعد أن سدت امامها الأبواب الأخرى، ويعرف أن (قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي) وأمينه العام صارحا (علي سالم البيض) في آخر زيارة عقب أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦م للإتحاد السوفييتي سابقاً بأن ليس لهم (أي للحزب الاشتراكي اليمني) أي مستقبل خارج الوحدة اليمنية.. وأن عليهم أن يسعوا لتحقيق الوحدة اليمنية.. وهي نصيحة سمعوها من أكثر من جهة ولكنهم وكعادتهم ربطوها بفكرة إمكانية الإستيلاء على السلطة في ظل دولة الوحدة عن طريق الإنقلاب على القيادة الشرعية لدولة الوحدة وذلك انطلاقاً من عقيدة راسخة لدى الحزب وقيادته بأنهم يمتلكون قاعدة قوية وعريضة في الشمال.. وهذا كان الهدف الأول لقيادة الحزب الاشتراكي من الدخول في

الوحدة واضعين في اعتبارهم بأنه اذا لم يتحقق لهم ذلك فإن امامهم إمكانية الإنفصال وذلك ايضاً هو ما جربوه، ولكن الله خيب آمالهم كما أن الشعب الوحدوي تصدى لهم ولذلك فإنني أقول لك بإختصار بأن أعداء الوحدة في قيادة الحزب الإشتراكي تآمروا على الوحدة من الداخل ودفعوا بكل إمكانياتهم المالية والسياسية والعسكرية والأمنية التي احتفظوا بها في ظل دولة الوحدة الى جانب ماحصلو عليه من اموال هائلة وامكانيات كبيرة من الخارج للاستيلاء والانفراد بالسلطة ولكنهم عندما فشلوا حاولوا العودة الى الإنفصال من جديد.

ثم أضاف :

الوحدة هي التي أخرجتهم من قائمة الإرهابيين في العالم! وعندما زار الرئيس (واشنطن) قبل الوحدة قال للأمريكيين أن الحزب الاشتراكي لايمكن أن يبقى بعد الوحدة مع الإرهاب وأن الوحدة كفيلة بأن تجعل الحزب المذكور يقف ضد الأرهاب.

ثم قال : وهو يحاول أن يشرح لي كيف خطط الإشتراكيون للإنقلاب على الوحدة :

أراد الحزب أن يبقي القوانين التشطيرية على حالها! وكذلك أراد وعمل الحزب الإشتراكي على ان تظل القوات المسلحة التي كانت في اطار الدولة في الجنوب قبل الوحدة.. تحت سيطرته وتابعةله وكان يرفض دمج وحدات القوات المسلحة وقوات الأمن برغم أن إتفاقات الوحدة طالبت بدمج كل شيء، وظل الإشتراكيون يرفضون ويماطلون! وهذا ما كشف لنا خططهم الإنفصالية. أرادوا الحفاظ حتى على نظامهم الدبلوماسي الخاص بهم على كل حال انا انصحك بأن تقرأ ما ورد في تقرير الأمين العام الى المؤتمر الرابع للمؤتمر الشعبي العام حول هذا الموضوع إن فيه كل التفصيلات!

- وقلت : ولكنهم جاءوا الى الأردن للتوقيع على إتفاقية العهد!

قال : نعم جاءوا للتضليل ولكسب الوقت بل وقبل أن يجف الحبر الذي وقعوا به على الوثيقة اصدروا توجيهاتهم للواء الخامس مدرع في حامية عدن والوية اخرى حركوها من حضرموت وشبوه كانت تحت سيطرتهم لضرب قوات العمالقة في أبين ولتفجير الحرب إضافة الى أن نائب الرئيس بدلاً من أن يعود الى صنعاء عاد الى عدن عبر السعودية وحتى كلامه في عمان حول الوثيقة كان محشواً بالتحايل والعداء. لقد وقعوا وثيقة عمان لكسب الوقت ولكي يظهروا بأنهم اصحاب حق ولكي يكسبوا الرأي العام.

– قلت : إذن أنت تقول – لاخوف على الوحدة بإذن الله!

أجاب : بكل تأكيد .. الوحدة باقية مابقي اليمن!

– قلت : إن بعضهم يقارن بين ماجرى في الوحدة بين دمشق والقاهرة وماقد يجري غداً بين صنعاء وعدن! هه ماذا تقول؟

وقهقه السفير قائلاً :

نصر السابع من يوليوعام ١٩٩٤م أغلق كل الأبواب الإنفصالية، والوحدة صارت معمدة بالدم وبتضحيات الوحدويين من أبناء الشعب اليمني كله من جنوبه وشماله وشرقه وغربه، كما صارت الوحدة محصنة بالحرية والديمقراطية واختيار الشعب وكذلك بمنجزات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإصلاح الاقتصادي والإداري فليس بالحرية وحدها تحيا الشعوب لأنها بحاجة لأن تبدع وتنتج وتحقق ذاتها وتوفر احتياجاتها المادية والمعيشية.

ثم قال :

وشركات البترول تتسابق اليوم للحصول على إمتيازات حفر الآبار، والرئيس مدفوعاً بإيمانه الصادق بوجود البترول في باطق الأرض، أصر على دعوة شركات أمريكية مختلفة للبحث عن البترول من وقت مبكر بعد توليه رئاسة الدولة وجاءت شركة (هنت) (HUNT) الأمريكية وأجرت الأعمال اللازمة وكان

الرئيس يسهل لهم وسائل العمل، وتعهد رئيس شركة «هنت» للأخ الرئيس في أول لقاء لهما بأنه اذا عثر على البترول فإنه سيعمد الى استخراجه وبيبيعه في السوق العالمي! في هذا ثروة جديدة لليمن! والثروة تضمن السيادة والعمل والإستقرار ودخلت العلاقات اليمنية مع أمريكا في مرحلة جديدة تقوم على اساس المصالح المشتركة والإحترام المتبادل، من بعد أن تم تدشين أول مصفاة مخصصة لتصفية النفط اليمني في محافظة مأرب بحضور نائب الرئيس الأمريكي (بوش) حينذاك. وأصبحت العلاقة بيننا وبين امريكا.. مباشرة وليس من خلال أي طرف آخر.

– هل انتهى حديث السفير الشاعر والأديب؟

لا ..

– قلت : هل أنت مطمئن إلى استقرار الديمقراطية في داخل الوحدة؟

قال : نعم ! تماماً ، وبلا تحفظ.

– قلت : ولماذا انتصر الشمال على الجنوب في الحرب؟

قال : لم تكن حرباً بين الشمال والجنوب لقد انتصرت الوحدة والشرعية الدستورية وانتصر الشعب اليمني لأنه يؤمن بالقيم النبيلة التي في مقدمتها الوحدة. لقد تحققت الوحدة بإرادة شعبية من أهل الشمال وأهل الجنوب معاً وبأسلوب سلمي يعكس إرادة القيادتين في الشمال والجنوب أنها إرادة الشعب كله وتحققت بإسلوب سلمي وأعلنت دولة واحدة واصبح لها (دستور) أقره الشعب في استفتاء عام ١٩٩٣م وبالتالي تكونت دولة يمنية واحدة عصرية مكتملة اوصافها وعندما يأتي طرف لكي يرفض أو ينسحب اوأن ينفصل فمعنى هذا (الخروج) على الشرعية!! والشرعية دوماً هي الأقوى.

وسكت السفير :

وأشعرني بخيط تفاؤل وثقة واطمئنان يشدني الى الوحدة والى

اصحابها ويدفعني لأن أقول له:

- لا يا سيدي !! سعادة السفير..

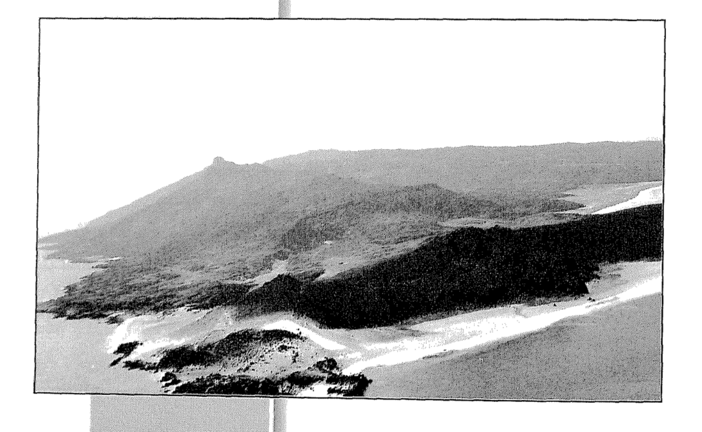
ليس في اليمن «خالد بكداش» ولا «خالد العظم» ولا «أكرم الحوراني» ولا «بعث» ولا «عامر» ولا «سراج» ولا تسلط ولا إنفراد ولاجفري ولابيض!! وتأكد لي من هذا ولأجل هذا بأن الوحدة باقية والموقف لايدعو للقلق!!

والله معنا.

● ● ●

الفصل الحادي والعشرون

اليمن..
والاعتداء
الاريتري



هل ستنتهي المؤامرات على اليمن ؟

الثورة في اليمن واجهت مؤامرات تلو المؤامرات ولكن الشعب اليمني انتصر.

الجمهورية في اليمن واجهت مؤامرات ولكنها انتصرت وغنّى اليمنيون مع فنان شعبي اعمى، (جمهورية ومن قرح يقرح) اي جمهورية ومن انفجر ينفجر.

وحدة اليمن تحققت بإرادة سلمية وواجهت اعتى المؤامرات ولكن شعب اليمن انتصر على حرب الانفصال وثبت نصر الوحدة بتضحيات كبيرة وصارت وحدة اليمنيين معمدة بالدم كما يحلو لليمنيين أن يقولوا..

ولم يمضِ سوى عام وستة شهور على ابتهاج اليمنيين بيوم النصر العظيم للوحدة السابع من يوليو ١٩٩٤م حتى بوغتوا بتآمر جديد عليهم وعلى وحدتهم .. وديمقراطيتهم واستقرارهم ممن لايريدون وحدة اليمن ولا ديمقراطية اليمن ولا استقرار اليمن فمن الأداة المنفذه للتآمر الجديد هذه المرة؟؟

إنها إريتريا.....

انه الصديق العدو أسياسي أفورقي.

ففي ١٥ ديسمبر عام١٩٩٥ تعرضت جزيرة حنيش اليمنية الكبرى لاعتداء من قبل أريتريا الدولة حديثة النشأة والاستقلال حيث أقدمت على هجوم بحري استهدف أرخبيل حنيش وتمكنت القوات الاريترية من دخول جزيرة حنيش الكبرى بقوة عسكرية كبيرة وبآليات لم يكن أحد يعلم أن أريتريا تمتلكها لأن إمكانيات اريتريا الاقتصادية لاتؤهلها لامتلاك مثل تلك الآليات العسكرية البحرية وبالمقابل كانت هناك قوة عسكرية يمنية رمزية تمتلك سلاحاً يكفل السلامة الأمنية للقوة الرمزية الموجودة هناك والسياح القادمين الى الجزيرة الذين يأتون من وقت لآخر عبر المنافذ اليمنية وبتصاريح من السلطات اليمنية لممارسة رياضة الغوص..

عجيب..

هكذا فجأة تمتلك اريتريا قوة بحرية لتحركها وتحتل جزيرة يمنية في البحر الأحمر وتدعى ملكيتها؟ هل الهدف هو ذلك فقط ام ان وراء ذلك اهداف وأهداف؟

دعونا نرى..؟

او بالأحرى هيا بنا نتعرف على الحقائق، وأولها أن هذا عدوان ليس في نظر الشعب اليمني وحده بل هو في نظر الكثيرين خارج اليمن يعتبر طعنة غادرة في صدر الجمهورية اليمنية التي وقفت موقفاً إيجابياً الى جانب الثورة الاريترية ودعمتهابكل ما أمكنها وساندتها بأوجه مختلفة ولم يقتصر ذلك على الدعم المادي والمعنوي بل لقد وصل الى حد تسخير الارض اليمنية لإنطلاقة الثورة الاريترية وممارسة نشاط الكفاح المسلح، من فوق الجزر اليمنية في البحر الأحمر حيث كانوا يحتمون بها بما فى ذلك جزيرة حنيش الكبرى ولم تكن تجرؤ السلطات الاثيوبية على ملاحقتهم اليها لأنها تعرف بأنها يمنية.

بل اكثر من ذلك حرص الرئيس علي عبدالله صالح على اقامة علاقات وطيدة مع كافة القيادات الارتيرية وفي مقدمتهم اسياسي افورقي

واحسن وفادته والتعامل معه وقدم له الرعاية الخاصة ودعاه لزيارة اليمن عدة مرات قبل استقلال ارتيريا وبعده وعندما حصلت ارتيريا على الاستقلال توطدت العلاقة اكثر، ويعرف اليمنيون وغيرهم المؤازرة الكبيرة التي قدمها الرئيس علي عبدالله صالح لأسياسي افورقي ولذلك لم يكن في حسبان احد في اليمن -رئيساً أو حكومة وشعباً- ان تقدم اريتريا على مثل تلك الجريمة.

هل ظروف وامكانيات اريتريا تؤهلها لأن تقدم على مثل ما اقدمت عليه؟ والجواب واضح!!

اذن من يقف وراء اريتريا؟ من دفع بها لتحفر مستنقعاً وقعت فيه وحدها!؟؟

ابسط مايقال ان اريتريا كانت طرفاً ظاهراً مهمته القيام بدور الحرب بالوكالة وهناك طرف خفي مهمته دعم اريتريا بكل انواع واشكال الدعم المختلفة. الطرف الاريتري مجرد اجير حرب بل إن اريتريا متورطة وغارقة في حلقة تآمرية كبيرة تستهدف اليمن بصورة أساسية، ناهيك عن خروج اريتريا عن العرف الدولي وانهزام الجانب الأخلاقي في تعاملها مع من احسن اليها. ووقوعها بالتالي ضحية لمغامرتها في تنفيذ مخططات تستهدف سيادة وأمن واستقرار المنطقة بما في ذلك اريتريا نفسها حتى ولو كانت اليوم عصا أو بندقية بيد المنتفعين واصحاب المصلحة من أي صدام مسلح في منطقة البحر الأحمر الذي يوجد به أهم مضيق عالمي يربط بين اوروبا وآسيا والخليج النفطي والدول المستهلكة هنا وهناك.. ومما يؤكد الاصرار على المؤامرة ومحاولة حفر مستنقع حرب جديدة لجر اليمن اليه انه عندما لم تقع اليمن في الفخ المنصوب وبدأت تفكر وتدعو لحل المشكله سلميا.... ماذا حدث؟ حدث في شهر أغسطس من عام ١٩٩٦م ان سعت اريتريا الى تنفيذ اعتداء فاشل على جزيرة حنيش اليمنية الصغرى ومع ذلك أجبرت اليمن نفسها على ضبط النفس والسير في الاتجاه السليم لايجاد حل للقضية بدون أعمال عسكرية فكان أن تم التوقيع على اتفاقية

التحكيم في ٣ أكتوبر ١٩٩٦م من قبل الجمهورية اليمنية كطرف ودولة اريتريا كطرف آخر وفي الاتفاقية اتفق الطرفان على أن يتم التحكيم على مرحلتين الأولى تخصص منهما على مسائل السيادة الاقليمية وتحديد نطاق النزاع والثانية لتعيين الحدود البحرية بين البلدين.

ان الاعتداء الأريتري على السيادة اليمنية واحتلال جزيرة حنيش اليمنية الكبرى كان مفاجئاً وغير متوقع؛ غير أن هناك مؤشرات كانت تشير الى أن المؤامرة على اليمن مستمرة ولن تنتهي بمجرد القضاء على الانفصاليين والانتهاء من الحرب والانتصار للوحدة. وكانت القيادة اليمنية تدرك تماماً ان سلسلة المؤامرات ستظل متواصلة إلا أن احداً لم يحدس من أين ستأتي هذه المرة..؟ حيث كان الادراك ان المتآمرين لن يمهلوا اليمن حتى تأخذ نفساً أو قسطاً من الراحة لاعتبار أنه لم يمر أكثر من عام ونصف كما اشرنا سابقاً على حرب الانفصال التي كادت تدمر البنى التحتية والاقتصادية والعسكرية اليمنية بما في ذلك القوات البحرية التي كانت تخضع لأعمال الصيانة واعادة التأهيل من جديد بعد إعطابها أو تدميرها خلال حرب الانفصال وانقلاب ١٣ يناير ١٩٨٦م والتي لها قصة اخرى طويلة سنأتي عليها حتى جاء العدوان الاريتيري والاصرار على توسيع نطاقه بل وكان هناك دفع حثيث لتصعيد الموقف الى أعلى درجاته والوصول الى صدام عسكري وشاركت في تصعيد الموقف دول عديدة شملت ايضاً دولاً قريبة من مسرح الاحداث المحتمل وكأن لاهم لها سوى زج اليمن في معركة دامية جديدة. وبعبارة أوضح، لقد كان لإسرائيل يد في العدوان، وكان للسعودية ضلع فيه.. اسرائيل تريد السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، والسعودية تريد اغراق اليمن في البحر حتى تستأسد عليها في البر وتبتلع اراضيها ونفطها.

ولكن ما الذي عمله الرئيس علي عبدالله صالح؟؟

كيف استطاع ان يكبح نشوة النصر على الانفصاليين؟؟

كيف استطاع ان يتغلب على مشاعر التحريض التي بلغت حداً لامعقولاً من أجل دخول الحرب ضد ارتيريا وتحرير حنيش. كيف

استطاع الرئيس ان يصبر ويعلم قادة جيشه حلاوة الصبر على حملات التشنيع والاتهامات المسعورة ليس من المعارضة فحسب وانما من كل القوى المسيسة في اليمن لإجباره على إختيار طريق الحرب لتحرير حنيش الكبرى؟؟

ماالذي اريد ان أصل إليه ؟

او مالذي اريد ان احدثكم عنه ؟

اريد ان احدثكم عن مدى بعد النظر الذي يتحلى به علي عبدالله صالح، الرئيس المنتصر في الدفاع عن الوحدة، في التعامل مع كل خطر جديد والحسابات التي صار يضع لها تقديراتها بالنسبة للإحتمالات التي تواجهها بلده والتي لاتقف عند حدود الوطن والشعب وانما تتسع بإتساع الاقليم الذي يقع فيه اليمن .. بل والعالم الذي صار يتشكل والمتغيرات الحاكمة عالميا.

إذ لولا ذلك لكان ترك لغرور النصر، الذي يعتري بعض القيادات السياسية وربما كل القيادات العسكرية، ان يذهب باليمن لمستنقع حرب جديدة .. تم تدبيرها بإحكام .. وتم ابطال مفعولها حتى الآن بالحكمة .. واثبت علي عبدالله صالح بأنه قائد محصن ضد الغرور وسياسي حصيف لايستهين بأدنى الاحتمالات فما بال موقفه من أخطرها....؟!

إنه لايهوى المغامرات وان كان جيشه مقتدراً عليها.كما أن كان قطاعاً كبيراً من الشعب يحرض عليها.. ثم إن عدداً غير قليل من المسؤولين والقادة العسكريين ينصح بها .. بدوافع متعددة ليس أقلها غسل العار!!

وإن كان ثمنها عدم الاستقرار والدمار .. كل الدمار!!!

لقد امتثل علي عبدالله صالح لما أملاه عليه بعد النظر وعمق التحليل لنتائج حرب تحرير حنيش المتوقعة ودراسة كافة العوامل الاقليمية والدولية.. وحساب الربح مقابل الخسارة فقرر اتخاذ سبيل الربح دون الخسارة، قرر اتخاذ سبيل صيانة الدماء والمكتسبات والاحتماء من الوقوع في مستنقع البحر الاحمر وهو يعلم جلياً من يوم عقد المؤتمر الرباعي لدول

البحر الاحمر في ضيافته وهو قائد للواء تعز بأن البحر الاحمر بحر خير وثروات ومنافع لكل الشعوب المطلة عليه كما انه لايشك بأن اللجوء الى استخدام القوة هو آخر الحلول بعد أن تتقطع السبل السلمية وان كان ذلك في اللحظة نفسها يتعارض مع نشوة النصر التي تؤهل الجيش اليمني:

- لأن يخوض المعركة على نفس وزخم الانتصار الذي حققه على الانفصاليين.
- عدالة القضية حيث أن الايمان الراسخ في صدور كل اليمنيين أن قضيتهم عادلة.
- أن المواجهة لن تكون في الاساس ضد أريتريا وانما ستكون ضد المتآمرين ولهذا فإن الانتصار لاستعادة الحق يعني الهزيمة للمتآمرين أنفسهم.

ومع ذلك كان قرار القيادة الاخير هو انه لابد من تفادي أي صدام مسلح في هذا المكان لأن أي صدام مسلح سيؤدي الى صراع دولي وبالتالي ضرب مصالح المتحاربين المتربص بهما وضرب المصالح الدولية.

واليمن بهذا بقدر ما تسعى الى كسب موقف دولي بقدر ما تريد أن تؤكد للعالم أنها ليست دولة عدوانية وانها بجيشها المنتصر القادر على استعادة الحق اليمني تحكم العقل والمنطق وانها تحتكم الى الشرعية الدولية وإلى ايمانها بأنها قادرة على استعادة حقها المغتصب بقوة القانون وبما تمتلكه من وثائق وشهادات ودلائل تاريخية ومستندات ووقائع دولية.

اليمن إذن تبدو واثقة كل الثقة من وثائقها ومن حقها التاريخي والقانوني في هذه الجزر ولايهمها في ذلك الإلتفاف والدعم المقدم من الدول المتآمرة للدولة المعتدية.

لذلك صار الاتجاه الى طريق التحكيم الدولي أمراً لابد منه وذلك من أجل كسب موقفين :

الأول : استعادة الحق بأقل الخسائر وتفويت الفرص على كل المتآمرين الذين يريدون للوطن اليمني أن يظل ديار حرب ومسرح عمليات

عسكرية.

الثاني : التفرغ للبناء الاقتصادي واعادة بناء مادمرته الحرب الأخيرة وما خلفته من آثار ادت الى توقف عملية البناء المؤسسي للدولة وتوقف مواصلة البناء للمشاريع الخدمية والتنموية في البلاد.

وكما علمت فإن حكومة الجمهورية اليمنية تقدمت في ٣١ اغسطس ١٩٩٧م الى هيئة التحكيم الدولي في النزاع اليمني - الاريتري بمذكرة اقل ما توصف به هو أنها أعدت بإتقان وانها محكمة من كافة الجوانب التأريخية والقانونية والدولية وهي تؤكد أحقية اليمن في جزيرة حنيش الكبرى وأهم من ذلك فإن التاريخ المعاصر لليمن.... يمن الثورة والجمهورية والوحدة يؤكد قدرة هذا اليمن على صيانة حقوقه، وأنه صار يعرف كيف يصد المؤامرات ويهزمها لأن رئيسه أيضا وبخبرات قيادية قاربت العشرين عاماً من الجهاد الذى لايعرف الكلل صار صاحب تجربة كبيرة في حصد الانتصارات إن سلما فسلما أو حرباً فحربا والبادى أظلم والأيام القادمه بيننا.

ويتطرق هذا الفصل الى ممارسة الاتراك للسيادة على الجزر ضمن ولاية اليمن اثناء الاحتلال الاول والثاني حيث انشئت اليمن كولاية أو وحدة ادارية منفصلة تحت حكم والي أو حاكم اقليم يتم تعيينه من القسطنطينية، وتم تقسيم اليمن الى اربعة (سناجق) هي سنجق عسير، وسنجق صنعاء، وسنجق تعز، وسنجق الحديدة الذي مارس العثمانيون من خلاله السيادة على مجموعة جزر حنيش والجزر الاخرى في البحر الأحمر.

وتوضح الوثائق العثمانية أن الجزر الواقعة قبالة الساحل اليمني بما فيها مجموعة جزر حنيش وجبل الطير وزقر كانت تعتبر جزءاً من ولاية

اليمن وتدار على ذلك الاساس. ولم تعترض أي من القوى الأوروبية على هذا الوضع، وقد قامت السلطات العثمانية بإنشاء حاميتين عسكريتين في جبل زقر وحنيش الكبرى وتم تسجيل وجود القوات التركية هذا في دليل البحر الأحمر **Red Sea Pilot** ومن خلال الزيارات البريطانية والإيطالية للجزر في مطلع القرن العشرين.

ويؤكد هذا الفصل إستمرار الاعتراف الايطالي بالسيادة العثمانية على الجزر خلال الفترة من ١٩٠٠ - ١٩١٥م تلك الفترة التي ظهرت فيها إيطاليا كقوة تبحث عن مصالح على طول الساحل الأفريقي للبحر الأحمر بما في ذلك أريتريا.

كما يتطرق الفصل للاحداث التي أعقبت الانسحاب العثماني من اليمن والاستخدام البريطاني للجزر في العام ١٩١٥م وموقف اليمن منذ ذلك الحين كما عبر عنه الأمام يحيى لبريطانيا خلال المفاوضات التي سبقت توقيع معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤م. حيث أثار الامام العديد من الأمور من بينها مطالبته بالاعتراف بحكمه واستقلاله على كل اقليم اليمن أي على اقليم اليمن الذي كان تحت حكم اسلافه في إشارة واضحة ليس الى دعوى الامام التاريخية على كل ارض اليمن اليابسة فحسب، وانما الى الجزر التابعة لها أيضاً، وتؤكد الوثائق أن الامام لم يتخل عن مطالبته بجزر البحر الأحمر التي كانت دائماً ملكاً لليمن.

وفي الفصل الثالث إستعراض للاحداث التي سبقت توقيع (إتفاقية لوزان) وموقف بريطانيا في مؤتمر السلام حيث رأى المسؤولون البريطانيون أثناء مؤتمر السلام أن السيطرة ضرورية على جزر البحر الأحمر التي لها (أهمية دولية) وأن بالامكان تأمين ذلك من خلال حل يضم الجزر المعنية الى اقرب حاكم عربي وتبقي (الرقابة العامة) على الجزر بيد البريطانيين، ويستخلص من ذلك أن الرأي البريطاني كان يضع مجموعة جزر حنيش بكاملها تحت سيادة الامام، لأنه لاتوجد هناك أي إشارة الى أن الجزر تشكل جزءاً من أفريقيا.

وبالاشارة الى معاهدة لوزان الموقعة في ٢٤ يوليو ١٩٢٣م والتي تخلت تركيا بموجبها عن ممتلكاتها في الجزيرة العربية -بما في ذلك جزر البحر الأحمر- التي كانت تحت سيادتها، والى المادة ١٦ من المعاهدة التي تنص على مايلي :

(تتخلى تركيا عن كل حقوقها وصفاتها أياً كانت فيما يتعلق بالاراضي خارج الحدود المبينة في هذه المعاهدة والجزر الأخرى بخلاف تلك التي تعترف لها بها الاتفاقية المذكورة، والتي تم تحديد أو سيتم تحديد مستقبلها من قبل الأطراف المعنية).

إنه وعلى الرغم من الغموض الذي اشتملت عليه المادة ١٦ فيما يتعلق بجزر البحر الأحمر فإن ماهو واضح هو أن اليمن لم يتم دعوتها للمشاركة في مؤتمر السلام بالرغم من طلبها المشاركة فيه، كما أنها لم تكن طرفاً في المعاهدة، ومن هنا فإن حقوقها في الجزر محل البحث لم تتأثر بنصوص المادة ١٦.

وبالتعريج على العلاقات بين بريطانيا وايطاليا من خلال الفصل الثالث وخصوصاً مايتعلق بشأن الجزر فإنهما قد توصلتا في العام ١٩٢٧م الى ما أسمي بـ(تفاهم روما) الذي جاء بعد أن عقدت إيطاليا معاهدة صداقة مع إمام اليمن اصبحت ايطاليا بموجبه أول دولة أوروبية تعترف باليمن كدولة مستقلة، بالمقابل زادت علاقة بريطانيا بإمام اليمن سوءاً لأنه لم يتوقف عن مطالبته بسيادة اليمن التاريخية على كل اقليم اليمن بما في ذلك محمية عدن والجزر.

وفي معاهدة الصداقة بين بريطانيا وإمام اليمن في الفترة من ١٩٢٣ - ١٩٣٤م نجد أنه وخلال هذه الفترة وتحديداً في عام ١٩٣١م استؤنفت المفاوضات بشأن العلاقات بين البلدين، بما في ذلك مطالب الامام التاريخية بحدود اليمن التقليدية، وخلال تلك المفاوضات اقترح الامام نصاً للمادة الثالثة من مشروع المعاهدة يشتمل على اشارة صريحة الى حقوق اليمن الاصيلة في (الاطراف الجنوبية لليمن وفي جزر اليمن) وكانت

بريطانيا تعلم من خلال المناقشات السابقة مع الامام ان تلك المطالبة تغطي كمران، بريم، مجموعة حنيش وزقر وجزر فرسان.

وفي عام ١٩٣٥م قدم الامام مطالبة مماثلة بالجزر الواقعة قبالة الساحل اليمني في مراسلات مع فرنسا بشأن شركة الفنارات العثمانية، وتبين هذه الاحداث أن الامام استمر في الضغط بطرح مطالب بلاده في الجزر محل البحث على الرغم من وجود القوى الاستعمارية في المنطقة.

وفي استعراض الفصل الثالث نجده يشير الى اتفاقية ١٩٣٨م الانجلوإيطالية حيث أتفقت إيطاليا وبريطانيا في نهاية عام ١٩٣٦م على البدء في المفاوضات للوصول الى حل عدد من القضايا الهامة ذات الاهتمام المشترك وفي الملحق رقم (٣) من الاتفاق اشار الى اشراك السعودية واليمن وجزر البحر الأحمر ضمن المناطق التي ستناقش قضاياها كما اشار في المادتين (٣و٤) من نفس الملحق بتفصيل أكبر لمسألة جزر البحر الأحمر.

وبينما يكرر إتفاق ١٩٣٨م الالتزامات التي حددها تفاهم روما لعام ١٩٢٧م فقد كان القصد من توضيح الوضع كما هو على الأرض ألايتمكن أي من الطرفين من تعديل الواقع الراهن لصالحه، وضمان منع الايطاليين من إقامة التحصينات أو ادعاء السيادة على مجموعة حنيش، خصوصاً وقد قدموا التأكيدات لإمام اليمن بحماية مصالح اليمن خاصة من خلال الدخول في إتفاق ١٩٣٨م، وفي هذا تم توجيه ممثل إيطاليا في اليمن بأن ينقل للامام حرص إيطاليا على عدم الاضرار بموقف اليمن الذي أتخذته فيما يتعلق بحدود اليمن الجنوبية. أما بالنسبة لجزر البحر الأحمر فقد شددت بريطانيا على أنها قد تعهدت بعدم مد سيادتها الى كمران وأن ايطاليا وافقت على تعهد مماثل فيما يخص جزر حنيش. وبعد أن فقدت إيطاليا مستعمراتها فيما بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٣م فبموجب المادة ٢٣ من معاهدة السلام الموقعة في ١٠ فبراير ١٩٤٩م تخلت عن كل حقوقها وصفاتها على ممتلكاتها الأفريقية.

وبما أن إيطاليا قبل انسحابها من أريتريا لم تكن تملك السيادة إلاّ على جزر دهلك والجزر الصغيرة التي تحف الساحل الأريتري حوالى عصب فقط، فإنه لايمكنها أن تورث أكثر مما ملكت، ويظهر ذلك بوضوح في الخريطة التي نشرتها الأمم المتحدة في العام ١٩٥٠م المرفقة بأعمال لجنة الأمم المتحدة -الخاصة بأريتريا- حيث تظهر جزر دهلك كجزء من أريتريا بينما تظهر مجموعة جزر حنيش كجزر يمنية.

وفي العام ١٩٥٦م جددت اليمن مطالبها بجزر البحر الأحمر في إحتجاج رسمي على قيام بريطانيا بمنح امتياز التنقيب عن النفط في كمران لاحدى شركات النفط البريطانية.

وقد عالجت الاتفاقية الدولية في عام ١٩٦٢م التي عقدت بشأن ادارة بعض الفنارات في البحر الاحمر آلية تمويل الفنارات على جزيرتي ابوعلي وجبل الطير، وتم تعيين بريطانيا بعمل الادارة من عدن، وأوضحت المادة الثامنة من إتفاقية ١٩٦٢م أن دور بريطانيا كحكومة مديرة لايمنحها أي اجراء سيادي على الجزر وترك مصيرها مفتوحاً للتسوية في تاريخ لاحق.

وخلال الفترة التي كانت الاتفاقية فيها سارية المفعول مارست اليمن قدراً كبيراً من سلطة الدولة على جزر مجموعة حنيش. ومما يؤكد الحق اليمني في الجزر اليمنية والتي من ضمنها جزر حنيش أنه وقبل انقضاء العام ١٩٨٩م قررت معظم الدول الموقعة على الاتفاق أن حاجة الملاحة الدولية لخدمة فناري أبوعلي وجبل الطير قد انتفت، ولهذا السبب الذي تخلت به بريطانيا عن مهمتها عقد اجتماع في ٢٠ يوليو ١٩٨٩م لمناقشة مستقبل الترتيبات بموجب إتفاق ١٩٦٢م. وقد أشار الوفد اليمني المدعو للإجتماع أن اليمن ترحب بإدارة الفنارات على ضوء واقع أنها تقع ضمن اقليم اليمن.

وبما أنه لم يطرح أمر تجديد اتفاق ١٩٦٢م، لم تكن هناك حاجة لتوقيع وثيقة رسمية في لندن. على أن الدول المشاركة لم تعترض على الموقف

اليمني، وهذا يؤيد موقف اليمن باعتباره اعترافاً واضحاً أن الجزر كان ينظر إليها بشكل طبيعي انها واقعة ضمن السيادة اليمنية، ثم أن اليمن كانت هي الدولة الوحيدة المدعوة الى هذا الاجتماع من غير أطراف الاتفاق الذي وقع على الاتفاقية عام ١٩٦٢م، وبهذا بدأت الادارة اليمنية الرسمية للفنارين في نهاية عام ١٩٩٠م، دون صدور أي احتجاج من أي دولة ثالثة بما في ذلك دول المنطقة، كما أن اليمن بعد أن خولت إليها ادارة الفنارات قامت بإنشاء فنارات جديدة واشارات ضوئية على عدد من الجزر اليمنية دون أن يثير ذلك احتجاج أي دولة سواءً من الدول البعيدة أو من دول المنطقة.

ومما تقدم يتضح أنه خلال هذه الفترة كلها أن الدولة الوحيدة التي كانت لها السيادة على مجموعة جزر حنيش هي اليمن صاحبة الحق التاريخي والقانوني والامبراطورية العثمانية التي خلفت اليمن في سيادتها التقليدية على الجزر عندما تواجدت في اليمن للمرة الثانية عام ١٨٧٢م. وعلى النقيض من ذلك فإن بريطانيا وايطاليا تخلتا صراحة عن نواياهما لتأسيس سيادتهما على الجزر، وبالتالي لم يكن بمقدورهما أن يورثا لخلفائهما أية حقوق أفضل من تلك التي كانت لهما في الأصل، وكل هذا إجمالاً يدلل على أن اليمن هي صاحبة الحق في تملك الجزر الواقعة بالقرب من مياهها الاقليمية وهي الأقرب لذلك التملك من نواحي عدة، وهذا ينفي أي ادعاء بحث التملك من أي دولة كانت لان أي تملك أو ادعاء من أي طرف كان يعتبر ادعاء باطلاً في ظل التملك القائم بمعطيات الحق التاريخي والقانوني الذي تستند اليه اليمن. وهذا مايعني أن ماقامت به اريتريا من أعمال عسكرية واستحداثات يعد عدواناً على الحق اليمني لايجد له مبرراً. ومن هنا نجد أن اريتريا لاتستند الى أي مصدر تاريخي أو قانوني أو حتى أنها ورثت ذلك عن المستعمر الذي لم يخلف لها سوى ما امتلكته حين استقلالها والذي اقتصر على جزيرة دهلك وبعض الجزر الأخرى بالقرب من ميناء عصب.

وفي الجزء الثاني من المذكرة التي تقدمت بها حكومة الجمهورية اليمنية الى هيئة التحكيم في النزاع اليمني الاريتري وفي الفصل الرابع من المذكرة نفسها طرحت اليمن ملف القضية من الناحية القانونية حيث وان هذا الفصل يعتبر ذا طبيعة قانونية صرفة. وقد طرحت اليمن فيه العناصر القانونية والواقعية لحقوقها التقليدية والتاريخية في مجموعة جزر حنيش استناداً الى نظرية الحق الاصيل أو التقليدي في السيادة. ويركز هذا الفصل على أسس حق اليمن التاريخي ليخلص الى تأكيد هذا الحق، وانه لم يحدث أن تخلت اليمن في أي وقت من الأوقات عن مطالبها بالحقوق التاريخية في بلاد اليمن، وان اليمن كبلد مستقل أو كولاية عثمانية لابد ان يشتمل بالضرورة على وجود حدود تاريخية لها وحق سيادة اصيل على بلاد اليمن وعلى ملحقاتها بشكل إجمالي، بما فيها جزرها.

من جانب آخر تناول الفصل الرابع تاريخ اليمن السياسي وتاريخه كوحدة إدارية في الامبراطورية العثمانية وايضاً بعثة كلينتون في الربع الأول من هذا القرن، وادلة واضعي الخرائط من القرن الثامن عشر، واستمرار علاقة الحق السيادي التاريخي، وتحاشي بريطانيا الرفض الصريح لحق السيادة اليمني الاصيل على جزر حنيش وايضاً عدم تأثير المادة ١٦ من معاهدة لوزان على حق السيادة اليمني والترتيبات التي وضعتها معاهدة ١٩٦٢م لصيانة الفنارات في بعض جزر البحر الأحمر.

هذا ما ضمنه الفصل الرابع بينما قدم الفصل الخامس استعراضاً لنظرية الوحدة الجغرافية أو الطبيعية في القانون والفقه الدوليين وتطبيقها على جزر حنيش، وهو ما تؤكده كافة المصادر العلمية المعترف بها والمعتمدة.

وبينما خلص الجزء الأول والثاني الى الشرح والتفصيل للأهمية التاريخية والقانونية لليمن وسيادتها على الجزر الواقعة في البحر الأحمر المعروفة بوقوعها ضمن سيادة اليمن بما في ذلك مجموعة جزر حنيش فإن

الجزء الثالث خلص الى استعراض العناصر المختلفة التي تؤكد حق اليمن وتشكل المصادر المستقلة لتأكيد ذلك الحق. وفي هذا الجزء الذي يتشكل منه الفصل السادس فإن ما اشتمل عليه هو مناقشة الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين مجموعة جزر حنيش والساحل اليمني من خلال استعراض لجملة كبيرة من العوامل أهمها أنشطة الصيد في الجزر والمياه المحيطة بها وإنشاء المراسي والمصايد والعزب بالاضافة الى زيارات اضرحة الأولياء المنتشرة في الجزر.

ثم يأتي بعد ذلك الفصل السابع الذي يعزز الموقف اليمني من خلال استعراضه لأعمال السيادة العثمانية واليمنية على المنطقة منذ القرن السادس عشر وحتى ظهور النزاع في نهاية عام ١٩٩٥م وتطرقت المذكرة الى أعمال السيادة كما تم ممارستها من العام ١٥٦٠م حتى قيام الجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٦٢م ثم ممارسة اعمال السيادة منذ قيام الجمهورية العربية اليمنية ومن ذلك قرارا عام ١٩٦٧م الخاص بالمياه الاقليمية اليمنية وبالجرف القاري، والتدريبات البحرية في مجموعة حنيش والتدابير الأمنية الخاصة بالجزر ومنح التصاريح لقوات أجنبية باجراء مناورات وايضاً منح التراخيص والتصاريح العلمية والسياحية، وتصاريح وتراخيص الرسو في الجزر اليمنية للسفن التجارية الأجنبية والتصاريح الخاصة بإقامة المشاريع السياحية والتجارية والاستثمارية وايضاً قيام العمليات العسكرية في مجموعة حنيش، وأعمال السيادة فيما يخص الصيد غير المشروع في الجزر، وأعمال مراقبة التلوث والاغاثة والانقاذ واقامة المحطات الجيوديسية (المساحية) اليمنية في الجزر، واخيراً إقامة الفنارات والخدمات الملاحية الأخرى.

وإجمالاً هذا يؤكد على أحقية اليمن في تملك الجزر الواقعة تحت السيادة اليمنية بما في ذلك الجزر المتنازع عليها ويدحض أي ادعاء جديد بحق التملك بهذه الجزر التي اثبتت الحقائق التاريخية والقانونية والشواهد أن اليمن لها حق السيادة ومن حقها الدفاع عن حقوقها بالطريقة التي تراها.

ثم أنه وبموجب مبدأ الوحدة الجغرافية فإن أعمال اليمن السيادية المتصلة بجزرها الكبيرة في المجموعة تشكل عملاً يمنياً سيادياً على مجموعة جزر حنيش كمجموعة واحدة وفقاً لاحكام التحكيم الدولي.

وفي الفصل الثامن قدمت اليمن الأدلة التي تثبت أن دولاً ثالثة قد اعترفت باستمرار سيادة اليمن على جزر حنيش، ومن تلك الدول إيطاليا وبريطانيا وفرنسا والمانيا وذلك من خلال مراسلاتها الدبلوماسية مع اليمن ومن تحليل وثائقها الداخلية.

ويختتم الفصل الثامن من حيث يبدأ الفصل التاسع الذي يعتبر فصلاً تحليلياً قانونياً أيضاً وفيه تأكيد السيادة اليمنية الموثق في ادلة آراء الخبراء بما في ذلك الاعمال الموثقة المعترف بها والخرائط، وهنا يتم استعراض آراء الخبراء الرسمية وغير الرسمية وقيمتها القانونية في القانون والتحكيم الدوليين، وايضاً يستعرض الفصل التاسع بإسهاب خرائط المنطقة الصادرة عن مختلف الدول والهيئات الرسمية وغير الرسمية منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم وأهمها الخرائط الايطالية والاثيوبية والخرائط الصادرة عن الامم المتحدة وتحديداً المتعلقة بإريتريا.

ويأتي الجزء الرابع في فصل واحد هو الفصل العاشر حيث يركز هذا الجزء على عدم وجود أي نزاع مع أريتريا حول الجزر قبل نوفمبر ١٩٩٥م وايضاً إفتقار إريتريا لأية دعوى جدية بمجموعة حنيش، ويؤكد هذا الجزء على أن أريتريا لاتمتلك أي حق، وفي هذا الصدد تقدم اليمن تقييماً أولياً للادعاءات الاريترية، بالاضافة الى استعراض لممارسات تصريحات كل من أريتريا واثيوبيا وايطاليا بالتحليل والتفنيد للوصول الى أن ممارستها تؤكد الحق اليمني، كما يتم إستعراض كافة المؤلفات والخرائط الاريترية الرسمية وغير الرسمية التي تؤكد تبعية الجزر لليمن.

وتختتم المذكرة بالجزء الخامس والأخير والمكون من الفصلين الحادي عشر والثاني عشر حيث ينتهي الأول باستخلاصات اليمن حول مجمل

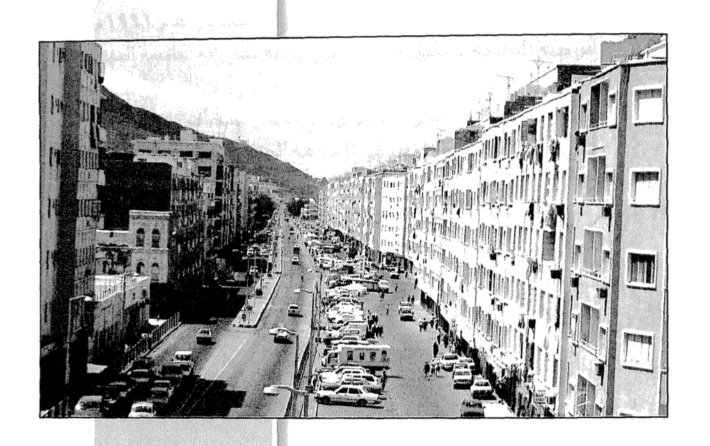
المذكرة التي دفع بها الطرف اليمني الى هيئة التحكيم ومن ثم إستعراض مهمة محكمة التحكيم بموجب إتفاق التحكيم وطرح موقف اليمن بشأن نطاق النزاع. بينما في الفصل الثاني عشر والأخير تظهر المطالب الرسمية للجمهورية اليمنية في نهاية المذكرة التي الحق عليها عدد من المجلدات الاضافية وفيها توجد الأدلة الوثائقية التي تعتمد اليمن عليها وهي مقدمة بلغتها الاصلية ثم إنه وحيثما لزم الأمر قدمت اليمن ترجمة الى اللغة الانجليزية لبعض الوثائق لفائدة محكمة التحكيم.

ولم تكتفِ اليمن بكل ما قدمته لاثبات حقها التاريخي والقانوني ايضاً لم تكتف بما قدمته من وثائق وشواهد تاريخية بل لقد سعت الى جمع سلسلة من الشهادات والتصريحات التي تقدم بها مواطنون يمنيون من المنطقة المواجهة للجزر اليمنية محل النزاع لتأكيد ارتباط تلك الجزر بالساحل اليمني، ويحتوي المجلد الأخير الذي قدمته اليمن على أطلس بالخرائط ذات العلاقة بالنزاع يضم قرابة مائة خريطة من مختلف الأزمنة والمصادر، وكلها تؤيد وتؤكد ثبوت الحق التاريخي والقانوني للجمهورية اليمنية في تملك الجزر التي تقع تحت سيادتها وايضاً الجزر محل النزاع حيث اتضح من خلال كل ماتقدمت به اليمن انه يؤكد حقها ويرجح كفتها ويقوي من عزيمتها وأملها في استعادة جزرها المغتصبة بالطرق السلمية باعتبارها أيسر الطرق ويقينها في أن ما تقدمت به من وثائق وحجج يعزز موقفها ويضع موقف الطرف الآخر في مقام المعتدي على حقوق الآخرين.

وهنا يبدو الموقف اليمني مطمئناً، والشعب اليمني يرقب قرار هيئة التحكيم وكله أمل في أن هيئة التحكيم ستتخذ قرارها بشأن الجزر اليمنية المغتصبة وفق معايير عادلة من خلال الوثائق والمستندات التي تؤيد وتؤكد أحقية اليمن في تملك مجموعة جزر حنيش.

خاتمة

الصفحة الجديدة في مستقبل اليمن!



جرت محاولات انقلابية في اليمن عام ١٩٤٨م، وعام ١٩٥٥م، ولم يكتب لها النجاح.

ثم كانت وفاة الامام التي حدثت يوم ١٩ سبتمبر عام ١٩٦٢م، فكانت الفرصة السانحة للتشكيل الثوري بإن يوجه ضرباته القاسمة للعهد الامامي بأسره!

وبذلك قامت الثورة الكبرى في اليمن للتخلص من الظلم والقهر الامامي والحكم الكهنوتي في الساعة الحادية عشرة من ليلة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م، وسمع العالم صوت اذاعة صنعاء تردد النشيد (الله اكبر يابلادي كبري)

وانتصرت ثورة اليمن ورفع علم الجمهورية اليمنية الموحدة، وانتهى التشطير يوم ٢٢ مايو ١٩٩٠م، بعد سلسلة الانقلابات والاغتيالات والثورات!

بعد ذلك اشعل الانفصاليون الحرب، وانبرى لهم الوحدويون بقيادة علي عبدالله صالح ومعه الشعب وتحقق الانتصار للوحدة في اليوم السابع من يوليو عام ١٩٩٤م..

وقبل ذلك :

كـان الانقلاب الابيض فـ[illegible] يونيـو /حزيران عـام ١٩٧٤م، الذي سمي بثورة التصحيح، [illegible]دة (العقيد ابراهيم محمد الحمدي) معززاً بدعم المشايخ والجيش، ومباركاً من السعودية، ضد حكم القاضي (عبدالرحمن الارياني)!

وفي الجنوب ! ماذا في الجنوب؟

في ١٤ مايو ٦٨ قاد الجناح اليساري في الجبهة القومية بزعامة عبدالفتاح اسماعيل وسالم ربيع علي تمرداً ضد قحطان الشعبي، ولكن الرئيس قحطان اخمد التمرد وعفا عن رموزه، ثم رد عبدالفتاح اسماعيل الضربة بجناحه الماركسي، واستأصل الرئيس قحطان الشعبي وجناحه من الحكم، ثم نجح (سالم ربيع علي) – في الاستيلاء على الغالبية الساحقة– والاحتفاظ بمقعد الرئيس لمجلس الرئاسة، وعين (علي ناصر محمد) رئيساً للوزراء.

وفي ١٩٧٧/١٠/١١م، سقط (ابراهيم الحمدي) قتيلا.!

وبعده سقط الرئيس المقدم احمد حسين الغشمي في ٢٤ يونيو عام ١٩٧٨.!

وقام عبدالفتاح اسماعيل واطاح بحكم الرئيس (سالم ربيع علي) في نفس الشهر..!واشتدت مؤامرة الماركسيين في الجنوب على الحكم المعتدل في الشمال وشنت الفصائل الماركسية حرباً ضد المواطنين واحرقت المزارع ومثلت بالأبرياء.

كتب الدكتور العقيد عبدالولي الشميري في كتابه (١٠٠٠ ساعة حرب) يقول في الصفحة (١٠٢)

(..غير ان الفطرة التي حبا الله بها الرئيس (علي عبدالله صالح) منذ طفولته السياسية، في مسيرة الزعامة اليمنية، ماكانت الا هبة من الله، متعمدة للسباحة باليمن في محيط الاحداث المتلاطمة، ليخرج به، بعد مغامرات مجهولة العواقب الى بر الامان، وطالما ظن السياسيون،

والمفكرون، والعقلاء، ان كل الاهوال التي امتطاها ذلك الرجل- وماأكثر الاهوال في حياة اليمن- كان الواحد منها كافياً لاغراق سفينة مستقبل اليمن. غير ان عناية الله باليمن القت في روح الرئيس، سجية القريب جداً، والبعيد جداً. فيغدو على حال، ويروح على سواه، قد ألهم فكرة لم تجربها الانظمة التي تتعرض لحرب اهلية قبل، حيث اعتمد على تجنيد ابناء الريف، وتدريبهم وانخراطهم في صفوف أبناء قراهم، الممتحنة بموجة المد الشيوعي التخريبي، وقد زودتهم الدولة بالاسلحة المماثلة لاسلحة الشيوعيين، ووقف الجيش مؤازراً لتلك المجاميع الشعبية، فتكبدت الجبهة الوطنية الماركسية، جراء تلك التجربة الناجحة، للمقاومة الشعبية خسائر فادحة تقدر بألف قتيل تقريباً، ومالايقل عن ألف جريح، ومنيت بهزائم متتالية افقدتها هيبتها، وأزالت الشائعات الرائجة لها بالتفوق العسكري، وتهاوت اسطورة الجبهة الوطنية عسكرياً تحت وقع الضربات الفدائية، والحروب التكتيكية، في كل المناطق التي تسيطر عليها، وانتصرت عقيدة الاسلام بفضل الله، بعد تضحية وخسائر في الارواح تقدر بزهاء خمسمائة شهيد وألفي جريح ومشوه من الجيش والشعب، ولم تزل أماكن كثيرة من الارياف التي كانت مسرحاً لعمليات حافلة بحقول الالغام حتى الآن، ومما لاجدال فيه ان المملكة السعودية وقفت الى جانب اليمن في محنته تلك.

وحينذاك بدأ الرئيس (علي عبدالله صالح)مغامراته السياسية مع نائب الرئيس الجنوبي (علي ناصر محمد) خلال اللقاء الذي عقد في ٤ اكتوبر عا ١٩٧٩م، بصنعاء.

ثم جاء يوم ١٣ يناير عام ١٩٨٦م، وانفجرت المجازر الدموية بين اعضاء الحزب الاشتراكي واللجنة المركزية داخل قاعة المكتب السياسي في (عدن) حيث قيل بلسان المؤرخين اليمنيين المعاصرين:

(.. ان اعدامات تجري في داخل القيادات العليا للحزب الاشتراكي.. ثم إعلان إذاعي من الرئيس علي ناصر محمد، بأن مؤامرة انقلابية ضده

قد فشلت، قام بها عبدالفتاح اسماعيل، وعلي عنتر، وصالح مصلح، وعلي شائع هادي، وغيرهم، وقد تمت محاكمتهم، واعدامهم بتهمة العمالة للرجعية.

ثم توقفت الاذاعة عن البث.. ويستمر الصراع الدامي في عدن، بمختلف الاسلحة الخفيفة والثقيلة، بين جناح الضالع ردفان، وبين جناح أبين وشبوه لـ(علي ناصر محمد) ومن ابرز مؤيديه: (محمد علي احمد) محافظ محافظة (أبين) وهو الرجل القوي قبلياً وعسكرياً، وعبدربه منصور هادي، نائب رئيس هيئة الاركان لشؤون الامداد، واحمد عبدالله الحسني، قائد القوات البحرية واحمد مساعد حسين، رئيس جهاز امن الدولة، وعبدالله علي عليوه، رئيس هيئة الاركان العامة.

وكل هؤلاء اصحاب رتب عسكرية عالية، واصحاب تجربة طويلة في معاصرة الاحداث، والتمرس على ادارة الصراع، بيد اننا نرى المقاومة العسكرية الموالية للرئيس: علي ناصر محمد، قد بدأت تنحسر تدريجياً، بعد يوم ٢٠ يناير عام ١٩٨٦م، وبدأت كفة الطرف الآخر تميل للرجحان والسيطرة العسكرية.. وقد علق عسكريون مطلعون ان السبب في ذلك، هو قوة الحسم الذي كانت تتمتع به وحدات الجيش المدرعة بالدبابات، وهو السلاح الذي حقق التفوق وحسم المعركة، وخاصة اللواء الثالث مدرع، الذي نقل الى عمران، بعد الوحدة، وهو الذي فجر الحرب في ٩٤/٢٧م.

ثم لأن أعداد افراد الجيش والضباط، من المناطق الخاضعة لجناح علي عنتر، وخاصة الضالع، وردفان، كان كبيراً، ناهيك عن توقع اسناد عسكري شمالي للرئيس علي ناصر محمد وانصاره، فلم يتم خلال المعركة، غير فتح الحدود امام اللاجئين، والهاربين من الوحدات المنهزمة، وحسن استضافتهم، ومحاولة تبني قضيتهم دولياً الى حد ما.

كما اعيد تشكيل القوة النازحة في الوية عسكرية، اطلق عليها اسم الوية الوحدة، ودمجت ضمن قوات الجمهورية العربية اليمنية في كافة الحقوق والواجبات، ومنح القادة فيهم بعض الامتيازات الخاصة.

والحديث عن ١٣ يناير ذو شجون، ولنا عنه وثائق، وتفاصيل، غير ان هذا ليس مقام العرض التاريخي لتلك الأحداث، لذلك سنكتفي بحصر اجمالي عن بعض الخسائر البشرية والمادية خلال يناير وفبراير ١٩٨٦م، جراء تلك الحرب المدمرة.

لقد قدرت الاحصائيات عن ضحايا تلك المأساة وخسائرها المادية كالتالي :

١- ارواح ازهقت(١٤٠٠٠) اربعة عشر الفاً، من مدنيين وعسكريين.

٢- اسلحة، ومعدات عسكرية، مايقدر قيمتها زهاء ثلاثة آلاف مليون دولار، وجميعها روسية الصنع، او بريطانية، احرقت معظمها في مستودعاتها المركزية.

٣- دمار لحق بأهالي مدينة عدن الكبرى، ومنازلهم، يقدر بحوالى الفي مليون دولار.

٤- حملة تصفيات دموية عشائرية ضد كل من ينتمي الى المحافظة الثالثة، (ابين، زنجبار) او الى محافظة شبوة دامت لمدة عامين، اذ كان الانسان يقتل لسبب واحد فقط هو: انه من مواليد محافظة أبين او شبوة.

لقد كانت معارك يناير ١٩٨٦م، في عدن تمثل اشرس المعارك القصيرة واكثرها دموية عبر التاريخ اليمني وكانت في خسائرها البشرية، تساوي سبعة اضعاف خسائر الحرب ضد الانفصاليين في عام ١٩٩٤م.

وهناك تقرير تفصيلي في عشرين صفحة تقريباً، من لجنة الاغاثة والرعاية الصحية، ومنظمة الهلال والصليب الأحمر، يكشف الغطاء عن بعض جرائم الحزب الاشتراكي، ضد الحز ب الاشتراكي، وبشاعة التعذيب الجسدي للمعتقلين والمصابين في المستشفيات، بآلات حادة وخارقة، ومواد كيماوية، مورست على اجسام المقتولين قبل ازهاق ارواحهم، مع احراق بعض اعضاء المقتولين، وابادة اطفال وشيوخ كبار من المدنيين، وتذكر مصادر عدة ان عبدالفتاح اسماعيل، كان قد نجا من

القتل بأيدي المقاتلين، التابعين لعلي ناصر محمد، يوم ١٣ يناير ١٩٨٦م، غير ان اغتياله قد تم بعد ذلك بحوالى خمسة ايام، بأيدي جناح البيض، وعلي عنتر، الذي يعتمد استراتيجية تصفية عدن مما كان يسميه بالشماليين، ثم للتحرر من هيمنة عبدالفتاح اسماعيل كمنظر للحزب والدولة، ليتيح اعدامه الفرصة لعناصر جديدة، بالظهور على المسرح السياسي، وسر توقيت اغتياله خلال المعركة كي لايكون متهماً بدمه، سوى علي ناصر محمد، الذي كان قد اعلن قتل عبدالفتاح قبل اعدامه، وكانت نتائج تلك التصفيات، وانتكاس الخارطة السياسة في عدن، هي المؤثر الاكبر في ازاحة شخصيات اجرامية، بعضها الى القبر، وبعضها الى خارج السلطة، وماكان للوحدة اليمنية ان تتحقق، في ظل وجودهم على قمة السلطة او الحياة الا ان يشاء الله.

واستقبل الشطر الشمالي من اليمن آلافاً من اللاجئين، والمضطهدين، ونزح معهم كل من كان يتمنى النزوح ومنعه النظام الشيوعي، وكان لايجد مبلغ ضمان عودته الذي يبلغ زهاء عشرين الف دينار.

وفي الصفحة (١٢٢) من الكتاب المذكور يستطرد العقيد (عبدالولي الشميري) في وصفه للاحداث المؤسفة التي تلت تلك المجزرة ويقول :

(.. وقد عقدت عدة من اللقاءات الوحدوية، والمحادثات الثنائية بين الرئيس علي عبدالله صالح وبين (علي سالم البيض) امين عام الحزب الاشتراكي الحاكم في عدن، حينذاك، وكانت تلك اللقاءات في نظر الشعب اليمني، والمعايشين للحوارات الوحدوية، كلما احمرت الحدق، اعزوفة قديمة اللحن والايقاع، تبدو غير ملفتة، لشدة ماألفها الناس، ولم يعد احد يصدقها، وكان في طي الغيب مالم يكن في حسبان الناس.

لم يجد علي سالم البيض، وزملاؤه الذين استولوا على مقاليد الحكم في عدن، في اواخر يناير ١٩٨٦م، سبيلاً آخر في تعاملهم مع الشطر الشمالي يمكنهم الفرار اليه غير مواصلة الحوار، واللقاءات، بين قيادتي الشطرين، والظهور في جلباب العاشق للوحدة اليمنية، على حين انهم يعيشون في

اعماقهم بروح تعشق الانفراد بحكم جزء من الارض اليمنية، مع الحفاظ على الاتجاه الايديولوجي الماركسي، غير انه لاسبيل الى ذلك، في ظل افول طالع المنظومة الاشتراكية على مستوى العالم وفي مقدمتها زعيم المنظومة (الاتحاد السوفيتي) على حين ان صورة نظام الحزب الاشتراكي اليمني، كانت حينذاك على الصعيد الخارجي في اسوأ مرحلة، وازرى صورة، بالاضافة الى وقوف نظام البيض، وحزبه في الصف الموالي لايران ضد العراق، وحلفائه من العرب، والغرب، وكان الرئيس (علي ناصر محمد) ومجموعته قد تفرغوا تفرغاً تاماً للعمل خارجياً، ضد نظام علي سالم البيض في عدن، وعلى الرغم من ان احداث يناير ١٩٨٦م، في عدن، مثلت الزلزال الاعظم في تركيبة الحزب الاشتراكي، في الجنوب والشمال اليمني، وهدمت اعمدة التطرف في لجنته المركزية، وخدمت شخص (علي سالم البيض)، بل اوصلته من الشارع الى قمة السلطة لخلو المجال له، وامثاله، من سلاطين الحزب، وعمالقة الهيمنة العسكرية، في داخل المؤسسة العسكرية الحزبية، الذين اطاحت بهم احداث ١٣ يناير ١٩٨٦م، فإن علي سالم البيض تظاهر بالحزن والألم، على اعضاء قيادة الحزب، الذين سقطوا في مجزرة يناير ١٩٨٦م، وتباكى كثيراً في خطاباته، واكثر من التهديد، والوعيد بالانتقام لعبد الفتاح اسماعيل، وزملائه القتلى، وفي اكثر من تصريح، صرح ولمح باتهام الرئيس علي عبدالله صالح، والاستخبارات الشمالية، بتهيئة الظروف الدامية، غير ان ذلك المسوح الذي ارتداه علي سالم البيض في تصريحاته، كان من باب ذر الرماد في العيون، او كقميص عثمان ولم يعد هناك احد يجهل قصده، وهو: جذب عواطف الحزب، وانصاره في الجنوب، وصرف الانظار عن التصفيات الدموية التي قام بها علي سالم البيض ، وزملاؤه الجدد، من ابناء المحافظتين: ابين، وشبوه، ولكن تلك الاساليب التي كانت تمارس في هذا الاتجاه، لم تجد المبرر الكافي لرفض مواصلة الحوارات الوحدوية، واستمرار العمل على تحقيق اعادة الوحدة، خاصة وان الرئيس علي

عبدالله صالح واصل الاصرار، والاستماتة لتحقيق الوحدة اليمنية، واكد في اكثر من موقف استعداده ان يكون الضحية، ولو بمفرده في سبيل تحقيق الوحدة، ولقد صدق الاثر القائل (اطلبوا الموت توهب لكم الحياة).

وفي ظل تلك المفارقات ... وفي واقع غريب من التناقضات الحادة والمشاعر المتبادلة والحاقدة التي صارت حاكمة في قيادة الحزب الاشتراكي اليمني تواصل التفكير الانقلابي والتآمري وآل على اصحابه في الحزب الاشتراكي بالوبال العظيم .. والهزيمة المريرة وفي المقابل فإن التيار الوحدوي الدافق والمتنامي في الحياة اليمنية كما قاده الرئيس/علي عبدالله صالح.. وحزب المؤتمر الشعبي العام والأحزاب الاخرى المتحالفة معه سواء كانت اسلامية او قومية حققت الثمار الإيجابية المرجوة للحركة الوطنية الوحدوية اليمنية بحيث انتصرت للوحدة والشرعية الدستورية في ظل دولة الوحدة ومع انتصار الوحدة ترسخ المفهوم الديمقراطي وحقيقة التعددية السياسية في الجمهورية اليمنية الجديدة حديثة النشأة تتشكل في الجزيرة العربية لتعطي نموذجاً لاقتحام العصر من أخطر ابوابه السافرة والمتمردة على الحياة التقليدية والمحافظة ونعني بذلك باب الديمقراطية وعبر منهاج واضح هو منهاج الوحدة، وسياسة داخلية وخارجيه تقوم على الانفتاح والحرية الاقتصادية الى آخر هذا الأمر الذي نتوخى رصده للتأمل من خلاله صورة المستقبل الذي تتشكل في إطاره الجمهورية اليمنية وهي تسعى جاهدة في ظل قيادة الرئيس علي عبدالله صالح للإندماج الواثق بالمستقبل اذ لم يعد الحال يسمح باجترار الماضي او التباكي على اصنام من الوهم التي صنعتها الوعود والأكاذيب الاشتراكية والافتراءات التآمرية التي كانت تدفع بالوطن اليمني للسقوط في مهب الريح المذلة وجيوب التبعية او الارتهان الرجعي والاستعماري المقيت.

ولاشك بأن صورة النصر الوحدوي في الأرض اليمنية وشعلة العزيمة الأكيدة لترسيخ نهج الممارسة الديمقراطية كسبيل للحكم ومنهج لبناء الحياة وصنع التطور المستقبلي المنشود تضع علامات يقينية بارزة للوثبة الجديدة في مستقبل اليمن الوحدوي الديمقراطي المعاصر في ظل قيادته التي امتلكت كل مزايا وإقتدار حادي القافلة الحكيم بعيد الرؤية وصائب القرار.. وقد اثبت عقيدة وعملاً وممارسة بأنه يؤمن بخيار الديمقراطية ويحترم نتائج ممارستها ليس في مجرد الأقوال السياسية والأحاديث الصحفية وذلك من خلال السماع لكل الآراء مهما كانت قاسية او مجافية لما يعتقده او يعلنه في برنامج حزبه.. ومن خلال تقبله للنقد وان كان في كثير من الأوقات جارحاً وخارجاً على حدود المسؤولية الصحفية وتعدياً لدور المعارضة السياسية وكأنه يسعى الى خلق تعايش حقيقي بين التناقضات والصراعات لتظل محصورة في نطاق الرأي والرأي الآخر وفي مجالات التعبير ولا تتعداها الى مجالات الصراع المادي او الدموي وقد شعرت أن لديه الإيمان بأن ترك الافواه تتكلم والاقلام تسيل حبراً أصون لحياة المجتمع اليمني الجديد وأنها تحول دون تشابك الأيدي ولايمكن ان تؤدي إلى ان يسيل الدم.

فالديمقراطية حقل وقوة الصيانة لكل المكتسبات الوطنية وانها اسلوب لتشكيل الحياة ولو تشابكت عبرها سبل تحمل المسؤولية والتعبير عنها.

ان ديمقراطية الرئيس علي عبدالله صالح لاشك فيها ولذا فإن مستقبل الديمقراطية في اليمن مضمون وواضح الإتجاهات ولايمكن ان يخشى عليها.. وبالتالي يكون اليمن قد امتلك مقوماً حضارياً لوجوده ولتنمية هذا الوجود ويتوازى مع هذا وبجانبه المقوم المادي النابع من قوة الشعب وجوهر تكونه في الماضي والحاضر والمتصل بوحدة إمكانياته ونعني بذلك الوحدة بكل ماصارت تعنيه وبالتالي ايضاً في ظل قيادة الرئيس علي عبدالله صالح فإنه لايمكن الخوف على الوحدة اليمنية لأنه لايمكن ان يقبل بأي مساس للوحدة ولايمكن ان يخالج صدر اي إنسان يمنياً كان او عربياً

خوف على الوحدة اليمنية، بفضل التحصينات الجوهرية والعملية التي تحققت لها برغم أنه قال لي ان هناك قوى منتفعة ماتزال تناصب الوحدة العداء وتوجد خارج اليمن وهي مرفوضة كالأوبئة وكالأمراض من داخل الجسم اليمني المعافى اليوم وخاصة ان هذه القوى ليست الا عناصر عميلة ترتزق من تآمرها على مكسب الوحدة.

وقد صارت الوحدة مصانة باستمرارية الشرعية الدستورية التي قامت عليها، معمدة بالدم وقد ظهر عن جلاء ساطع من هم أعداء الوحدة.. انهم أعداء الشعب وأعداء حاضره ومستقبله وأعداء استقراره وتقدمه ورخائه.. ومن اجل ذلك فإن الوحدة مصانة بإيمان كل الشعب بها ويقظته لحمايتها.

ومع الوحدة والديمقراطية يبقى مطلوباً الجواب على السؤال الجوهري مالعمل لصيانة وتنمية الديمقراطية والوحدة ..؟؟

ويعرف الرئيس علي عبدالله صالح اكثر من غيره بأن الجواب هو في استمرار التنمية وتحقيق معدلات عالية ومتوالية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية .. وذلك امر لايتحقق بمجرد امتلاك عصا سحرية ونجاح في انتخابات ديمقراطية او في خطة وامتلاك برنامج تنفيذي لتحقيق الطموحات الوطنية.. ان التنمية هي معركة الشعب اليمني كله.. معركة كل قواه الوطنية والسياسية والإنتاجية هي معركة السلطة التي اثمرتها الممارسة الديمقراطية ومعركة المعارضة في ظل مظلة القيم المعبرة عن الثوابت الوطنية التي يؤمن بها الجميع.. إن معركة بهذه الشمولية تحتاج الى حزب قوي قادر على الفعالية المستمرة ويمتلك قيادة عالية المستوى من التفكير وعظيمة الثقة بالنفس وقوية الارادة في مواجهة تحديات الواقع وهي لاشك بالنسبة لما هو ماثل بين يدي الرئيس علي عبدالله صالح تتجسد اليوم في حزبه السياسي المتمثل في المؤتمر الشعبي العام الحزب صاحب القاعدة الشعبية العريضة التي اتسعت وشملت اليوم اجزاء الوطن اليمني كله فهل يستطيع المؤتمر الشعبي العام وقد تحقق له ان يكون حزب الأغلبية

في الجمهورية اليمنية اليوم ان يقود مسيرة التنمية الإجتماعية والإقتصادية؟؟ ويحقق الغايات الملحة للإصلاحات المطلوبة عاجلاً في بنية مؤسسات الدولة وآلية عملها؟؟ وقبل ذلك في حركة الإقتصاد الوطني وبعث مقوماته الحيوية الفاعلة والمنتجة وتحريرها لتحقيق إقتدارها في تلبية إحتياجات المجتمع ؟؟ وصنع قوته المقتدرة على مواجهة المؤامرات المستمرة على الوطن اليمني والذي يبدو ان الاحتمالات الأكثر ضراوة في هذه المرحلة موجهة إليها!!

لقد كان الرئيس اليمني صريحاً معي في الحديث عن ذلك كله وعن الهموم الإقتصادية وفي المشكلات الكبيرة التي يعاني منها الإقتصاد اليمني رغم امتلاك بعض الموارد الرئيسية وفي مقدمتها النفط والتطور الكبير الذي شهده الإنتاج الزراعي في تحقيق الإكتفاء الذاتي من الخضروات والفواكه وقيام صناعة وطنية إنتاجية وتحويلية تلبي قاعدة عريضة من الإحتياجات المحلية كصناعة الكهرباء والأغذية والأسمنت والملبوسات ...الخ. ولكنه اكد بأن حل هذه المشكلات يعتبر همه الأول وشغله الشاغل من خلال زيادة موارد البلاد وتنميتها وتحقيق زيادة في الدخل القومي والوطني وارتفاع الصادرات وتنمية الصناعة والزراعة والمزيد من إكتشاف الثروات الطبيعية واستكمال بناء الهياكل الأساسية للتنمية في مناطق واعده باستثمارات كبيرة في كثير من محافظات الجمهورية اليمنية ورفع مستوى الشعب اليمني المعيشي من خلال خلق الآلاف المتضاعفة من فرص العمل وزيادة الدخل وتعاظم عائدات الإنتاج في البلاد وهي من أهم التوجهات الاقتصادية في التنمية اليمنية الى جانب اصلاح الاختلالات الاقتصادية والقصور المالي والتلبك الاداري والحد من الامراض الاجتماعية والادارية والبروقراطية وهي مايستحيل التغلب عليها بقرارات فوقية عاجلة او اعمال مرتجلة!!

ان اكبر ميزة يتصف بها الرئيس علي عبدالله صالح في الوقت الذي يتعجل الجميع النتائج انه لايتعجل في اتخاذ القرارات او في طلب تحقيق

النتـائج انـه يصـور في ذهنه الهـدف الذي يتبناه ويفكر ملياً في خطوات تنفيذه.

فـإذا اتخـذ القـرار فـإنه لايتـردد ابداً من ان يبـذل كل الجـهـود من اجل إنجازه وبذلك استطاع ان يتخلص من مرض عضال طالما اصاب الكثير من القادة والسياسين، وهو اتخاذ القرارات السريعة والانفعالية التي قد تمليها الموضات السياسية والتي لايحمد عقباها وذلك يعود ايضاً الى صفة عظيمة يتحلى بها وهي صفة الصبر مهما الحت عليه الظروف وتوالت الضغوط لتدفع به نحو اتجاه معين .. وتجرع في ذلك آلاماً كبيرة فإنه يتسلح بالصبر من أجل قرار صائب ونتيجة مثمرة وبسبب ذلك لاقلق على حاضر ومستقبل اليمن في ظل قيادته وهو ربما يكون الوحيد الذي لم يتجاهل تاريخ من حكموا اليمن قبله .. فدرس سيرهم وعرف مزاياهم ونواحي قصورهم واستطاع ان يستفيد من ذلك إستفادة أعانته لأن يقود هذا البلد الذي كان يعاني وطأة شديدة من التخلف وهجمة شرسة من التآمر ليتقدم به الى واقع جديد يبشر بمستقبل اكيد مضمون الثمار والغايات والنتائج والفوائد وقد مكنه من ذلك إلمامه الوثيق بحقيقة التفاعلات الشعبية في القاعدة العريضة داخل المجتمع اليمني .. والتقاطه لصور المعاناة وتجليات الأماني والطموحات في الضمير الوطني وهو ما وثق من مشاعر حبه للناس ولأبناء شعبه من علماء ومفكرين ومثقفين وسياسيين وعسكريين وعمال وفلاحين .. وغيرهم.. والاعتزاز بالتقاليد الأصيلة والراسخة والتطلع لأمان وسلام يرفل فيه الجميع.. ولسبب عميق من هذه المشاعر الوطنية الصافية المبرأة من كل عقد التعالي على الآخرين والعنصرية والأنانية، رفض بداية عملية التصادم مع الداخل لأن ذلك طريق انتصار الخارج وإنتصار عوامل التآمر.

وإذا كان للوجاهات والارضاءات ولكثير من الإعتبارات الإجتماعية مكانتها في اليمن وفعلها فلابد من تقديرها وعدم القفز عليها او استنكارها..

بل العمل الذكي من اجل توظيفها نحو ما يمكن ان تعطية من منافع .. لأن التقدمية في قيادة التحولات المحتملة من خلال الامساك بخيوطها وإنضاج خميرتها والتقدم بها في الإتجاه الصحيح وليس قطع الخيوط، والصراخ بالشعارات الفارغة التى حفرت في اكثر من مكان في العالم مستنقعات الدم.. ومن خلال استثمار حساسية الشعور الوطني العام تجاه مايتهدد الكرامة الوطنية والاستقلال الوطني والسيادة القومية استطاع ان يحقق قدراً مدهشا من الإنتصار في تحصين القرار اليمني وصيانته وهو ما بدا جليا في الكثير من المواقف القيادية اليمنية لأن المواطن اليمني قد يموت جوعاً ولكنه لايمكن ان يتعاطى اللقمة راكعاً او يقبل بالتخمة خاضعاً وتقابل مع ذلك لديه الاحساس الحاد بالذات والشعور بالندية تجاه الآخر ايا كان جاراً قريبا او بعيدا.. هذا الشعور ظل متناميا في السياسات التي اتسمت بها العلاقات الخارجية اليمنية وكان املاء واضحاً لشخصية الرئيس علي عبدالله صالح وهي التي ستقود عمليا المراحل اللاحقة في العلاقات اليمنية - العربية والدولية من لحظة توليه قيادة البلاد.

وبالتالي فقد عبر باليمن وبمسيرة الثورة وتجسيد الأهداف التي رسختها مراحل بالغة الصعوبة وواضحة الإنتصارات وصار الأفق اليوم عشية ثاني انتخابات تشريعية في ظل دولة الوحدة مشرعاً ومتاحاً لإحتمالات اكيدة لمزيد من الإنفراج الوطني وللإصلاح الحضاري الشامل الذي يعتمد على رسوخ الثوابت المبدئية والمنجزات السياسية لتكون منطلقاً لإنجازات مستقبلية سوف ينبهر بها المتابعون في الأجل القريب في الإصلاحات الإقتصادية والإدارية وفي الأجل الأبعد كما هو في بناء الوطن اليمني القوي المقتدر على اداء رسالته وتحمل مسؤولياته.

وكما قلنا سابقاً فإنه وكما يقبل التحدي ليس كرجل عسكري وإنما كقائد سياسي متمرس صاحب تجربة ثرية من النجاحات يرفض الإذعان للضغوط.. ويستحيل أن تجره الظروف أو الدروب أيا كانت وإغراءاتها إلى الارتهان.

وهو الرجل الذي عمل جاهداً من بداية توليه المسؤولية القيادية لمعالجة هذا الأمر من خلال دعوته الى الميثاق الوطني وإلى قيام حزب المؤتمر الشعبي العام لتحرير اليمن من الفراغ السياسي والإحتمالات كانت بالغة السوء والخطورة.

ولأنه يؤمن بالكل ولا يحب ان يستثنى احدا ظل يسعى إلى اوسع مايمكن الوصول اليه من الائتلاف الوطني التنظيمي.. عبر المؤتمر الشعبي العام.. فهو يحب الاحتشاد وينظر نظرة تكتسي بالألم والقلق تجاه التشرذم والتمزق وذلك لايعني انه لايؤمن بالتعددية لأنه الذي جعلها واقعاً معاشاً في ظل الديمقراطية ولكنه يفرح ويسعد باجتماع الكلمة والتقاء الآراء وإحتشاد الجهود وتجمع الأفكار والتصورات تحت مظلة واحدة وإن كانت الإتجاهات سياسية متعددة والطموحات ربما تكون متنافرة الأهواء ذاتيا ولكنها قد تلتقي مصلحيا في مصلحة الوطن.

ولاشك ان هذا المؤتمر الشعبي العام هو فرس الرهان السياسي الذي يعول عليه.. وعلى ابداعاته.. وكفاحه.. وتحمله لمسؤولياته التنفيذية في هذه المرحلة داخل السلطة التنفيذية وفي كل القنوات والتفاعلات السياسية فهل ينجح الخيل في تجاوز بيداء المعاناة الإقتصادية وفي حل المشكلات السياسية المتبقية ان الفارس يعي هذا السؤال.. والميدان في اليمن الجديد صار مهيأً لأقدس نزال واكرم نزال .

ان اي متأمل للواقع اليمني بشواهده الماثلة واي دارس منصف لتاريخ اليمن المعاصر بمراحله المتعددة من الثورة ومعاركها وإلى تحديات مواجهة الثورة المضادة ووصولاً إلى الوحدة والإنتصار على القوى الإنفصالية.. وتجسيد حقيقة الديمقراطية اليوم يتأكد له أن ثمار الخير التى تشكلت ونمت في كل هذه المراحل ابت ان تذبل او تتخشب باقية وقد نماها وضاعف من خيراتها الرئيس علي عبدالله صالح وان الثورة اليمنية بقيادته الحكيمة اعطت وستظل تعطي في كل الميادين وأن الصدق في تحمل المسؤولية والوفاء بكل الإلتزامات الوطنية والقومية والدولية المتعلقة

عليها والتي توجهها ارادة استمرار الثورة وحماية الوحدة وممارسة الديمقراطية وتحقيق نجاحات التنمية مكفولة بيد قائد صدق إنتماؤه للثورة وهو من جنودها الأبرار وقادتها الأوفياء.. وللوحدة، وهو الصانع الأول لها.. والحارس العظيم لقلعتها الشامخة فوق جغرافيا اليمن وللديمقراطية، وقد كان لايمكن ان تجد لها مكانا في اليمن المهدد بالرجعية والمحاصر من داخله بأظافر الدكتاتورية العمالية او الماركسية اللينينية لولاه.. وللتنمية وقد انجز اعظم انتصاراتها الماثلة في حياة اليمنيين.. فهو استخرج النفط!! وفي عهده بني السد التاريخي العظيم ومن يسهر على بناء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات؟؟ ومن يخصب الأرض الطيبة بأجزل الخيرات؟؟ ومن حرر ميزانية الدولة من مساعدة الدعم الخانقة.. وكيف تحقق ذلك الضغط الكبير في حجم العجز في الموازنة العامة للدولة؟ هل لأنه كان أقدر على تفهم العوامل المؤثرة دوليا على السياسات الإقليمية ومن أجل ذلك اتخذ نهجا واضحاً ودقيقاً في السياسة الخارجية اليمنية مستفيداً من الايجابيات ومتجنبا مخاطر السلبيات.. وبسبب ذلك نجت اليمن من كوارث إقتصادية خانقة ليس ادناها خطراً عودة اكثر من مليون يمني فجأة إلى وطنهم.. او تحمل تكاليف حرب ضارية كان يراد لها ان تمزق اليمن شر ممزق..!! ولكن خابت احلام المتآمر وأطماع الممول وانتصر الشعب.. انتصرت الوحدة وانتصر القائد الوحدوي كما انتصرت الديمقراطية.

ومن أجل ذلك لانبالغ اذا قلنا ان اليمن اليوم بالوحدة والديمقراطية وبالقيادة السياسية المحنكة والمقبولة من الجميع وطنيا وعربياً ودوليا وصارت بكل المقاييس القيادة التي تتمتع بثقة المتعاملين معها من قيادات الغرب كله وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية.. ذلك ان الرئيس علي عبدالله صالح لم يمارس الصعلكة السياسية معها.. ولا المزايدة على حساب القضايا المصيرية حيث قال للجميع لا في الموضع الذي تملي ذلك القول السياسة المبدئية للجمهورية اليمنية وقال نعم لكل ما يجب ان تقوله دولة

ديمقراطية موحدة جديدة تتوق لاحتلال موقعها في حياة العصر الجديد.. وأن ذلك هو مايعكس تفاؤل الجميع في القيادات الغربية السياسية والفكرية بما في ذلك امريكا بمستقبل الوطن اليمني وذلك للأسف الشديد مالا يحسه حتى الآن المواطن اليمني سواء كان من صانعي القرار او اللاهثين في معارك القرار.. وهو ذلك في نفس الوقت مالم تفهمه القيادات العربية وخاصة ما يتعلق منه بجوهر القضية بأن الوحدة اليمنية هي بداية صحيحة وقوية لنهضة عربية أو للوحدة العربية.. بدون ان يكون زعيمها يمنياً.. ولو ان اليمانيين هم قادة الفتح في تاريخنا العربي الإسلامي.

في العالم كله ونعني العالم الخير يزداد التفاؤل باليمن وبما تحقق في اليمن وبما يمكن ان يتحقق في المستقبل القريب او البعيد حيث توفرت الكثير من مقومات المواجهة.. والتحدي والنهوض لكن لذلك التفاؤل وربما لهذا التمني طريق واحدة للإنجاز هو في وعي الناس في اليمن وفي فعل الشعب اليمني وفئاته وقواه السياسية وفي ابداع المؤسسات الإقتصادية والإنتاجية وفي افساح المجال الحقيقي للشراكة العربية والدولية ومساهمات الرأسمال العربي والأجنبي بكل الثقة والاطمئنان والحرية وهو - وكما يؤمن علي عبدالله صالح - بالمزيد من الديمقراطية.. وليس ذلك على يمن علي عبدالله صالح ولا على علي عبدالله صالح بعزيز.. واليمنيون جديرون بمستقبل أفضل.. وهم معقد الأمل.

مراجع الكتاب

- كتاب ١٧ عاماً من العطاء.
- كتاب تقرير الامين العام للمؤتمر العام الخاص.
- كتاب ربع قرن من المجد الثوري- وزارة الاعلام والثقافة.
- كتاب اليمن الجمهوري للاستاذ عبدالله البردوني.
- كتاب انفصال يشعل حرباً - الاستاذ محمد زين.
- كتاب سقوط المؤامرة. - يحيى السدمي.
- كتاب اليمن (مؤامرة الانفصال وانتصار الوحدة) للاستاذ محمد الزرقة.
- كتاب اليمن الجمهوري.
- كتاب الميثاق.
- كتاب النفط في اليمن - احمد قائد بركات.
- قاموس الاحداث اليمنية - الشلال وفاطمة الشريف.
- كتاب عبدالناصر والفريق العمري للاستاذ محمد الشعيبي.
- كتاب يهود اليمن والهجرة الى فلسطين الاستاذ محمد عبدالكريم عكاشه.
- مجموعة كتب امين الريحاني.
- كتاب (كتابة على صرح الوحدة اليمنية) - للاستاذ احمد عبدالرحمن المعلمي.
- كتاب (الثورة اليمنية) - اسرار ووثائق لجنة من تنظيم الضباط الاحرار.
- كتاب (خلود في ذاكرة الحروف) - فقيد الصحافة - امين الحزمي.
- كتاب (ثورة ٢٦سبتمبر دراسات وشهادات) - مركز الدراسات -

صنعاء.
- كتاب (يوم ولد اليمن مجده) - عبدالغني مظهر.
- كتاب (الوحدة اليمنية في مواجهة التحديات) - خالد محمد القاسمي.
- كتاب (ثمانون عاماً من حياة النعمان) - عبدالرحمن طيب بعكر.
- كتاب (شهيد الوطن القاضي العلامة الارياني) - احمد عبدالرحمن المعلمي.
- كتاب (جمال عبدالناصر) - احمد ابو الفتح.
- كتاب (الكلمات) السفير الاستاذ حسن اللوزي.
- كتاب (رياح التغيير في اليمن) - احمد محمد الشامي.
- كتاب (الثقافة والثورة في اليمن) - الاستاذ عبدالله البردوني.
- كتاب (اليمن.. اسباب الازمة واعلان الحرب) - الاستاذ علي هيثم الغريب.
- الخطابات والاحاديث الصحفية للرئيس القائد الفريق علي عبدالله صالح ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥م.
- كتاب (الف ساعة حرب) - دكتور عبدالولي الشميري.
- كتاب (الصراع في عدن) - للاستاذ شاكر الجوهري.
- كتاب (اليمن بعد الوحدة) - عايدة العلي سري الدين.
- مع مجموعات من صحف : (الاهرام، السفير، الحوادث، الشرق الاوسط، ٢٦سبتمبر، وغيرها.

- The two Yemens by Robin Bidwel.
- Yemen and the Western World by Erec Marcro.
- The Encyclopeolio of Yemen 2 Volumes.
- Contemporary Yemen B.R. pri ham.

من كتب المؤلف

- (شباب محموم) - القدس ١٩٤٩م (نفذ)
- خطوات في بريطانيا - القدس ١٩٤٩م (نفذ)
- (عندما دخلوا التاريخ) - بيروت ١٩٥٦م.
- (فلسطين والوحدة) - القاهرة ١٩٥٩م.
- (ماذا جرى في الشرق الاوسط) (٤طبعات) بيروت ١٩٦٠م.
- (تذكرة عودة) -بيروت ١٩٦١م.
- (قصص واصحابها) - بيروت ١٩٦٢م.
- (حفنة رمال) - بيروت ١٩٦٤م.
- (عربي في الصين) - القاهرة ١٩٦٥م.
- (سفير متجول) - بيروت ١٩٧٠م.
- (لا رمل ولا جمل) - باريس ١٩٧٦م.
- (الحبر اسود.. اسود) - باريس ١٩٧٧م.
- (من قتل الملك عبدالله) - الكويت ١٩٨٠م(٣ طبعات).
- (صلاة بلا مؤذن) -بيروت ١٩٨٠م.
- (هل تعرفون حبيبتي؟) - لندن ١٩٨٢م، (طبعتان).
- (قصتي مع الصحافة) - مدريد ١٩٨٣م.
- (لماذا وصلنا الى هنا؟) - لندن ١٩٨٥م
- (المرأة تحب الكلام) - لندن ١٩٨٦م.
- (حديث الكبار) - ١٩٨٦م.
- (للحيطان آذان) - ١٩٨٧م.
- (آخر العمالقة جاء من القدس) (قصة موسى العلمي)) - ١٩٨٨م.
- (نساء من الشرق الاوسط) - ١٩٨٨م.
- (صوت القدس الاخر)- بالانجليزية ١٩٨٩م.
- (حضرات الزملاء المحترمين) - ١٩٩٥م، (٦طبعات).
- (انا من الشرق الاوسط) - ١٩٩٦م (طبعتان).
- (سياط الحبر الاسود)- ١٩٩٦م (جزءان).

الكاتب والكتاب

من اجل كل قضية عربية، ولمصلحة كل شعب عربي، وايماناً بالغد المشرق المأمول للاجيال العربية الصاعدة، مضى الكاتب العربي الكبير، ناصر الدين النشاشيبي- في ممارسته اليومية لحياة القلم والرأى- يغوص في معارك هذا الوطن، ويشارك في تجسيد آماله، ويدافع عن طيب رجاله، ويصارع الخيانة والانحراف، ويصفق للحرية والكرامة فكان قلمه الرائد ورأيه الشجاع اشبه بالسياط المتساقطة فوق رؤوس الانتهازيين والعملاء والانفصاليين.

وبقي- وعلى مدى الخمسين سنة الماضية- بقي هذا الفلسطيني العربي، لايساوم، ولايسكت، ولايركع، ولايهاون متنقلاً من بيروت وصحفها، الى رئاسة تحرير جريدة «الجمهورية» القاهرية الى ثورات بغداد، والى انتفاضات الاردن والى مسارح السياسة في لندن وواشنطن وجنيف، والى كواليس الاسرار في الرياض والجزائر والسودان، يسأل ويكتب وينشر ولايخاف إلّا الله!

ومنذ شهور قليلة جاء الاستاذ النشاشيبي الى اليمن وقابل رئيس الجمهورية والتقى بأكبر مجموعة من زعماء الاحزاب، ورجال القبائل، وتنقل بين صنعاء وعدن والربع الخالي، واستمع الى قصص الوحدة، واحاديث الانفصال، وماتخلل كل منها من معارك وحروب. ثم خرج على القارئ العربي، بهذا الكتاب.

لقد كتب الاستاذ النشاشيبي في كل قطر عربي، وعن كل قطر عربي، ثم جاء دور اليمن، وأثبت الاستاذ النشاشيبي، في مؤلفه هذا، ان حبه لليمن وللثورة وللوحدة، لايقل مطلقاً عن حبه للقدس وفلسطين والقاهرة، او عمان او بيروت!

(الناشر)